رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

نظرات وتأملات من واقع الحياة

تأليف

د . محمد بن عبد الرحمن الخُميّس

أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
جامعة الإمام محمد بن سعود

مكتبة الصحابة
الإمارات - الشارقة
ت: ٥١٥٥٧٥ - فاكس: ٣٧٤٥٤٤

مكتبة التابعين
القاهرة - عين شمس
ت: ٤٩٣٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥



الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

مكتبة الصحابة

الإمارات العربية المتحدة – الشارقة
ت: ٥١٥٥٧٥ – فاكس: ٣٧٤٥٤٤ / ٠٦

مكتبة التابعين

القاهرة – ٢٥ ش أحمد عصمت – عين شمس .
ت: ٤٩٣٨١٤٤ – فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣] .

أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد

فهذه بحوث ومقالات كنت قد كتبتها في فترات زمنية متعاقبة في مجلة الدعوة والفرقان ، والأصالة ، والمسلمون وغيرها من المجلات الإسلامية الهادفة ، وموضوعها هو نظرات وتأملات في أحوال مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة . هذا وقد جمعتها في هذا الكتاب بناء على مشورة بعض الفضلاء ، والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يغفر لمؤلفها ولمن تسبب في نشرها ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

كتبه

د . محمد بن عبد الرحمن الخميس
أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
جامعة الإمام محمد بن سعود

(١) آل عمران : ١٠٢ . (٢) النساء : ١ . (٣) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ .

المحتـويات

الفصل الأول

تأملات ونظرات فى أحوال مجتمعنا الإسلامى المعاصر .

المبحث الأول : ظاهرة ترك الصلاة .

المبحث الثانى : مكانة الحج ومنزلته .

المبحث الثالث : ظاهرة ترك المبيت بمزدلفة .

المبحث الرابع : ظاهرة التشاؤم والتطير .

المبحث الخامس : ظاهرة انتشار الرقى والتمائم .

المبحث السادس : تعقيب على على العمرى حول الرقى .

المبحث السابع : ظاهرة الخدم .

المبحث الثامن : واجبنا نحو مجتمعنا الإسلامى السعودى .

المبحث الأول
ظاهرة ترك الصلاة

فإن الكلام حول هذا الموضوع يتناول جوانب ثلاثة:

حكم الصلاة ، وحكم تارك الصلاة، ومنزلة الصلاة بين العبادات، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: حكم الصلاة :

لا ريب في أن الصلاة هي أهم العبادات على الإطلاق، وهي من مهمات الإسلام ، وركن من أركان الإسلام، بل هي أعظم هذه الأركان على الإطلاق بعد توحيد الله تعالى ، وإثبات النبوة، أي بعد الشهادتين.

ودل على ركنيتها الكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم :﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين**﴾ وقال عز وجل: ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**﴾ ، وقال جل وعلا: ﴿**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا**﴾ .

وأما السنة فقد قال رسول الله ﷺ : « **بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً** » .

والأحاديث في إثبات وجوب الصلاة والأمر بالمحافظة عليها لا تكاد تحصى.

وأما الإجماع فقد أجمع الفقهاء على وجوب الصلاة، وأنها ركن من أركان الإسلام. وهي واجبة على كل مسلم بالغ عاقل، وتسقط عن المرأة حال الحيض

والنفاس ، وقد أوجب اللـه تعالى على الناس خمس صلوات في اليـوم والليلة، ليس عليهم غيرها إلا أن يطوعوا ، وهي واجبة في أوقاتها المعلومة المخصوصة.

أمر النبي ﷺ بذلك ، وبين هذه الأوقات ، وقال تعالى : **﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا﴾** .

ثانيًا: حكم تارك الصلاة :

إن الكلام في شأن تارك الصلاة هو من أهم وأكبر مسائل العلم التي اختلف فيها العلماء من السلف والخلف، والتفصيل فيها كما يلي:

- أما تارك الصلاة جـحودًا وإنكارًا فلا خلاف بين أهل العلـم في كفره وردته، وذلك لإنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة ولجحده كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيما دلا عليه من وجوب الصلاة والأمر بإقامتها.

- وأما تارك الصـلاة تهاونًا وكسلاً ، فهذا هـو الذى اختلف العلمـاء فى شأنه، فذهب الإمام أحمد بن حـنبل وإسحاق وغيرهما إلى كفره، وخـروجه من الملة، وإلى أنه يقتل إذا لم يتب ويصل، ويكون قتله على سبيل الردة عن الإسلام.

وذهب أبـو حنيـفة ومالك والـشافعـى إلى عدم كـفره، وإلى أنه فـاسق بتـركه للصلاة، لكنه لم يكفر ولم يخرج من الإسلام.

ثم اختلفوا فى شأن قتله، فقال مالك والشافعى : «يقتل حداً لا ردة» .

وقال أبو حنيفة : « يعزر ولا يقتل» .

وظاهر نصوص الكتاب والسنّة يؤيد ما ذهب إليه الإمام أحمد رحمه الله .

فقد قال تعالى: **﴿ فإن تابوا ۚ أقامـوا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانـكم فى الدين﴾** .لت الآية دلالة واضحة على أن تارك الصـلاة ليس أخًا لنا في الدين، وهذه الأخوة تنتفى إلا إذا انتفى الإيمان وخروج المرء مـن الدين كلية، وهذه الأخوة فى الدين لا

تنتفى بمجرد الفسق. هذا مع أن الله تعالـى لم ينف أخوة الدين عن القاتل رغم فظاعة جرمه ، فقال فـي شأن القصاص : **﴿ فمن عـفى له من أخيـه شيء فاتباع بـالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾** [1] فلم ينف الإخوة رغم القتل ، وقال تعالى: **﴿وإن طائفتان من المؤمنـين اقتتلوا فأصـلحوا بينـهما﴾** إلى أن قال: **﴿إنما المؤمـنون إخوة فأصلـحوا بين أخويكم﴾** فأثبت لهم الأخوة رغم الاقتتال.

ومع ذلك نفى سبـحانه وتعالى الأخوة عن تارك الصـلاة كما في الآية الأولى. ومن السنـة الدالة على كفر تارك الـصلاة قوله ﷺ : « **إن بين الرجل وبـين الشرك والكفر ترك الصلاة**» رواه مسلم وغيره.

وقال ﷺ : « **العـهد الذي بيـننا وبيـنهم الصـلاة فمن تركـها فقد كـفر**» رواه أحمد وأصحاب السنن.

وهكذا نرى أن النبـي ﷺ جعل الصلاة فرقًا بين المؤمنين والكـافرين، والكفر غير الإسلام ، ومن لم يأت بهذا العهد فهو كافر.

والنصوص فى الباب كثيرة ، وهكذا فقد جعل الشارع وصف الكفر مرتبطًا بترك الصلاة ، ولم يشتـرط الإنكار، وكذلك ربط الأخوة في الدين بإقـامة الصلاة. وليس بالإقرار بوجوبها ، وظاهر النصوص الواردة فى الباب كلها يدل على كفر تارك الصلاة مطلقًا .

ولهذا يقول شقيق التابعي الجليل: « **كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة**» .

- وأما الكلام في المسألة الثالثة ، وهى منـزلة الصلاة بين العبادات، فنقول فيها بعد حمد الله ، إن الصلاة هي أهم العبادات على الإطلاق بعد توحيد الله عز وجل، فالصلاة تجـمع كل العبادات فى ثـناياها، وهى آخر مـا يفقد الناس من ديـنهم، وهى

(١) البقرة : ١٧٨ .

عمود الإسلام، فقد قال ﷺ : « **رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله** » .

وقد قال الله تعالى في حق الصلاة : ﴿ **أتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**﴾ .

فجعل الله تعالى الصلاة ناهية عن المنكر، وجعلها النبي ﷺ بمثابة العمود للفسطاط ، ومن المعلوم أنه لا بقاء للفسطاط إذا سقط عموده، فكذلك الدين لا بقاء له إذا لم تبق الصلاة ، وهي العبادة التي لا تسقط عن الإنسان لا في حالة الصحة ، ولا في حالة المرض، ولا في حالة الغنى ، ولا في حالة الفقر ، ولا في حالة الإقامة، ولا في حالة السفر، فلا يسقط وجوبها عن الإنسان بحال ، إلا الصغير والمجنون والحائض والنفساء ، فهؤلاء هم الذين لا تجب عليهم الصلاة ، وهي العبادة التي كرر النبي ﷺ الوصية بها في مرض موته، فكان يقول: « **الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم** » .

فمكانة الصلاة ومنزلتها بين العبادات في قمتها وعلى رأسها، وبوجودها وكمالها يكون فلاح العبد ونجاته في الآخرة، وبفقدانها وفسادها يكون هلاكه وفساد جميع أعماله، وبتركها تحبط أعمال الإنسان كلها ، أعاذنا الله وجميع إخواننا المسلمين من حبوط الأعمال .

هذا والله أسأل أن يوفقني وإخواني المسلمين لأداء الصلاة والمحافظة عليها، والحرص عليها وتقبلها منا برحمته إنه سميع قريب.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

المبحث الثاني
مكانة الحج ومنزلته

إن للحج مكانة عظيمة بين العبادات ، فهو ركن من أركان الإسلام الخمسة، وقد عظم الله تعالى من شأن الحج، فقال عز وجل: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾(١).

وقال النبي ﷺ : « **بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً**»(٢).

وقد أجمع أهل العلم على وجوب الحج على المسلم مرة واحدة في العمر وما زاد فهو تطوع ، وقد ورد في فضل الحج أحاديث كثيرة.

وهو من أعظم مواسم الخير وأيامه أيام مباركة، وفيها خير يوم طلعت الشمس فيه، وهو يوم عرفة ، وفيها يوم النحر ، الذي هو يوم الحج الأكبر، وفيها أيام التشريق وهي التي قال الله تعالى فيها : ﴿ **واذكروا الله في أيام معدودات**﴾ وقال النبي ﷺ : « **أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل**» .

والحج فيه الكثير من الحكم والعبر، التي ينبغي الالتفات لها.

- فهو الموسم الذي يجتمع فيه من المسلمين عدد لا يجتمع في غيره إطلاقًا من كل البلدان فيتعارفون فيما بينهم ويستمعون إلى المواعظ ويجتمعون لأداء النسك، ويباهي الله بهم ملائكته ، ويكونون بجمعهم هذا شوكة في حلق الكارهين للإسلام والمسلمين.

- وهو الموسم الذي يتساوى فيه المسلمون، الغني والفقير، الشريف والحقير، الكبير والصغير، كلهم بلباس واحد، لا فرق بينهم ، ولا فضل لبعضهم على بعض،

(١) آل عمران : ٩٧ .

(٢) أخرجه البخاري ، ومسلم (١ / ٣٤).

لباسهم رداء وإزار أبيضان، يبعث منظرهم المـوحد البهجة والسرور في نفس كل محب للإسلام والمسلمين.

- وهو الموسم الذي يـتجرد فيه المسلم من عـرض الدنيا وزينتها، فـيتواضع في لباسه وهيئته، ويخضع ويذل لله تعالى، ويظهر الخشوع والانكسار بين يديه عز وجل.

- وهو الموسم الذي تكثـر فيه الصدقات ، ويكثر فيه فعـل الخيرات، ويفرح فيه الفقراء والمساكين بما ينالون من الخير، وما يرون من مساواتهم مع إخوانهم المسلمين.

- وهو الموسم الذي يظهر بـه المسلمون شرائع دينهم، ويتابعون فـيه سنة الخليل إبراهيم عليه السلام وسنة محمد ﷺ أيضًا . فـيحجون وينسكون كما فعل رسولهم ﷺ القائل خذوا عني مناسككم.

- وهو المـوسم الذي يبـتلي اللـه فيه عبـاده بما يرى مـنهم فيـه الإيمان بالغـيب والتسليم لـله تعالى بفعل أشياء لا مجـال لأعمال العقل فيها ، كتقـبيل الحجر الأسود ونحوه.

- وهو الموسم الذي يـتعب فيه المسلمون فـي أداء المناسك لكي تختـم لهم أيامه بالمغفرة والرحمة .

- وهو الموسم الذي يفد الـناس فيه إلى ربهم عز وجل مهللين مـلبين مكبرين ، يرجون رحمته ويخافون عذابه.

- وهو الموسم الذي فيه تجديد الصلة بالله تعالى وتجديد التوبة .

- وهو الموســم الذي جعل الـله تعالـى فيه منافـع للناس، كـما قال في كـتابه **﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾** .

فهو عبادة عظيمة، وشريعة كبيرة، يجب علينا تعظيمها ، والحرص على أدائها، والتأدب بآدابها، وفهم الحكم والمقاصد مـنها، والحرص على نيل ثواب أدائها، وفضل الإتيان بها .

* * *

المبحث الثالث

ظاهرة ترك المبيت بمزدلفة

فإن الكلام حول هذا الموضوع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: حكم المبيت بمزدلفة ليلة العاشر من ذي الحجة .

الثاني: حكم العبادة في ليلة مزدلفة .

الثالث: السنة في الانصراف من مزدلفة .

فأقول وبالله التوفيق:

الأمر الأول: حكم المبيت بمزدلفة :

هو واجب من واجبات الحج، والتي لا بد للحاج منها، ومن المعلوم أن واجبات الحج إذا ترك الإنسان شيئًا منها، لزمـه الذبح، وإهراق الدم، وذلك لجبر ما نقص من حجه، ويطعمه لفقراء مكة.

لكن لا ينبغي للمسلم أن يتعمد تـرك الواجبات، فإنه بذلك مخالف لهدي النبي ﷺ ، وقد يضيع أجره بذلك.

والنبي ﷺ كما يقول في حجته: « **خذوا عني مناسككم**» .

وقد ثبـت عنه ﷺ أنه أفاض فـي حجته من عرفـات بعد أن غربت الـشمس وغاب قرصها، فدفـع إلى مزدلفة، فنزل بها وصلـى بها المغرب والعشاء جمعًـا حينما وصل وبات فيها ليلته، إلى أن أصبح فصلى الصبح، ثم ركب ناقته، حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة، فدعا الله وكبَّره، وهلله ووحَّده، فلم يزل واقفًا حتى أسفر جداً فدفع قبل أن تـطلع الشمس. . إلخ ، والحديث قـد أخرجه مسلم وغيره فـثبت بذلك وجوب المبيت بمزدلفة ليلة العاشر من ذي الحجة.

الأمر الثاني : حكم العبادة فى ليلة المزدلفة:

وأعني بذلك حكم إحـياء هذه الليلة بالقيام والذكر والدعـاء، والفيصل في ذلك سنة النبـي ﷺ ، فإنه كما في حديث جـابر الطويل الذي رواه مسلـم وغيره، وفيه خبر حجة الوداع كاملاً، وقال: « ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصواء الزمام - أي ضمه وضيقه- حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى: أيها الناس السكينـة السكينة ، كلما أتى جـبلاً من الجبال ، أي تلاً من التلال ، أرخى لـها قليلاً حتى تصعد حتـى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشـاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينـهما شيئًا ، ثم اضطجع رسـول الله ﷺ حتى طلع الفجر، وصـلى الفجر حين تبين له الصبـح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعـر الحرام، فاستقبل القبلـة، فدعاه وكبره وهلـله، ووحده فلم يزل واقفًـا حتى أسفر جداً، فـدفع قبل أن تطلع الشمس.

فالحديـث صريح وواضح في أن النـبي ﷺ لم يفعـل في مزدلفة شيـئًا سوى صلاة المغرب والعـشاء حين وصوله جمعًا وقـصراً، بأذان وإقامتين، ولم يتـنفل بشيء بينهما ثم اضطجع إلى الفجر، فدل بوضوح على أن السنة في تلك الليلة لا تتجاوز ما فعله رسول اللـه ﷺ ، ولعل الحكمة في ذلك - والله أعـلم - أن الحاج يكون قد أرهق في يوم عرفة من الـوقوف وكثرة الدعاء والذكر، فيحتاج إلى الراحـة تلك الليلة حتى يستطيع أن يقوم بأعمال اليوم التالي - يوم النحر - وهذا بالضبط هو ما فعله نبي الله ﷺ في تلك الليلة .

فتحصل مـن ذلك أن قضاء تلك الليلة فـي العبادة مخالفة لسـنة النبي ﷺ ، وأن المرء يكفـيه صلاة المغرب والعـشاء والصبح ، ثم الـدعاء بعد الصبـح إلى اشتداد الإسفار ، وأما ما بين ذلك فالسنة فيه النوم والراحة ، والله تعالى أعلم.

الأمر الثالث : السنة في الانصراف من مزدلفة:

كما سبق وذكرنا في صفة حج النـبي ﷺ فإنه ﷺ وقف يدعو الله ويذكره عند المشعر الحرام بعد صلاة الصبح « حتى أسفر جداً ، فدفع قبل أن تطلع الشمس. . حتى أتى بطن محسر - وهو وادٍ بين مزدلفـة ومنى - فحرك قليلاً : أي أسرع شيئًا - ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج علـى الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة. فرماها بسبع حصيات، يكـبر مع كل حصاة منها، حصى الخذف ، رمي من بطن الوادي ، ثم انصرف إلى المنحر.

فدل ذلك على أن السنة عند الانصراف من مزدلفة ألا يدفع المرء إلا بعد الإسفار جداً غير أنه قد رخـص للضعفة والنساء في الانـصراف قبل الفجر من مزدلفـة، تجنبيًا لهم لمشقة الزحـام، وقد أخرج مسلم وغيره من حديث ابن عـباس رضي الله عنهما قال: «بعثني رسول الله ﷺ في الثقل - أو قال في الضعفـة - من جمع بليل» وجمع علم على مزدلفة .

وأخرج مسلم وغـيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنـت سودة رسول الله ﷺ ليلة المـزدلفة تدفع قبلـه، وقبل حطمة الناس، وكـانت امرأة ثبطة - أي ثقـيلة - فأذن لها. فخرجت قـبل دفعه، وحبسنا حتى أصـبحنا فدفعنا بدفعـه، ولأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ كـما استأذنته سودة فـأكون أدفع بإذنه ، أحب إليّ مـن مفروح به» تقصد رضي الله عنها أنها لـو كانت قد استأذنت من رسول الله ﷺ كمـا فعلت سودة أحب إليها مـن أي شيء يفرح به الإنسـان تحسرًا منها رضي الله عنها علـى أنها لم تفعـل فعل سودة رضي الله عنها.

كما أنـه يُسنُّ عند الدفـع من مزدلفة الإسراع فـي بطن محسر، وسـرعة تجاوزه لفعل النبي ﷺ ذلك .

تنبيه هام:

يقع كثير من الحجاج في خطأ وبدعة ومخالفة لـلسنة حيث ينشغلون ليلة مزدلفة بجمع الحصى لـرمي الجمار، ويفوتون على أنفسـهم الراحة تلك الليلة، ومـتابعة سنة النبي ﷺ هذا مع أنه لم يثبت أن النبـي ﷺ أمر أن يلتقط له الحصى من مزدلفة، وإنما ينبغي عليهم متابعة هدي النبي ﷺ .

أما الحصى فإنه إن التقط من مزدلفة أو منى جاز ، ولا فضيلة لحصى مكان على غيره . والله أعلم .

هذا ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد . والحمد لله رب العالمين .

* * *

المبحث الرابع
ظاهرة التطيُّر والتشاؤم

إنَّ المُتأملَ في أحوال الناسِ ليرى منهم العجـبَ العُجابَ ، فكثيرٌ منهم بَلَغُوا من خفَّة عقلهم وقلة علمهم أنْ شاعت بينَهم أفكارٌ وتصوّراتٌ وأوهامٌ وتخيلاتٌ ، هي في مُجملِها مُتَصادمةٌ مع تعاليم وإرشاداتِ الإسلام .

ومن أهمِّ هذه الأفكارِ والتخيلات الفاسدة ، ما شاعَ بيَن الناسِ من التطيرِ - وهو التشـاؤمُ - بأشـياءَ معيَّنة ؛ مـن أيّامٍ وأشـخاصٍ ، أو أسـماء أو طُـيورٍ ، أو بيـوتٍ أو شهورٍ، وغير ذلكَ ، وهذه بدعةٌ خطيرةٌ من أهمِّ وأخطرِ البدَعِ العقديّةِ .

وسوفَ أُقَسِّمُ الكلامَ عنها إلى خمسةِ أقسامٍ :

فالأوّلُ منها : في بـيانِ معنى التطيُّر ، وأصـلُه من الطِّيَرة - بكسـرِ الطاءِ وفتحِ الياء- وهي التشاؤم بـالشيء ، وهي مصدر تطيَّرَ ، وأصلُه أنَّ العـربَ كانوا يَتَشاءمون من طيور مُعيّنَـة ، كالغرابِ والبومة ، ومن بعضِ الحيوانات ، ثـمَّ صارت تُطْلَقُ على عُمومِ التشاؤمِ ، أيّاً كانَ المُتَشاءَمُ منه .

والثاني : في ذكرِ حُكمِ الـتطيرِ شرعًا : وردَ في الحديثِ عـن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: « لا عدوى ولا طيرةَ ولا هامةَ ولا صَفَرَ ولا غُولَ » أخرجه مسلمٌ .

فهنا نفى النَّبيُّ ﷺ العدوى والطيـرةَ - وهي التشاؤمُ - والهامةُ - وهي البومةُ - إذ كانوا يتطيّرونَ بها كذلكَ ، والمقصودُ بقوله : « ولا صَفَرَ » نفيُ ما كانوا عليه من التشاؤمِ بشهرِ صفر ، وزعم أنَّ البلاءَ والمَصائبَ تنزلُ فيه أضعافَ ما تنزلُ في غيرِه ! .

والغولُ ؛ جمعُ غـيلان ، وهم مردةُ الجنِّ المتشكّـلونَ بأشكالٍ مُختلـفة ، وكانوا يَزعمونَ أنَّ الغيلانَ تتراءَى لهم في الصحراءِ ، وتضلّهم عن الطريق لتهلكهم .

والطيرةُ من الشركِ ؛ لقولهِ ﷺ : « من ردَّتـه الطيرةُ عن حاجته فقد أشركَ » وهو حديثٌ صحيحٌ ؛ أخرجه أحمدُ والطـبرانيُّ ، وذلكَ لأنَّ التطيرَ - وهو التشاؤمُ - برؤيةِ طيرٍ أو إنسانٍ ، أو بدخولِ شهرٍ أو نحوِ ذلكَ فيه اعتقادُ أنَّ هذه الأشياءَ لها تأثيرٌ سيئٌ بنفسِها استـقلالاً ، وبغيرِ مشيئة اللَّه تعالى ، واعتقـادُ أنَّ هذه الأشياءَ مخصوصةٌ بشؤمٍ مُعيَّن ! .

وهذا اعتـقادٌ باطلٌ لا أصلَ لـه في الشرعِ ، بل هو مُـخالفٌ للشـرعِ ، كما أنَّ الطيرةَ تؤثرُ على مُواقِـعها ، فينساقُ لها ، فيما يأتي ويذرُ ، فلـذلكَ كانت الطيرةُ من الشركِ .

ولقد أحسنَ من قالَ :

لعمركَ ما تدري الطوارقُ بالحصى　　　ولا زاجراتُ الطيرِ ما اللَّهُ صانعُ

الثالثُ : في ذكرِ صورٍ من التـطيرِ الواقعِ عندَ كثيرٍ من النـاسِ في زماننا ، وهو امتدادٌ لما كانَ موجودًا في الأزمنة السابقة .

فمن هذه الصورِ : الـتشاؤمُ بالغرابِ ، بزعمِ أنَّه نحـسٌ ومُؤْذنٌ بالخرابِ والفراقِ والموتِ ، ولا سيَّما إذا نعقَ عندَ خروجِ الإنسانِ من بيته ، أو غيرِ ذلكَ ! .

وكذلكَ التشاؤمُ بالـبومةِ ، واعتقادُ أنَّ اقترابَها من البيتِ دلـيلٌ على موتِ بعضِ أهله ، وهكذا ! .

ومن هذهِ الصورِ : التشاؤمُ بدارٍ مُعيّنةٍ ، وأنَّها تجلبُ الفقرَ والنحسَ والخرابَ !

ومنها : التشاؤمُ بـشهرٍ مُعينٍ ، كشهرِ صفر ، وأنَّه يُضاعَـفُ فيه البلاءُ ، ولهذا فهم لا يتزوجون أثناءَه ولا يُسافرونَ ! .

وهكذا يتشاءَمُ البعضُ من شهر شوال أو ذي القعدة ، فلا يتزوَّجونَ فيها بدعوى أنَّه شهرٌ واقعٌ بيَن عيدينِ ، أو أنَّه يحدثُ فيه كذا وكذا ... إلخ .

ومنهم من يتشاءمُ بشهرِ محرَّمٍ ، بـزعمِ أنَّه قُتلَ فيه الحسينُ ؓ ، فلا زواجَ فيه ولا نكاحَ ، وغير ذلكَ من التُّرهاتِ !! .

ومنها : التشاؤمُ بشخصٍ مُعينٍ ، واعتقـادُ أنّه نحسٌ ، وأنَّ رؤيتَه ومُقابلتَه تجلبُ الخرابَ ، ولا سيّما إذا كانَ أعورَ أو مجذومًا أو غيرَ ذلكَ .

ومنها : التشاؤمُ بيوم مُعينٍ! كيومِ الأربعاء !! .

ومن العجيبِ أنَّ السفهَ بلغَ ببعضِ النـاسِ أنَّهم يتشاءَمونَ بيومِ الجُمعة ، رغمَ أنَّه خير يوم طـلعت عليه الشـمسُ ؛ بل هو أكثرُ الأيّـام بركةً ، وكذلكَ يتشـاءَمونَ بأيامِ الشهـرِ التي تُعدُّ بـالأُصبعِ الأوسطِ وهي الثـالثُ والثامنُ ، والـثالث والثامـن عشرَ ، والثالثُ والثامنُ والعشرونَ !! .

ومنها الـتشاؤمُ بعددٍ مُعـيّنٍ كرقمِ ١٣ مثلاً ، فلا يُـسافرُ ، ولا يشتري شـيئًا في اليوم الثالث عشرَ ، ولا يَسكنُ في منزلٍ برقمِ ١٣ ، ولا يفعلُ شيئًا له علاقةٌ برقم ١٣ من قريبٍ أو بعـيدٍ ، وهذهِ عقيدةٌ نصرانيّةٌ فـاسدةٌ ، لها صلةٌ بحادثةِ الصَّلبِ المشهورةِ عندَهم !! .

ومنها : التشاؤمُ باسمٍ مُعيّنٍ ! ومن السَّخفِ أنَّ ناسًا يتشاءَمونَ من أسماء فاضلة مثل عمرَ وعثمانَ وعليٍّ وغير ذلكَ ، فلا يُسَـمُّونَ بها ولا يستبشرونَ إذا قابَلوا شخصًا بهذا الاسمِ، ولعلَّ هذا من عقائد الرَّوافضِ والنواصبِ معًا !! .

ومنها : التشاؤمُ بأمكنةٍ معيَّنةٍ ، وجـهاتٍ مُعيَّنةٍ ، وألوانٍ مُعيَّنةٍ كالسوادِ ، وزعم أنه إشارةٌ إلى الموت .

وغيرِ ذلكَ من صورِ التـشاؤمِ الشائعةِ بيَن الناسِ ، والتي تدلُّ علـى مبلغِ بُعدهم عن حقيقةِ الإيمانِ ، وعن نورِ اليقينِ ، وعن العـلمِ النافعِ ،ومدى غلبةِ الجهلِ والهَوى عليهم .

الرابع : في ذكرِ التوفيقِ بينَ الأدلةِ في هذا البابِ ، لأنَّ هذه الأدلةَ على نوعين.

أولهما : أدلةٌ تنـفي التطيرَ والتشاؤمَ مطلقًـا ، ومنها قولُه ﷺ : « **لا عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ وَلا هَامةَ ولا صَفرَ ولا غولَ** »(1) ، وقولُه ﷺ : « **لا ينالُ الدرجاتِ العُلى**

(1) سبق تخريجه

من تكهّنَ أو استقسَمَ أو رَجَعَ من سفر تطيّرًا » أخرجه تمّامٌ والطبرانيُّ – كما في «سلسلة الأحاديث الصحيحة » (٢١٦١) ، وقوله : « الطيرةُ شركٌ » أخرجه أبو داودَ والترمذيُّ، وغير ذلك من الأحاديث والآثار في الباب .

ثانيهما : أحاديثُ قد يُفْهَمُ منها وُجودُ الشؤمِ في بعض الأشياء ، وذلكَ في مثلِ قولِه ﷺ : « **إنْ كانَ الشؤمُ في شيءٍ ففي الدارِ والمرأةِ والفرسِ** » متفقٌ عليه ، وما في معناه .

فللتَّوفيقِ بينَ هذه الأحاديث أقولُ – واللَّهُ أعلمُ – : إنَّ المَقصودَ من الأحاديث التي في القسمِ الأولِ نفيُ التطير بمعنى نفي وإبطالِ ما كان عليه الناسُ قديمًا ، وما زالَ عليه طوائفُ منهم ، ومن التطير بما ذكرَ من اسم شخصٍ ، أو طيرٍ أو حيوان ، أو مكانٍ أو يومٍ ، أو شهرٍ ، أو غيرِ ذلكَ ، وبيانُ أنَّ هذه الأشياءَ لا تأثيرَ لها ، وليست دليلاً على وجودِ الشؤمِ والنحسِ حقًا ، ولا يَجوزُ أن يتخذَها الإنسانُ مُعتمدًا لما يفعلُ أو يتركُ ، فكلُّ هذا يُنافي التوحيدَ الَّذى أمرَ اللَّهُ تعالى به ، ويُنافى اعتقادَ أن لا تأثيرَ لشيءٍ بغير إذن اللَّهِ تعالى .

وأمّا الأدلةُ في القسم الثاني كحديث : « إنْ كانَ الشؤمُ في شيء . . » فهذا الحديثُ لم يُثْبِت وُجودَ الشؤمِ ، فلا يُعَدُّ مُختلفًا مع ما قبلَه ، ولكن يُفهمُ منه أنّه إذا وُجِدَ الشؤمُ فرضًا ، فإنَّه في هذه الثلاث .

ثمَّ إنَّ الشؤم المقصودَ في الحديثِ ليسَ هو ما يقصدهُ الناسُ ويفهمونَه ويقعونَ فيه، وإنَّما المُرادُ بشؤمِ الدارِ ما يُشيرُ إلى ضيقِها ،وكثرة متاعب أهلها فيها ، والمُرادُ بشؤمِ المرأة أنْ تكونَ سيئةَ الخُلق ، سليطةَ اللّسان ، مؤذيةً لزوجها ، مُتلفةً لماله ، فهذا هو شؤمُ المرأة ، وشؤمُ الفرسِ أن لا يحملَ عليها في سبيلِ اللَّه ، وأن يفتخرَ بها صاحبها ، وأنَ تُلهيَه عن طاعة اللَّه ، فهذا هو الشؤمُ المُتصوَّرُ من هذه الثلاث .

وأمّا الشؤمُ بمعنى ما يفهمُه الناسُ من وُجودِ خاصيّةٍ مُعيّنة في شيء ما ، أو سمةٍ فيه ، فلا طيرةَ في ذلكَ ولا شك .

هذا هو التوفيقَ بيَن الأدلةِ في البابِ ، والعلمُ عندَ اللَّهِ تعالى .

الخامسُ : كيفيةُ التغلُّبِ على هذه الآفة والتخلص منها :

ولا يكونُ ذلكَ ، ولا يتحققُ إلا بعدة عواملَ ؛ أوجزُها فيما يلي :

١ – الفهم الصحيحُ ، والإيمانُ الجازمُ بأنَّ اللَّهَ تعالى هو الذي بيده مُلْكُ كلِّ شيء ، وأنْ لا أثرَ لشيءٍ بغير إذنه ، وأنَّه تعالى لم يَجعل في مجرَّدِ الاسمِ ، أو في مجرَّد الرَّقمِ خصيصة تُحْدثُ تأثيرًا يستوجبُ اجتنابَها .

٢ – العلمُ بما وردَ عن النَّبيِّ ﷺ من النهي عن الطيرة ، ونفيها ، والتحذير منها والتغليظ من شأنها ، ومنه قولُه ﷺ : « **من ردّته الطيرةُ عن حاجته فقد أشركَ** »[1] ، وقولُه : « **الطيرةُ شركٌ** »[2] ، وقولُه : « **لا عدوى ولا طيرةَ** »[3] .

وكذلكَ علمُ الشخصِ بالثوابِ الجزيلِ المُترتبِ على عدمِ التطير ، كما في حديث السبعينَ ألفًا الَّذينَ يَدخلونَ الجنَّةَ بغير حساب : « هم الَّذينَ لا يسترقونَ ولا يكتوونَ ولا يتطيّرونَ ، وعلى ربِّهم يتوكّلونَ » أخرجَه مسلمٌ وغيرهُ ، فإذا فهم الإنسانُ ذلكَ، وعرف خُطورةَ هذا الأمرِ ، وثواب التباعدِ ، اجتنَبَه ولا شكَّ .

٣ – إحسانُ التوكلِ على اللَّه تعالى، فإنَّ هذا التوكلَ يقْضي على التطيرِ والتشاؤم.

٤ – أن يقولَ المرءُ : « اللّهمَّ لا خيرَ إلا خيرُك ، ولا طيرَ إلا طيرُكَ ، ولا إلهَ غيرُك » أخرجه أحمدُ وغيرُهُ .

٥ – أن يُقْدمَ الإنسانُ على الشيءِ ممّا أرادَه ثقة باللَّهِ تعالى وتوكُّلاً عليه ، ويقينًا بأنَ لن يكونَ هناكَ شؤمٌ أو غيرُه .

فهذه العواملُ ممّا يُعينُ على التخلُّصِ من هذه العادة الذميمة المُتناقضة مع التوكلِ على اللَّه تعالى ، وعسى أن يكون ذلكَ إصلاحًا لعقائدَ المُسلمينَ ، ولسلوكِهم ، وتنقيةً لعقائدِهم من الشوائبِ والخُرافاتِ ، واللَّه الهادي إلى سواءِ السَّبيل .

(١) سبق تخريجه .
(٢) رواه أبو داود والترمذي
(٣) سبق تخريجه .

المبحث الخامس
ظاهرة انتشار الرقى والتمائم

فقد انشغل الناس جداً بموضوع الرقى *والتمائم* ، وخصوصًا بعد انتشار الأمراض المتعددة الكثيرة ، وقد دخل هذا المجال من ليس من أهله ، وشرقوا فيه وغربوا ، لذلك رأيت أن أتكلم حول هذا الموضوع فأقول :

أولاً : علاقة الرقى والتمائم بالعقيدة :

١- إن من شروط الرقية الشرعية والتميمة الشرعية عند من يجوزها أن تكون بالقرآن أو السنة الصحيحة ، وذلك من باب الحذر من الوقوع في الشرك وأعماله ، والقرآن والسنة هما المصدر الصافي والصحيح للعقيدة المنجية من النار ، فمن كان قصر الرقية، وقصر التميمة - عند من يجوزها - على الكتاب والسنة فلأجل حفظ هذه العقيدة .

٢ - إن الرقى والتمائم ترتبط بأعمال القلب ، فهي إن اقترنت باعتقاد أن النافع الضار هو الله وحده ، وكان التوكل عليه لا عليها ، كانت صحيحة مشروعة ، وإن حادت عن ذلك كانت شركًا بالله .

٣ - إن العلماء قد أجمعوا على كفر من رقى بأسماء الشياطين والجن وغير ذلك معتقدًا نفعهم ملتجئًا إليهم ، أو تعلق تميمة بأسمائهم وغير ذلك ، فمن هنا كانت الرقى والتمائم التي يستعان فيها ويستعاذ بغير الله تعالى شركًا أكبر مخرجًا من الملة ، فهي منافية للعقيدة في هذه الحال .

ثانيًا : معنى الرقية والتميمة :

الرقية : هى ما يحصَّن به الإنسان من أذكار وأدعية ونحوها ، وذلك إما لرفع بلاء واقع كمرض ونحوه ، أو لدفع بلاء يخشى وقوعه .

التميمة : هي قلادة ونحوها من خرزات أو ما يشبهها تعلق في الرقبة أو اليد ونحوها وذلك بقصد دفع الآفات أو التوقي من العين .

ثالثًا : أنواع الرقى مع التمثيل :

الرقى نوعان :

النوع الأول : الرقية الشرعية ، وهي التي يجوز الاسترقاء بها ، بشرط أن تكون بالقرآن أو بالسنة أو بأسماء الله وصفاته ، وباللغة العربية أو بما يفهم معناه من لغة أخرى ، وأن لا يعتقد أنها مؤثرة بذاتها ، ومثال على ذلك : الرقية بالفاتحة ، أو بالمعوذات ونحو ذلك ، فتقرأ على الشخص المريض أو المحتاج للرقية ، كما حدث لأبي سعيد الخدرى - رضى الله عنه - حين قرأ على الرجل اللديغ بفاتحة الكتاب فشُفِيَ بإذن الله تعالى على الفور .

وقد تكون الرقية بالنفث أو التفل أو النفخ ومسح مكان الألم ، كما كان النبي ﷺ « إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده » متفق عليه من حديث عائشة .

وكذلك كان ﷺ « إذا مرض أحد من أهل بيته نفث عليهم بالمعوذات » أخرجه مسلم عن عائشة ، وقد تكون الرقية من غير نفث ، كما قال ﷺ لعثمان بن أبي العاص الثقفي حين اشتكى من ألم في جسده : « ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : بسم الله - ثلاثًا - وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » أخرجه مسلم .

النوع الثاني : الرقى غير الشرعية : وهي ما كان بغير الكتاب والسنة ، أو كان بلغة غير مفهومة أو باعتقاد أنها تنفع بنفسها .

مثل : الرقى التى يستغاث فيها بالجن والشياطين ونحوهم ، أو يُلْتَجَأ فيها إليهم، وكذلك ما كان عبارة عن طلاسم وألفاظ غير مفهومة المعانى ، لاحتمال أن يكون فيها

إشراك بالله تـعالى ، وكذلك الرقى التي يعـتقد الراقي أنها تنفع بـغير إذن الله ؛ لأن فيها اعـتمادًا وتوكلاً علـى غير الله ، قال تـعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[(1)].

وهنا سؤال : فقد يقول البعض :

هل من الرقية الشرعية الكتابة على أوراق وبالزعفران لشيء من الآيات القرآنية ؟

وأقول :

لم يـرد عن النبـي ﷺ أو أصحابه أنـهم فعـلوا ذلك ، وغايـة ما يستـدل به الآخذون بهذا الأسلوب هو رواية تجوِّز ذلك وردت عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى، ولكن الإمام احمد لم يـكن يقصد بالتأكيد تحول الأمر إلى تجارة وحـرفة ، بحيث تباع الأوراق المكتوب عـليها ذلك في الأسواق، وتحدث مـغالاة في أسعار بيعهـا، وتنافس لأجل ترويجها ، وغير ذلك مما هو شائع فى هذه الأيام ، حيث أصبحت هذه الأوراق وأمثالها تباع بأسـعار عالية إذا كان كاتبها مشهوراً والعكـس إذا كان الكاتب مغموراً ، ويزعمون أن هذه قراءة أو كتابه مركزة وهذه غـير مركزة ، إلى آخر هذا الهذيان الذي نسمع به في أيامنا .

رابعًا : أنواع التمائم مع التمثيل :

التمائم نوعان :

الأول : مختلف في جوازه وهو ما كان فيه تعليق لآيات من القرآن مثلاً في حرز وتعلق في عنق الشخص ، وهذا قد أجازه جمـاعة من الصحابة ومن بعدهم ، ومنعه آخرون لعموم النهي عـن تعليق التمائم ، وليس هناك دليل علـى التخصيص ، وأيضًا حتى لا يتعرض للامتـهان عند الخلاء ونحوه ، وحتى لا يكون ذريعة لتـعليق ما ليس بقرآن، والقول الثانى أصح وأصوب . والله أعلم .

---

(1) المائدة : ٢٣

النوع الـثانى : ما كان فيـه تعليق لطـلاسم وأشياء فيهـا تعوذ بالجن والشـياطين ونحوهم ، أو شكل لرِجْـل أو لحدْوَة حصان ونحوها للتحرز بهـا من العين وغيرها ، وهذا متفق على تحريمه وعلى أنه من الشرك .

خامسًا : حكم أخذ الأجرة على الرقية :

يجوز أخذ الأجـرة على الرقية ، والدليـل على ذلك حديث أبي سـعيد الخدري حين رفض أن يرقـى للرجل اللديغ إلا بـأجرة ، ولما عرضوا الأمر علـى النبي ﷺ أقرهم حين قال : « **اقسِمُوا واضْرِبوا لى معكُمْ بسَهْم** » رواه البخاري.

غير أنه ينبغي التفطن إلى أن الأجرة ليسـت مقصودة لذاتها كما يحدث في أيامنا هذه ، ولا ينبـغي المغالاة فيهـا ، ووضع تسعيرة لـكل نوع من الرقيـة ، أو رفع سعر الرقية بشكل فردي عـن التي تكون بشكل جماعي . ورفع سعر المـاء المقروء عليه في عبوة خاصة عن سعر الذي قرئ عليه ضمن مجموعة أخرى من الأوانى وكذا الزيت ، وغـير ذلك من الأشـياء الموجودة في زماننا ، والتي تسيء إلى مـبدأ العلاج الشرعى إسـاءة بالغة .

سادسًا : أخطاء ومخالفات فى مجال التداوي بالرقى :

وهي للأسف كثيرة جداً ، أذكر منها :

١ - بيع عبوات من الماء أو الزيت المقروء عليه بأسعار متفاوتة ، بحيث إذا كانت العبوة مأخوذة من برميل قرئ عليه بيعـت بسعر أقل ، وإذا كانت مقروءًا عليها بشكل خاص ومنفرد بيعت بسعر أعلى .

٢ - القراءة بشـكل جماعي علـى مجموعة من المـرضى ، وبشكل منـفرد على آخرين ، وادعاء أن ذلك بسـبب التفاوت في الأجرة ، فالذى يريد قـراءة منفردة يدفع سعرًا أعلى .

٣ - وضع تسعيرة للاستشارة وأخرى للعلاج بالفعل ، وتعليق قائمة بالأسعار .

٤ - الخلوة بالنسوة المريضات أثناء العلاج ، وقد يؤدي الأمر إلى مفاسد خطيرة من فعل فاحشة ونحوها ، كما حدث بالفعل مع البعض نتيجة للخلوة التي حرمها الله تعالى ، أو وضع اليد على أجزاء من أجساد النسوة بحجة العلاج ، وتكشف بعض النسوة أثناء حالات الصرع ونحوها ، أو ذهابهن متبرجات عند الراقي . وغير ذلك من الممارسات الخاطئة ، وفيما ذكرت كفاية .

وفي الختام أنبه على أن كل ما يمر به الناس في أيامنا مرده الغفلة عن ذكر الله تعالى والبعد عن طاعته ، وأن الحل يكمن في الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، والأخذ بهما بقوة ، والاعتصام بالله تعالى ، فهو خير عاصم ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

المبحث السادس
تعقيب على الشيخ العمري حول الرقية

وقفت على رد وتعليق الشيخ / عبد الله السدحان ، على كلام الشيخ/ علي مشرف العمري الذي نشر في مجلة «المجلة» وتعليق الشيخ السدحان موجود في مجلة «الدعوة» العدد رقم (١٤٩٦) بتاريخ ٢٤/١/١٤١٦هـ .

وقد وجدت التعليق المذكور مفيدًا جداً ، مجتهدًا في بيان الحق، وفي الرد على كلام العمري المذكور ، ثم رأيت أن أدلي بدلوي في هذا الموضوع راجيًا من الله التوفيق لبيان وجه الحق في تلك المسألة فأقول وبالله التوفيق.

أولاً: إثبات أن القرآن شفاء من كل داء : شفاء كل الأمراض الروحية والقلبية والنفسية والعضوية.

١- قال الله تعالى: ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ ومن هنا للجنس وليست للتبعيض ، فإن جنس القرآن كله شفاء، وليس بعضه دون بعض، لكن إنما ينتفع به المؤمنون فقط، فلذلك خصهم الله تعالى بالذكر، قال السعدي في تفسير الآية : «فالشفاء الذي تضمنه القرآن، عام لشفاء القلوب من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها» .اهـ.

٢- وقال عز وجل : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء** ﴾ والقول فيها كالقول في الآية السابقة سواءً بسواء ، قال السعدي في تفسير الآية: أي يهديهم لطريق الرشد. وشفاء لهم من الأسقام البدنية ، والأسقام القلبية» .اهـ .

٣- ما أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة اللديغ حيث رقاه الصحابي - هو أبو سعيد في بعض روايات الحديث - رقاه بفاتحة الكتاب علاجًا له من لدغة العقرب وقد اشترط الصحابي عليهم أجرًا مقابل الرقية،

فلما ذكروا ذلك للنبي ﷺ **قال: «وما أدراك أنها رقية ؟ اقسموا واضربوا لي معكم بسهم»**[1] .

فأقر النبي ﷺ أصحابه الاستشفاء والرقية بالفاتحة من داء عضوي، هو اللدغة، ولو أن الأمر على ما ذكره العمري وأمثاله، أقول لو أنهم رأوا لديغًا لكان أول ما يفعلونه ويقولونه : اذهب إلى المستشفى لتعاطي المصل المضاد، ولغاب عنهم هذا الحديث . أقول هذا مع أني لا أنكر ولا أعارض الاستشفاء بالأمصال والعقاقير ونحوها، وإنما المقصود فقط بيان أن القرآن شفاء حتى من الأدواء العضوية.

وقد نقل ابن حجر عن ابن القيم رحمه الله كلامًا نافعًا حول الاستشفاء بالفاتحة.

فقال – رحمه الله بعد سوق بعض فضلها وفوائدها وخصائصها –: « وحقيق بسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من كل داء » [2].

وقال النووي – رحمه الله – في شرح الحديث : « فيه التصريح بأنها رقية، فيستحب أن يقرأ بها على اللديغ والمريض وسائر أصحاب الأسقام والعاهات» [3] اهـ.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا الحديث: « فقد أثر هذا الدواء في هذا الداء وأزاله حتى كأنه لم يكن، وهو أسهل دواء وأيسره، ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيرًا عجيبًا في الشفاء ومكثت بمكة مدة يعتريني أدواء ولا أجد طبيبًا ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألمًا، فكان كثير منهم يبرأ سريعًا، ولكن ههنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن الأذكار والآيات أو الأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها: هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل. وقوة وهمة الفاعل وتأثيره ، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء. «الداء والدواء ص:١٢».

(١) البخاري ٢٢٧٦ ، ٥٠٠٧ ، ٥٧٣٦ ومسلم (٢٢٠١) .
(٢) الفتح (١٠/٢٠٩) .
(٣) شرح صحيح مسلم (١٤/٢٦٩ : ٢٧٠)

فلا شك في أن القرآن شفاء من كل الأدواء، ولكن بحسب ما قدر الله تعالى من قوة الهمة عند المعالج، والتيقن والقبول من المريض، وعموم قوله تعالى: «شفاء» يوضح أنه لا يستثنى منه شيء دون شيء، بل هو شفاء من جميع الأمراض، النفسي منها والروحي والبدني أيضًا، لكن على حسب الإخلاص واليقين والقبول من المريض والمعالج.

ثانيًا: إثبات أن الجني قد يتلبس بالإنسان: إن هذا الموضوع مما كثرت فيه الأقوال، وتنوعت فيه الاجتهادات ، والحق أن الجني قد يتلبس الإنسان بأن يدخل في بدنه، فيسبب له الأذى، أو الوساوس الشديدة والتخيلات الفاسدة وليس المقصود أن كل حالات الصرع هي من هذا الجنس، أو أن كل التخيلات والأوهام من هذا الجنس، فإن منها ما قد يكون مرده مرضًا نفسانيًا، أو عضويًا أو غير ذلك، ولكن هذا لا يمنع من وجود حالات يكون سبب الصرع فيها بسبب الجن أو نحو ذلك، والنصوص الشرعية تجيز ذلك ولا تمنعه، وأنا أذكر طرفًا منها إن شاء الله.

١- قال الله عز وجل: **﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾** فهذه الآية توضح حال أهل الربا يوم القيامة وهو أنهم يقومون من قبورهم مصروعين مخبولين كالذي يتخبطه الشيطان ويصرعه من الجنون، وذلك خزي لهم يوم القيامة ففي هذه الآية إثبات لأن الجن قد يصرع الإنسان ويحدث له هذه الحالات من الصرع والخبل.

٢- حديث عثمان بن أبي العاص، قال : لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي، حتى ما أدري ما أصلي فلما رأيت ذلك، رحلت إلى رسول الله ﷺ قال: أين أبي العاص؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: ما جاء بك؟ . قلت: يا رسول الله : عرض لي شيء في صلواتي، حتى ما أدري ما أصلي . **قال: « ذاك الشيطان ، أدنه فدنوت منه، فجلست على صدور قدمي، قال: فضرب صدري بيده ، وتفل في فمي ، وقال: اخرج عدو الله ، ففعل ذلك ثلاث**

مرات، **ثم قال: «الحق بعملك»** [1] . وقد أخبر عثمان أنه لم يخالطه بعد ذلك.

٣- حديث أبي سعيد المتفق عليه أن النبي ﷺ قال: « **إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه، فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب**».

فهذا الحديث نص على جواز دخول الشيطان بدن الآدمي، ولئن جاز أن يدخل الشيطان بدن الإنسان مع التثاؤب، فإنه يجوز دخوله بدنه متلبسًا له إن كان فاسقًا عاريًا من ذكر الله تعالى، وكذلك إذا تسبب الآدمي في إيذاء الجن.

٤- حديث يعلى بن مرة قال: رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثًا لقد خرجت في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها، فقالت : يا رسول الله هذا صبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة؟ - أي يتلبسه جان- **قال: ناولنيه ، فرفعته إليه فجعلته بينه وبين واسطة الرحل، ثم فغر فاه فنفث فيه ثلاثًا وقال: « بسم الله أنا عبد الله أخسأ عدو الله، ثم ناولها إياه ، فقال: ألقينا في الرجعة في هذا المكان فأخبرينا ما فعل. قال: فذهبنا ورجعنا فوجدنا في ذلك المكان معها شياه ثلاث، فقال: ما فعل صبيك؟» قالت: والذي بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئًا حتى الساعة، واجتزر هذه الغنم، فقال: « انزل خذ منها واحدة ورد البقية»**[2] .

٥- قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٢٤/ ٢٧٦) « دخول الجان بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة» ، وقال: (١٩/ ٢٣، ٤٢، ٥٥) وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك.

٦- نقل السدحان في رده المذكور على العمري بعضًا من كلام الإمام أحمد وغيره في إثبات دخول الجن بدن المصروع.

(١) صحيح ابن ماجه (٢٨٥٨) .

(٢) قال الهيثمي رواه أحمد بإسنادين والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٩ / ٦) .

وأرى - والله أعلم - أنه لا يسوغ لأحد أن ينكر ذلك الأمر، ويتفلسف في تفسير وتبرير كل ما يظهر من تصرفات الإنسان بأنه راجع إلى أمراض نفسية، وكأن هؤلاء المنكرين لتلبس الجان للإنسان إنما يروجون لعيادات الطب النفسي والتي وإن كانت تنفع في أشياء، إلا أنها لا تنفع في كثير من الأحيان، بل يعجز أطباؤها عن تفسير بعض - بل كثير - من هذه الأعراض فضلاً عن علاجها.

ثالثًا: مناقشة مع العمري في بعض ما ذكره:

١- كلامه عن وجود بعض - أو كثير - من الجهال الذين خاضوا هذا المجال شعوذة منهم ودجلاً وتكسبًا للمال وخداعًا للناس، وهذا وإن كان صحيحًا إلى حد كبير، إلا أنه لا يمنع من وجود آخرين ممن يكونون صادقين في أدائهم لهذا العمل، ولا يقصدون به التكسب، ولا يخدعون الناس والحل حينئذ يتمثل في محاربة الصنف الأول، وليس في تشويه صورة الجميع، أو صد الناس عنهم، وإجبار الناس على عيادات الطب النفسي التي قد تنجح في علاج بعض الحالات، لكنها لا يمكن أن تنجح في علاج جميع الحالات، فالواجب حينئذ الاهتمام من قبل ولاة الأمور بمحاربة الصنف الأول من الجهال والمشعوذين الذين خاضوا هذا المجال، وكثير منهم لا صبر له على فتنة النساء، أو فتنة المال، بل إن البعض منهم حديثو عهد بالهداية أصلاً، وليس عندهم من العلم والزهد والتقوى ما يؤهلهم لخوض غمار هذا النوع من أنواع العلاج.

٢- ما ذكره من أن القرآن ليس شفاء للأمراض العضوية كلام باطل ومردود عليه ويكفي ما ذكرته في أول هذه المقالة للدلالة على ذلك، غير أن الاستشفاء بالقرآن يتوقف على مدى إخلاص القارئ المعالج، ومدى يقينه وتقواه، وكذلك مدى اقتناع المريض بهذا الدواء وتوكله على الله تعالى، فما ذكر من وجود حالات لم يصلح القرآن في علاجها فإن الخلل إنما حدث من ضعف اليقين والتقوى عند أحد الطرفين أو كليهما.

٣- ما ذكره من أن الرقية تكون من العين فقط، هذا كلام مردود، والنبي ﷺ قد رقى من غير العين، وأذن في تلك الرقية من العين، ومن سم العقرب، ومن النملة (قروح تخرج في الجنب) وغير ذلك، ومعنى الحديث أنه لا رقية أنفع من رقية العين، وقد ذكر النووي وابن القيم وغيرهما كلامًا طويلاً حول هذا الموضوع، فالعمري -هداه الله- قد استدل بجزء من الحديث، وترك الاستدلال بالباقي لحاجة في نفسه.

٤- ذكر العمري أنه وجد تفسيرًا لمعظم تلك الظواهر في كتب علم النفس، وهذه الكتب إما كتبها أناس غير مسلمين، أو مسلمون متأثرون بغير المسلمين، ففسروا كل الظواهر غير العادية تفسيرات مادية بحتة أهملت جانب إثبات الجن وتأثيرهم، فتأثر بهم المسلمون الذين كتبوا في هذا الباب، وأصبحت كل المظاهر والأعراض ناشئة عن الاكتئاب والشيزوفرينيا والبارانويا وغير ذلك، وذلك راجع إلى إنكار هؤلاء الكفار لوجود الجن، بل إن مدارس الطب النفسي في النمسا وغيرها تحاول تفسير أشياء لا تفسير لها إلا بأنها من فعل الشياطين يحاولن تفسيرها على أنها أشياء نفسية أو أنها من باب تناسخ الأرواح ونحو ذلك، هذا مع العلم أن رجال الدين منهم لا ينكرون وجود الشياطين وتلبسها بالإنسان أحيانًا؛ بل إنهم قد نقلوا في الكتاب المقدس عندهم أن المسيح عليه السلام قال لتلاميذه «وباسمي تخرجون الشياطين». أي من بدن المصروع الذي تلبسه الشيطان، وكذلك يقوم كثير من رجال الدين النصارى بعلاج الممسوسين من الجن بالضرب، وغير ذلك، غير أنهم يستغلون ذلك لتنصير من استطاعوا من الجهال، وهذا واقع في بعض البلدان العربية كمصر، ويعرفه الكثير من الناس هناك.

٥- قوله: إن السرطان لا يعالج بالقرآن: وهذا استهانة منه بشأن القرآن وقدرته على الشفاء بإذن الله ولك ما في الأمر أن المسألة متوقفة على إخلاص وتقوى ويقين الطرفين في العلاج، لكن لا يمكنه إنكار قدرة القرآن على الشفاء، وهناك كثير من الحالات عولج فيها أشخاص من السرطان بالقرآن، وشفوا بإذن الله، أما العلاج الطبي فإنه إن نجح في علاج بعض حالات السرطان، فإنه لا ينجح في أكثرها وتكون

نهاية المريض الموت كما هو معلوم ومشاهد، فلماذا لا ينكر العمري وأمثاله جدوى الطب الحديث في علاج هذا المرض.

٦- قوله: إن أقل من أربع شربات للعسل لا تنفع: واستدل بحديث: صدق الله وكذب بطن أخيك، وهذا استدلال فيه نظر، بل يمكن أن يقال إن الرجل لم يكن عنده اليقين الكافي حتى رأى إصرار الرسول ﷺ، وقوله صدق الله وكذب بطن أخيك، فحينئذ وجد عنده اليقين الكافي، فنفع العلاج بإذن الله.

٧- قوله: إن الرسول ﷺ وصف أنواعًا من العلاج غير القرآن كالحجامة والحناء والعسل وغيرها، هذا كلام صحيح، لكنه لا يمنع من كون القرآن شفاء من هذه الأمراض أيضًا، غير أنه تعليم منه ﷺ لاستعمال الأسباب إن كانت نافعة، وخصوصًا أنه ليس كل الناس عنده من التقوى واليقين ما يكفي للاستشفاء بالقرآن من كل شيء.

٨- إذا كان العمري قد أقر بنفع العسل وغيره في علاج بعض الأمراض، فهل يقر كثير من أهل الطب بذلك؟ الواقع أن الكثيرين منهم لا يؤمن بأن في العسل خاصية الشفاء من كثير من الأمراض، بل هم ينكرون ذلك ويفضلون عليه الأدوية الحديثة التي قد تنفع وقد لا تنفع.

٩- قوله بأنه أول من فتح هذا الباب، وأنه أول من سيغلقه، يا أخي ليس هذا هو الحل، الحل في ضبط هذا العلاج ووضع قيود وضوابط تحول دون اتخاذه مهنة وحرفة، ودون استغلاله استغلالاً سيئًا، وليس بمنعه، والتفرغ لعيادات الطب النفسي والتي أصبح العمري من كبار الدعاة إلى ارتيادها.

وفي النهاية أسأل الله تعالى أن يبصر الجميع بما فيه الخير لهم في الدنيا والآخرة، وأن يعصمنا جميعًا من الزيغ والضلال، هو ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث السابع

الخادمات وأثرهن على الأسرة والمجتمع

فمنذ سنوات مضـت ، كان البيت العربي عاماً والخليجـي خاصاً ، لا يعاني من وجود كائن غريب وسـط الأسرة ، غريب في عاداته وتقاليده ، بل حـتى في دينه في كثير من الأحيان ، وأعني بذلك الكائـن (الخادمة) ، وكان السبب في ذلك هو قيام الأم بأعمال المنـزل وتربية الأولاد ، وغير ذلك . ولكن دار الـزمن دورته ، وخرجت المرأة للتعلم والعمل ، وحاولت أن تنافـس الرجل في كل مجال ، معتقدة أن المرأة لن تحقق ذاتها ووجودها ولن تتساوى مع الرجل فـي كل شيء إلا بمزاحمتها له في التعلم والعمل وغير ذلك ، وبغض النظر عن هذه المـبادئ الخاطئة والتي ليس هذا مجال الرد عليها ، فإن من الـعواقب الوخيمة التي نشأت من جـراء ذلك ، وجود الخادمة داخل البيت بما تحمله من تصورات وأفكار ، وعادات وأخلاق ، تتنافى في كثير من الأحيان بل في غالبها مـع مقتضيات ديننا ، ومع عاداتنا وتـقاليد مجتمعاتنا العـربية المسلمة . واتسع نطاق هذه الظاهرة خصوصًا في دول الخليـج حيث أصبح الكثير من البيوت فيه خادمة أو أكثر ، وأصبحت الخادمة هي المدبرة لشئون البيت في كثير من الأحيان ، بل حتى تـربية الأولاد أصبحت تـتولاها أيضًا وانتـشرت هذه الظاهرة فـي دول أخرى مثل مصر وغيرها ، لكنها أظهر في منطقـة الخليج ، كل هذا جر من الويلات ما لا يعلمه إلا الله تعـالى ، تناقض في الـعقيدة بين الوالـدين وبين الخادمة ، تنـافر في الأخلاق والعادات والـتقاليد ، تـأثير متبـادل نتج عنـه في كثير مـن الأحيان ، تغيـر في أنماط السلوك والأخـلاق حتى عند الوالـدين ، وخصوصًا في حـالة الخادمة غير المـسلمة ، فضلاً عن أن تكـون هذه الخادمة لها هدف بعـيد يتمثل في إفسـاد هذه الأسرة وإفساد نشـئها وتغـيير نـظام حيـاتها ، من هـهنا كـان لابد أن يبـين هذا الأمر بكـل وضوح

وصراحة، وأن يـعالج علاجًـا إسلامياً صحـيحًا ،وأن نتعـرف على كل أبـعاده دونما حساسيات ، فإن المـرض إذا لم نعرف أسبابه وأعراضه بكل وضـوح ، ونواجهه بكل وسيلـة ممكنة استـفحل حتى يـكون سببًـا في هلاك صاحبـه ، وهذا البحث مـحاولة للتعرف على أبعاد هذه الظاهرة في مجتمـعنا ، وآثارها السلبية ، في مجالات متعددة كالناحية العقدية والخلقية والعادات والتربية والتأثير الاجتماعي والاقتصادي لها .

ويتكون هذا البحث من ثلاثة فصول وخاتمة :

الفصل الأول

في أحكام وحقوق الخدم ، وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : حكم اتخاذ الخدم .

المبحث الثاني : حكم استخدام الكفار في بيوت المسلمين

المبحث الثالث : اختيار الخدم .

المبحث الرابع : حقوق الخدم .

الفصل الثاني

ويتعلق بالآثار الناجمة عن استخدام غير المسلمين

في البيوت ، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : الآثار العقدية .

المبحث الثاني : الآثار الخلقية

المبحث الثالث : الآثار التربوية والاجتماعية

(أ) الآثار على الطفل (ب) الآثار على الأسرة

الفصل الثالث

الحلول المقترحة للحد من خطورة الخدم ومشاكلهم

الخاتمة : ويعد هذا البحث بمثابة تنبيه وإنذار لكل من يهمه الأمر حتى يمكن اتخاذ اللازم .

هذا والله أسأل أن ينفع به كل من قرأه والمسلمين عامة وأن يجعله ذخراً لنا يوم المعاد.

وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

الفصل الأول

أحكام وحقوق الخدم

المبحث الأول

حكم اتخاذ الخادم

اختلف أهل العلم هل يجب على المرأة القيام بأعمال البيت كتنظيف المنزل والملابس وطهو الطعام وتهيئة الشراب ونحو ذلك .

واختلفت أقوالهم في ذلك إلى ثلاثة أقوال :

القول الأول : لا تجب الخدمة على الزوجة ، فليس عليها أن تقوم بخدمة بيتها، وممن ذهب إلى ذلك الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي وأهل الظاهر[(١)] .

الثاني : وجوب الخدمة على المرأة في كل شيء .

قال الإمام أبو ثور : « عليها أن تخدم زوجها في كل شيء »[(٢)] .

الثالث : وجوب الخدمة بالمعروف ، ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال ، فخدمة المرأة القوية ليست كخدمة المرأة الضعيفة ، وصوب هذا القول شيخ الإسلام[(٣)] .

والقول الثالث هو الصحيح في نظري ، ذلك أن من حق الزوج على زوجته خدمته في منزله بالمعروف بقضاء حاجاته من طهو الطعام وتهيئة الشراب إلى غير ذلك مما يحتاج إليه الزوج دل على هذا أن فاطمة ﷺ أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يديها من الرحى وتسأله خادمًا فلم تجده فذكرت ذلك لعائشة – رضى الله عنها – فلما جاء رسول الله ﷺ أخبرته . قال على :« فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال : « مكانكما » فجاء فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال :

---

(١) زاد المعاد (١٨٨/٥) . (٢) زاد المعاد (١٨٨/٥) . (٣) مجموع الفتاوى (٣٤/ ٩٠ – ٩١) .

«ألا أدلُّكما عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لكُمَا مما سَألتُمَا ؟ إذا أخَذْتُما مَضَاجعكُمَا فَسَبِّحَا اللَّه ثلاثًا وثَلاثين ، واحْمدَا ثَلاثًا وثَلاثينَ ، وكبّرا أربعًا وثَلاثينَ فهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ »[1] .

فحكم النبي ﷺ على ابنته فاطمة – رضي الله عنها – بالخدمة[2] .

وقول النبي ﷺ لامرأة أتت إليه فى حاجة : « أذاتُ زوج أنت ؟ قالت : نعم. قال : كيف أنت له ؟ قالت : ما آلوه إلا ما عجزت عنه . قال : « **فانظُرِي أينَ أنتِ منهُ فإنما هُوَ جنتكِ ونارُكِ** »[3] .

وكذا قول أسماء بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنها وعن أبيها – : « كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله ، وكان له فرس وكنت أسوسه وكنت أحتش له وأقوم عليه »[4] .

قلت : ويترتب على هذا الخلاف المتقدم ذكره أن من قال بعدم وجوب الخدمة في حق الزوجة على زوجها يجب عليه أن يستأجر من يقوم بالخدمة في المنزل .

ومن قال : إن خدمة الزوجة لزوجها بالمعروف لا يمنعون ولا ينكرون اتخاذ الخدم في البيوت ؛ لحديث فاطمة المتقدم حيث لم ينه النبي ﷺ عن ذلك مع مراعاة حدود الله – عز وجل – فلا يخلو هو بخادمته ولا تخلو هي بخادمها .

* * *

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة ، باب مناقب علي بن أبي طالب ، ومسلم في الذكر والدعاء ، باب التسبيح . ح (٢٧٢٧) .

(٢) انظر أقضية الرسول ﷺ للقرطبي المالكي ص ٧٣ ، وزاد المعاد (١٨٦/٥) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٤١/٤) والحاكم في المستدرك (١٨٩/٢) وقال الحاكم على أثره (صحيح) وأقره الذهبي .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣٥٢/٦) .

المبحث الثاني

حكم استخدام الكفار في بيوت المسلمين

استخدام الكفار واستئجارهم فى الأمور الدنيوية كالدلالة على الطريق أو الخدمة العامة أو العمل في الزراعة أو في المصنع جائز في حالة الضرورة[1] إذا لم يوجد من المسلمين من يعمل ذلك .

قال الإمام البخاري : « باب استئجار المشركين عند الضرورة أو إذا لم يوجد أهل الإسلام وعامل النبي ﷺ يهود خيبر »[2] .

قال العيني شارحًا هذه الترجمة : « أي : هذا باب في بيان حكم استئجار أهل الشرك عند الضرورة ، وهذه الترجمة تشعر بأنه لا يرى استئجار المشرك سواء كان من أهل الذمة أو من غيرهم عند عدم الضرورة إلا عند الاحتياج إلى أحد منهم لأجل الضرورة ، نحو عدم وجود أحد من أهل الإسلام يكفي ذلك ، أو عند عدمه أصلاً ، وأشار إليه بقوله : « وإذا لم يوجد أهل الإسلام » وقوله : « لم يوجد » . على صيغة المجهول وفي بعض النسخ : « وإذا لم يجد » على صيغة المعلوم ، أي : وإذا لم يجد المسلم أحدًا من أهل الإسلام لكي يستأجره ، وجواب « إذا » محذوف يعلم مما قبله لأنه عطف عليه وقد قررناه ، « وعامل النبي ﷺ يهود خيبر » ؛ مطابقة هذا التعليق للترجمة من حيث إنه ﷺ عامل يهود خيبر على العمل في أرضها ، إذ لم يوجد من المسلمين من ينوب منابهم في عمل الأرض في ذلك الوقت ، ولما قوي الإسلام استغنى عنهم حتى أجلاهم عمر بن الخطاب ﷺ وسقط بذلك قول بعضهم: وفي الاستشهاد بقصة معاملة النبي ﷺ يهود خيبر على أن يزرعوها نظر لأنه ليس فيه تصريح بالمقصود .

(١) فتح الباري (٤٤٢/٤) ؛ وعمدة القاري (٧١/١٠) وغذاء الألباب (١٥/٢) .

(٢) فتح الباري (٤٤٢/٤) .

قلت : كيف ينفي التصريح بالمقصود فيه ، فإن معاملته ﷺ يهود خيبر على الزراعة في معنى استئجاره إياهم صريحًا »(١) .

وقال ابن بطال : « عامة الفقهاء يجيزون استئجارهم - يعني المشركين - عند الضرورة وغير ذلك لما في ذلك المذلة لهم »(٢) .

قلت : أما عند عدم الضرورة فلا يجوز استخدام الكفار ، وخاصة في جزيرة العرب ، فقد أوصى النبي ﷺ بإخراجهم من هذه الجزيرة وأمر ألا يبقى فيها إلا مسلم وأوصى عند وفاته بإخراج جميع المشركين من هذه الجزيرة ، من أجل هذا تتابع أهل العلم على الفتوى بعدم جواز بقاء اليهود والنصارى والمشركين في جزيرة العرب .

فقد قال العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز - حفظه الله - في فتوى له : « يجب ألا يعاملوها معاملة المسلمة بل عليهم أن يبغضوها في الله لقوله - عز وجل - : **﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ.. ﴾**(٣) ، الآية .

وعليهم أن يردوها إلى بلادها إذا لم تسلم لأن هذه الجزيرة العربية لا يجوز أن يبقى فيها يهودي ولا نصراني ولا غيره من المشركين لا رجال ولا نساء . لأن النبي ﷺ أوصى بإخراجهم من هذه الجزيرة ، وفي المسلمين والمسلمات غنى عنهم والحمد لله »(٤) .

وكذا الشيخ محمد بن صالح العثيمين حيث قال في فتوى له : « لا يجوز استخدام خادمة غير مسلمة ولا خادم غير مسلم ولا سائق غير مسلم ولا عامل غير مسلم في الجزيرة العربية لأن النبي ﷺ أمر بإخراج اليهود والنصارى منها ...» .

(١) عمدة القاري (١٠/ ٧١) مطبعة مصطفى البابي الحلبي . (٢) فتح الباري (٤/ ٤٤٢) .
(٣) سورة الممتحنة ، الآية (٤) .
(٤) فتاوى مجلة الدعوة ص (١١٩ - ٢٠٢) .

المبحث الثالث

اختيار الخادم

يجب حسن اختيار الخادم ، فهو مطلع على ما في البيت من عورات وأسرار ويعيش كأحد أفراد الأسرة وينتقل من هنا إلى هناك ويتكلم مع هذا وذاك .

وللأسف أساء كثير من الناس اختيار الخادم والخادمة فيختارون من هي مجيدة للطبخ ذات مهارة فى تنظيف المنزل وتربية الأطفال أو من هي شابة ذات جمال أو خادم يجيد قيادة السيارة وإحضار مطالب المنزل ، وينسون أمورًا هامة أهم من ذلك ، وهى الخصال والمواصفات الشرعية التى يجب أن تتوافر فى الخادم والخادمة ، وهى ما يأتى ذكره .

أولاً : اعتناق الديانة الإسلامية :

فهى تورث الإخلاص والخوف من الله - سبحانه وتعالى - وتجعل الخدم والخادمات يراقبون الله فى سرهم وعلانيتهم فيستشعرون مسئوليتهم في جميع الأعمال التي تسند إليهم فى بيت المخدوم ، فهم مسئولون عنها أمام ربهم كما جاء في حديث النبي ﷺ : « **كُلكُم راعٍ وكُلُّكُمْ مَسئُولٌ عَن رَعيَّته ، فالإمامُ راعٍ ومسئُولٌ عن رعيَّته، والمرأة راعيةٌ فى بيت زوجهَا وهى مسئُولةٌ عن رعيَّتهَا ، والخادمُ راعٍ فى مَالِ سيِّده وهو مَسئُولٌ عن رعيته** »(١) . فيلاحظ أن الإمام والرجل والمرأة والخادم قد اشتركوا في المسئولية ، ولكن المسئولية مختلفة، فمسئولية الإمام إقامة الحدود وتحكيم الشرع، ومسئولية الرجل فى أهله وأولاده سياسته لأمرهم وتوفية حقهم في النفقة والكسوة

(١) رواه البخارى ، كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن (١/ ٣٨٠) ح ٨٩٣ من طريق سالم بن عبد الله بن عمر مرفوعًا .

والسكن والعشرة بالمعروف وحملهم علـى أوامر الدين، ومسئولية المرأة في بيت زوجها النصح له والأمانة في ماله وفي نفسها وتربية أولادها تربية إسلامية والصبر على ذلك، ومسئولية الخادم لسيده حفظ ما في يده من ماله والقيام بما يستحق من خدمته[1] .

ثانياً : الأمانة :

فالخادم الأمين إذا رأى عـورةً سترها وإذا علم سـراً كتمه ، وهو أمين عـلى مال سيده فيلزمه الوفاء لـهذا البيت الذي ائتمنه حتى لا يقع في صفـات المنافقين التي حذر منها النبي ﷺ حيث قال : « **آيةُ المنافقِ ثَلاثٌ : إذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإذَا اؤتُمِنَ خَانَ** »[2] .

ثالثاً : القوة والمهارة فى أداء العمل :

يجب أن تتوافر الخصال السابقة في كل عامل مع المهارة والقوة في أداء العمل ، وقد أشـير إليها فى قـوله - تبارك وتعالى - حكاية عن بنت شيخ قيل : إنه شعيب : ﴿ **إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَـأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ** ﴾[3] . فالقوة إشارة إلى إحكـام العمل والمهارة فيه ، والأمانة إشارة إلى إخلاص العامل في عمله برعاية حدود الله تعالى ورعاية حق المخدوم .

يقول الزمخشري : « إذا اجتمعت هاتان الخصلتان - أعني الكفاية والأمانة - في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك ، وقد استغنيت بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة أن تقول : استأجره لقوته وأمانته »[4] .

قلت : قَلَّ من تجتمع فيه هذه الخصال كلها ، فإما أن يكون أمينًا وليس بقوي أو

(١) انظر عمدة القاري (٥/ ٢٧٤) .
(٢) متفق عليه.
(٣) سورة القصص، الآية (٢٦) .
(٤) انظر تفسير الزمخشري (٣/ ١٧٢)

يكون قوياً وليـس بأمين ، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « أشكـو إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوى »[1] .

ففي مضمون الشكاية سؤال الله تعالى أن يرزقه بمن جمع الوصفين القوة والأمانة حتى يستعين به على أمور المسلمين .

* * *

(١) انظر تفسير الزمخشري (٣/ ١٧٢) وتفسير القاسمي (١٣/ ١٠٣) .

المبحث الرابع

حقوق الخدم

١ - الرفق بالخادم :

فلا يكلف من العمل ما لا يطيق .

أمر النبي ﷺ بأن لا يكلف الأجير إلا ما يقدر عليه ، فقد قال - عليه الصلاة والسلام - : « **ولا يُكَلَّفُ مِنَ العمَلِ إلا مَا يُطِيقُ** »[١] .

فإن كلفوا من العمل ما لا يطيقون فيجب معاونتهم ومساعدتهم ، عملاً بقول النبي ﷺ : « **ولا تُكَلِّفُوهُم مَا يَغْلِبُهُم ، فَإِن كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ** »[٢] .

٢ - العفو عن إساءة الخادم وخطئه:

إذا أساء الخادم في العمل فينبغي العفو عنه ، وإن تكرر ذلك منه صرف عن العمل بالحسنى ، فإن كان العامل حرًا ألغي عقد العمل وإن كان عبدًا عمل بقول النبي ﷺ في العبيد : « **إنْ أَحْسَنُوا فاقْبَلُوا ، وَإِنْ أَسَاءُوا فاعفُوا ، وَإِنْ غَلَبُوكُمْ فَبِيعُوا** »[٣] وهذا الحديث وغيره وإن كان ورد في الأرقاء ولكن يستدل به على الإحسان للخدم الأحرار من باب أولى ؛ لأن رعاية كرامة الأحرار أحرى وأولى من رعاية كرامة العبيد.

٣ - الإحسان إليهم بالكسوة والطعام :

رغب النبي ﷺ في الإحسان إلى الخادم والمملوك بالكسوة والطعام، فقال

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان باب إطعام المملوك (٣/ ١٢٨٤) ح (١٦٦٢) .

(٢) أخرجه البخارى ، كتاب العتق باب قول النبي ﷺ : العبيد إخوانكم (٥/ ١٧٤) ح (٢٥٤٥). ومسلم ، كتاب الإيمان باب إطعام المملوك مما يأكل (٣/ ١٢٨٣) ح (١٦٦١) .

(٣) أخرجه البزار ، كما في كشف الأستار (٢/ ١٤٥) .

ﷺ : « **فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يده فَلْيُطْعِمْهُ مما يأكلُ وليُلْبِسْهُ مما يَلْبَس** »[١] .

وقول النبي ﷺ : « **إذا صَنَعَ لأحدكُمْ خَادمُهُ طَعَامَهُ ثُم جاءَ به وَقَد وَلِيَ حَرَّه**[٢] **ودُخَانَه فَلْيُقْعِدْهُ مَعَهُ فلياكل ، وإنْ كَانَ الطَّعَامُ مَشْفُوهًا**[٣] **قليلاً فَلْيَضَعْ في يَدِه منهُ أُكْلَةً**[٤] **أَوْ أُكْلَتَينِ** »[٥] .

إذا كان هذا في حق الخادم المملوك فالأجير الحر من باب أولى .

٤ - إعطاء الخادم أجره وعدم مماطلته :

يفرض الأجر للعامل جزاء كدحه في خدمة مخدومه من غير بخس ، بل يستوفي حقه كاملاً غير منقوص ، ومن بخس الأجير حقه أو لم يعطه أجرًا كان النبي ﷺ يوم القيامة خصمه .

قال عليه الصلاة والسلام : « **ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يوم القيامة ، ومن كُنْتُ خَصْمَهُ خصمتُهُ يوم القيامة ، رَجُلٌ أَعْطَى بى ثُم غَدَرَ ، ورجُلٌ باع حُرًا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، ورجُلٌ اسْتَأجَرَ أَجِيرًا فاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُوَفِّهِ أَجْرَهُ** »[٦] .

وحثّ النبي ﷺ على إعطاء الأجير أجره فور انتهائه من العمل ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **أَعْطُوا الأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَن يَجِفَّ عَرَقُهُ** »[٧] .

---

(١) أخرجه البخاري كتاب العتق باب قول النبي ﷺ : «العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون» (٥/ ١٧٤).

(٢) أي تولى طبخه وإعداده .

(٣) أي الذي كثرت عليه الأيدي .

(٤) أي لقمة أو لقمتين .

(٥) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان باب إطعام المملوك مما يأكل (٣/ ١٢٨٤) .

(٦) أخرجه ابن ماجه ، كتاب الرهون باب أجر الأجراء (٢/ ٨١٦) ح (٢٤٤٢) والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الإجارة ، باب إثم من منع الأجير أجره (٦/ ١٢١).

(٧) أخرجه ابن ماجه ، باب أجر الأجراء (٢/ ٨١٧) ح (٣٤٤٣) والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الإجارة باب إثم من منع الأجير أجره (٦/ ١٢١) .

فالحديث يدل على أن الأجير إذا انتهى من عمله وجب إعطاؤه أجره على الفور بلا مماطلة أو إبطاء .

٥ - تخفيف العمل عن الخادم في رمضان :

رغب النبي ﷺ تخفيف العمل في رمضان عن العبد المملوك ، والأجير من باب أولى ، ووعد من فعل ذلك بالمغفرة والعتق من النار ، فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال عن رمضان : « وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ ، مَنْ خَفَّفَ عَنْ مملُوكِهِ فيه غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَأَعْتَقَهُ مِنَ النَّار »[1] .

٦ - تمكينه من أداء الشعائر الإسلامية :

مثل الصلاة في المساجد مع الجماعة والحج والاعتمار وغير ذلك .

* * *

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان في حديث طويل كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦١٣) ، قال الألباني في مشكاة المصابيح : « إسناده ضعيف » قلت : هو موجود في شعب الإيمان في (٣/ ٣١٥، ٣١٦) وليست فيه هذه الجملة الأخيرة ، ولعلها سقطت من الناسخ والله أعلم .

الفصل الثاني

الآثار الخطيرة الناجمة عن استخدام غير المسلمات في البيوت

أكد[1] آخر الإحصاءات أن اللائي يفدن إلى السعودية ومنطقة الخليج ومعظمهن من دول جنوب شرق آسيا ٤٥٪ منهم مسلمات ، ٤٥٪ نصرانيات و ١٠٪ من ديانات غير الإسلام ، والمسيحية ، وأعمارهن تتراوح بين ٢٥ ، ٣٥ عامًا، و ١٠٪ منهن تزيد أعمارهن عن ٤٥ سنة، ومعظمهن شابات ومتزوجات، ولكنهن يأتين بدون أزواجهن ويشكلن نسبة ٦٠٪ ، أما غير المتزوجات فنسبتهن ٢٨٪ والأرامل ٦٪، وتؤكد لغة الأرقام أيضًا على أن ٧٦٪ منهن أميات، و٩٣٪ لا يتحدثن العربية .

ولقد أجريت استبيانًا في بعض مدارس مدينة الرياض وكان مجموع العينات الكلي التي شملها الاستبيان ٦٥٠ ، وبلغ عدد العينات التي امتنعت عن الإجابة ١١ أسرة فخرجت بالنتائج التالية :

١ - **عدد الأسر** التي يوجد عندها سائق (١٨٥) . بنسبة مئوية ٢٩ ٪ .

٢ - **عدد السائقين** المسلمين = ١٤٤ بنسبة ٨٠ ٪ .

وعدد غير المسلمين ٤١ بنسبة ٢٠ ٪ وأديانهم كالآتي :

نصراني ٢ بنسبة ١٧ ٪ .

بوذي ٨ بنسبة ٤ ٪ .

٣ - وجنسياتهم كالآتي :

إندونيسيا : ٥٦ سائقًا .

سيرلانكا ١٧ سائقًا .

الفلبين ١٧ سائقًا .

(١) مجلة سيدتي العدد (٥٩٥) .

الهند ١٧ سائقًا .

كوريا ٩ سائقين .

بنجلادش ١٦ سائقًا .

مصر ٩ سائقين .

باكستان ١٦ سائقًا .

المغرب سائقان .

٤ – **عدد السائقين** الذين مع أسرهم ٣٠ ونسبتهم ١٦,٥٪ والذين لا تصحبهم زوجاتهم ١٥١ سائق بنسبة ٨٣,٥٪ .

٥ – **عدد الشباب** من السائقين ١٤١ سائقًا بنسبة ٧٨٪ والكبار ٤٠ بنسبة ٢٢٪.

٦ – **والمدخنين** منهم ٤٥ سائقًا بنسبة ٢٤ ٪ .

٧ – **عدد اللاتي يركبن** مع السائق بمفردهن ٩٠ أسرة بنسبة ٥٠٪ .

٨ – **الذين يدخلون** على النساء في المنزل ٤٠ سائقًا بنسبة ٢٢٪ .

٩ – **أما الأسباب** التي أدت إلى وجود سائق فكانت الإجابة كالآتي :

١ – السفر الدائم لرجل المنزل .

٢ – الأب كفيف ، أو كبير في السن .

٣ – الذهاب إلى المزرعة وكثرة المشاوير .

٤ – الذهاب بالأطفال إلى المدارس والظروف العائلية .

٥ – المظهر الاجتماعي .

وامتنعت مجموعة عن الإجابة عن هذا السؤال .

١ – أما الخادمات فبلغ عدد الأسر التي يوجد عندها خادمة ٤٨٥ أسرة من المجموع الكلي ٦٥٠ نسبة ٧٧ ٪ .

٢ – بلغ عدد الخادمات المسلمات ٤٣٠ بنسبة ٨٨٪ .

عدد الخادمات المسيحيات ٣٠ خادمة بنسبة ٧ ٪ .

عدد الخادمات البوذيات ٢٥ خادمة بنسبة ٥ ٪ .

٣ – الجنسيات الأخرى :

١ – أندونيسيا	٣٢٤	بنسبة	٦٧ ٪ .
٢ – سيرلانكا	٤٠	بنسبة	٨ ٪ .
٣ – الهند	٤٥	بنسبة	٩ ٪ .
٤ – سيلان	١٧	بنسبة	٣,٥ ٪ .
٥ – الفلبين	٣٠	بنسبة	٦ ٪ .
٦ – باكستان	١٠	بنسبة	٢ ٪ .
٧ – مصر	٤	بنسبة	٨, ٪ .

٤ – الأسباب التي أدت إلى وجود خادمة :

١ – عمل الأمهات في الوظائف العامة في الدولة .

٢ – كبر المنزل .

٣ – مرض الأم .

٤ – المظهر الاجتماعي .

ولقد أجابت جميع العينات بأن المستخدم الكافر يشكل خطورة على عقيدة الأسرة وكانت النسبة ١٠٠ ٪ .

والخادمة في البيت ليست مجرد آلة ، بل إن لها ثقافة معينة ومشاكل اجتماعية وقيمًا ومعايير وتقاليد اجتماعية مختلفة ، وبالتالي تنتقل ثقافتها فيظهر التأثر بها ، ولا عجب أن نسمع الصغار يرددون الطقوس والكلمات وحتى الأغاني بلغات الخدم ويفرحون لسماعهن كثيرًا ، وهنا مكمن الخطر ، فإذا كانت الخادمة هي التي تلبس الأطفال وتطعمهم ، وإذا كان تعليم الحرف يجعل الإنسان تابعًا لمن علمه فكيف بمن يطعمه ويلبسه .

هذا إذا اكتفينا بمساعدة الخادمة في المجال البدني فكيف إذا انتقل العون إلى اللسان بحيث يدخل الأطفال مع الخدم في جدل وحوار وسؤال وجواب ، فهنا يكون الخطر أكبر وخاصة في غياب من يجب أن يكون الحوار معهم ، وهم الأم والأب بالإضافة إلى أن بعض المربيات يقمن بقص قصص الأطفال ، مع تدني مستوى التعليم لهن مما يولد آثارًا سلبية على ذات الطفل والاعتماد على الخادمة في توفير كافة حاجاته نتيجة انشغال الأم بوظيفتها وعدم قدرتها على الجمع بين مهام الوظيفة ومهام الأسرة فتعتمد على الخادمة كليةً في تربية أبنائها ، فتتحول الخادمة من مجرد مساعدة الأم في الأعباء المنزلية الروتينية بما فيها العناية بالطفل إلى مربية للطفل تضطلع بكل حاجاته من مأكل ومشرب واستحمام ولعب ونوم في غياب الأم التام عن رعاية طفلها فتؤثر في سلوك الطفل ولغته ونظرته لأمور الحياة فيكتسب تلقائيًا عاداتها وسلوكها ، بل إن عواطف الطفل تتجه بصورة تلقائية نحو الخادمة بدلاً من الأم بحكم التصاقه بها وتعايشه معها فينشأ غريبًا في منزل ذويه فيتفاقم الأمر حينما تسافر الخادمة إلى بلدها وينعكس ذلك على الطفل[1] ليصاب بالاكتئاب والحيرة ويفقد رغبته في الأكل ويصيبه

(1) سأذكر نموذجًا واحدًا لآثار تعلق الطفل بالخادمة ، نشرت جريدة الرياض في عددها رقم ٨٨٦٤ ما يلي : تقول إحدى السيدات : لم أكن أعلم أن إهمالي لطفلي البالغ من العمر سنتين وتركه مع الخادمة في كل الأوقات سيجلب لي وللطفل المتاعب ، فلقد تعود طفلي على أن يأكل من يد الخادمة ويشرب اللبن من صُنع يديها ولا ينام إلا في حضنها بينما أنا مشغولة بأمور بسيطة، ونسيت فى =

الضمور ، وقد تتولد لديه العقد النفسية ، فكم من المشاكل ألمت بعدد من الأسر نتيجة تركهم لأطفالهم بأيدي الخدم الذين يعيشون ظروف الغربة وما يصاحب ذلك من أحاسيس تدفعهم لارتكاب الفواحش ، وإني لأتساءل : كيف يرسل الأب ابنته مع السائق إلى المدرسة ؟! لماذا لا يأتي بها الأب ؟! ألم يسمع حديث النبي ﷺ : « ما **خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما** »[1] .

فالحاصل أن الخادم يأتي ومعه مشكلاته الأسرية والاجتماعية التي لها تأثير على الأسرة وعلى المجتمع عمومًا وهذا ما نتناوله في المباحث التالية .

* * *

= غمرة انشغالي الاهتمام بإرضاع طفلي وإطعامه ولما جاء وقت سفر الخادمة كان ذلك بداية مأساة طفلي الرضيع فلقد تعلق بها وتشبث بها رافضًا سفرها وابتعادها عنه ولما سافرت أضرب أسامة عن شرب الحليب وعن الأكل حتى ساءت أحواله وضعفت بنيته بل ومرض بسبب فقدانه للخادمة ، وهذه القصة الواقعية في شأن طفلي المسكين أرويها للرياض وأرجو أن تتخذ الأمهات منها العبرة والعظة .

(١) رواه أحمد والترمذي .

المبحث الأول
الآثار من الناحية العقدية

من خلال الاستبانة السابقة تبين لنا أن نسبة كبيرة من الخادمات غير مسلمات حيث ينتمين للديانة المسيحية والمذاهب البوذية والهندوسية ، لذلك ظهر فيهن عادات فاسدة تخالف ديننا ومجتمعنا ، منها أن الخادمات يؤيدن اختلاط الذكور بالإناث ولا يجدن في ذلك حرجًا كما أن منهن من توافق على نوم الذكور مع الإناث بعد سن البلوغ ولا يمنعن من استقبال الضيوف من الجنس الآخر .

وأخطر ما في الأمر الدين غير الإسلامي الذي تعتنقه الخادمة ، ولقد اكتشفت خادمات تدعون إلى دينهن[1] المخالف . مع أنهن يحملن جوازات سفر مسلمات . فقد نشرت جريدة عكاظ الحادثة الآتية :

« تقول إحدى الأخوات : اضطررت إلى استخدام خادمة واشترطت على مكتب الاستقدام أن تكون مسلمة وبالفعل جاءتني مسلمة على الورق فقط حيث اكتشفت أنها لا تعرف من الإسلام سوى الاسم فقط ، لا تصلي ومتبرجة ولا تستتر وتفتقر إلى أدنى المبادئ والعادات الإسلامية ، وحاولت أن أعلمها الإسلام ومبادئه ولكن بعنادها وصلفها أبت أن تتغير أو أن تتطور أو تستجيب على الفور، وبعد أسبوعين من استقدامها أبلغت مكتب الاستقدام بعدم رغبتنا فيها وتم تسفيرها رغم أنني كنت بحاجة شديدة إليها إلا أنني آثرت ترحليها حرصًا وحفاظًا على بيتي وأسرتي من مفاسدها»[2] .

(١) جريدة عكاظ العدد (٩٨٠٢) .

(٢) كيف تعامل خدمك؟ ص ٣٤ .

وقد نشر الأستاذ أحمد الحصين في كتابه « هيلة والخدامة النصرانية » **القصة التالية :**

« هيلة طفلة صغيرة تنتمي إلى أسرة مسلمة ، وهذه الأسرة سلمتها إلى الخادمة السيلانية النصرانية « ميوري » لتقلب عقيدتها الفطرية إلى عقيدة التثليث ، إن هذه الأسرة خانت الأمانة وفتحت أبواب التنصير في بيتها لهذه الخادمة والذهاب بطفلتهم إلى الكنيسة »[1] .

وقصة أخرى : « أن فتاة مسلمة قد علقت في رقبتها الصليب ، وعندما سئلت عن ذلك أجابت : هدية من الخادمة التي عندهم »[2] .

وقصة ثالثة مضمونها الآتي : « جاءت الأم من عملها مبكرة على غير العادة لتجد طفلها الصغير أمام الشمعة ، فحاولت أن تكلمه مرارًا فلم يجبها ، وبعد انقضاء فترة زمنية معينة أجابها ، فلما سُئل عن السبب أجاب أنه كان يصلي كما علمته الخادمة المجوسية»[3] .

هذه نتيجة انشغال الأم عن طفلها وتركه للخادمة في غياب الأم التام عن رعاية طفلها فتؤثر فيه فيكتسب تلقائيًا دينها وعاداتها وسلوكها . هذه نتيجة لإهمال تربية الطفل فينتج عن ذلك الآتي :

١ - **إضعاف العقيدة** في نفوس المختلطين بالخدم الكفار ، وقد ذكرنا نماذج على ذلك ، فإهمال تربية الأطفال والانشغال عنهم يجعلهم يميلون إلى الخادمات فيألفونهن وينبسطون إليهم ، وغير المسلمين يظهرون شعائر دينهم بدون تكلف ولا حياء ،

(١) كيف تعامل خدمك ؟ ص ٣٥ .

(٢) كيف تعامل خدمك ؟ ص ٣٥ .

(٣) كيف تعامل خدمك؟ ص ٣٥ .

فللمجالس آثارها السيئة على الأطفال والكبار فيضعف في قلوبهم الإيمان شيئًا فشيئًا إلى أن تخرج الغيرة من قلوب المسلمين وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وإذَا رأيتَ الَّذينَ يَخُوضُونَ في آياتِنَا فأعْرِض عَنْهُمْ حتَّى يَخُوضُوا في حَديثٍ غَيْرِه وإمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظالمينَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكتَاب أَنْ إذَا سَمعْتُمْ آيات اللَّه يُكْفَرُ بهَا ويُسْتَهْزَأُ بهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُم حَتَّى يَخُوضُوا في حَديث غَيْرِه إنَّكُمْ إذَن مِّثْلُهُمْ إنَّ اللَّهَ جَامعُ المُنَافقين وَالكَافرِينَ في جَهَنَّمَ جَميعًا ﴾[2] ، أي قد بيَّن الله لكم فيما أنزل عليكم حكمه الشرعي عند حضور مجالس الكفر والمعاصي: ﴿ أَنْ إذَا سَمعْتُمْ آيات اللَّه يُكْفَرُ بهَا ويُسْتَهْزَأُ بهَا ﴾ أي يستهان بها ، وذلك أن الواجب على كل مكلف في آيات الله الإيمان بها وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها وهذا هو المقصود بإنزالها وهو الذي خلق الله الخلق لأجله فضد الإيمان الكفر بها ، وضد تعظيمها الاستهزاء بها واحتقارها ، ويدخل في ذلك محادة الكفار والمنافقين لإبطال آيات الله ونصر كفرهم، وكذلك المبتدعون على اختلاف أنواعهم ، فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله ؛ لأنها لا تدل إلا على الحق ولا تستلزم إلا صدقًا ، بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه ويقتحم حدودها التي حدها لعباده ، ومنتهى هذ النهي عن القعود معهم : ﴿ حَتَّى يَخُوضُوا في حَديث غَيْرِه ﴾ أي غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها : ﴿إنَّكُمْ إذًا﴾ أي إن قعدتم معهم في الحالة المذكورة: ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم والراضي بالمعصية كالفاعل لها»[3] .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٦٨ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٤٠ .

(٣) تفسير كلام المنان (٢/١٩٨ - ١٩٩) .

٢ - **إذهاب البغض للكفار** من قلب المسلم نتيجة الاختلاط بهم ، فقد أُمِرْنا أن نعادي أعداء الله الكفرة وأن نوالي أولياء الله الصالحين المتقين البررة .

فمن استخدم الكافر فلا شك أنه ينبسط إليه ويؤاكله ويشاربه ويجالسه ويحادثه ويميل إليه قلبيًا كما يميل إليه قولاً ، فينقلب العدو صديقًا ويدخل محبة الكفار إلى قلوب المسلمين ويذهب بغضهم ومعاداتهم من قلوبهم مع أن معاداة الكفار من أهم الواجبات علينا في الإسلام ، قال الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لا تَتَّخذُوا اليَهُودَ والنَّصَارَى أَولِيَاءَ بَعْضُهُمْ أولياءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإنَّهُ منْهُمْ إنَّ اللَّهَ لا يَهْدي القَوْمَ الظَّالمينَ ﴾[1] .

« يرشد الله تعالى عباده المؤمنين حين يبين لهم أحوال اليهود والنصارى وصفاتهم غير الحسنة ألا يتخذوهم أولياء ، فإن بعضهم أولياء بعض يتناحرون فيما بينهم ويكونون يدًا على من سواهم ، فأنتم لا تتخذوهم أولياء فإنهم هم الأعداء في الحقيقة ولا يبالون بضركم بل لا يدخرون من مجهودهم شيئًا على إضلالكم ، فلا يتولهم إلا من هو مثلهم ولهذا قال : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإنَّهُ منْهُمْ﴾ لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم والتولي القليل يدعو إلى الكثير ثم يتدرج شيئًا فشيئًا حتى يكون العبد منهم »[2] .

٢ - **دعوة الطفل لاعتناق عقائد الكفار :**

ومن الآثار السيئة التي تترتب على استخدام المسلمين للخدم الكفار أن الخدم الكفار من الرجال والنساء يحاولون أن يدعو الأطفال الذين وُسِّدَ إليهم أمرهم إلى غير دين الإسلام بشتى أنواع الإغراء ، فيربى الطفل على محبة دين الكفار وبغض دين

(١) سورة المائدة ، الآية (٥١) .

(٢) تفسير كلام المنان (٢/٣٠٤)

الإسلام . وقد تقدم نماذج من ذلك . حتى تكون عادة الطفل كعادة الكفار وسلوكه كسلوكهم فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا ، وهذا الواقع المحسوس الملموس أثر من آثار شؤم استخدام المسلمين للكفار ، فقد اكتُشِفَتْ كثير من الخادمات يروجن لدينهن رغم أنهن يحملن جوازات سفر مسلمات ، فالتنصير الخفى الذي يتم وفقًا لأسلوب « صانعي الخيام » والذي يستغل العمال المهنيين الذين تحتاجهم البلاد الإسلامية المغلقة في وجه التنصير للدعوة للتنصير وخاصة في الجهات التي ليس لها ارتباط ظاهر بالتنصير في المنازل والمستشفيات والمدارس كخدم ومربيات وممرضات ومدرسين للغات الأجنبية ، فهؤلاء الذين يحملون راية التنصير في الخفاء يرون إخراج المسلم من الإسلام مكسبًا كبيرًا قد يضحون من أجله بالمال والعمل .

إن أسلوب التنصير من خلال الخادمات والمربيات يعتمد في الدرجة الأولى على السلوك الشخصي للخادمة ، إذ تحاول دائمًا أن تتصنع سلوكًا حميدًا ، ملفتًا للنظر حتى يطمئن إليها الجميع وعندما تتأكد أن الجو قد خلا لها تسعى إلى تكوين العلاقات الشخصية المؤثرة ولا سيما مع الأطفال والأميين ، لذا لا يتجرأ هذا النوع من الخادمات على إبراز قول أو عمل يكشف خبيئتها وإنما قد تستخدم النشرات أو الصور أو الأفلام أو الأشرطة السمعية أو رسالة من الأهل كوسيلة لبث سمومها ، وهذا النوع أيضًا يحاول دائمًا أن يذكرك وبشكل غير مباشر مغلف بالخصوصية بأن ما تقوله لك أو تعرضه عليك يخصها هي أو يخص دينها ، وبطريقة لا شعورية وبذكاء منها يمكن أن تربط بين سلوكها المثالي المصطنع وبين النصرانية التي تنتمي إليها وتجعلك تتصور أن هذه الأخلاق الحميدة المصطنعة ما هي إلا نتيجة طبيعية للنصرانية وتتركك وشأنك دون أن تجبرك على شيء حتى يكون التأثير أقوى وأشد ، وقد لا يتردد هذا النوع أيضًا في ارتداء القلائد والصلبان أو حمل الإنجيل والقراءة فيه خلال المناسبات والأعياد النصرانية حتى إذا ما سنحت لها فرصة لإهداء هذه الأشياء اغتنمتها .

وقد يتصور البعض أن هذا من الأمور المستبعدة إلا أنه للأسف أن من المناهج

والأساليب التي دعا إليها المنصرون في مؤتمراتهم ولا سيما مؤتمر « كلورادو » الذي قالوا فيه : « يجب أن تعقد دورات تنصيرية موسعة في أجزاء مختلفة لكل قارة أو منطقة رئيسية ويجب أن تقوم مراكز تدريب المنصرين الأساسية بالمبادرة بالاتصال بمجموعات من المعلمين والأطباء والممرضين والبنائين والخدم وغيرهم ، وهذا فضلاً عن أن الجهات التنصيرية تنسق دائمًا مع مكتب القوى العاملة في الخارج – وأغلب هذه المكاتب نصرانية ، كي تضمن وصول العمال المنصرين إلى الدول الإسلامية » .

وللأسف يعتقد البعض أن وجود الطفل مع الخادمة لا يؤثر كثيرًا على عقيدته ولكن لم يتنبهوا إلى أن هذا الطفل لا يزال في سن التلقي والتعلم وما دام الأب مشغولاً خارج البيت سواءً بتجارته أو بزيارة الأصدقاء أو السفر وكذلك الأم مشغولة بوظيفتها أو بمكالماتها التليفونية أو خروجها إلى الأسواق والعلاقات الاجتماعية ، فكيف نتوقع أن يتعلم الطفل العقائد والمبادئ والأخلاق الإسلامية ؟ وكيف يلتزم بها إذا كان أكثر وقته مع الخادمة ؟ فإذا أراد النوم وجدها بجانبه وإذا احتاج لرعاية قامت بأموره وإذا أراد أن يستذكر دروسه وجدها أمامه!! فأين دور الأم والأب ؟ هل المصروف اليومى مع بعض الأوامر البسيطة يكون أساسًا للتربية الإسلامية السليمة ؟!!.

* * *

المبحث الثاني

الآثار الخلقية والأمنية

الأمن من أَجَلِّ النعم التي يتفيأ المسلمون في ظلالها وهو عِدَةُ الحق لمن آمن وعمل صالحًا : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[1] . لذا فإن أخطر ما يتهدد مجتمع الإسلام أن يعكر صفوه أو يمس أمنه .

وهؤلاء الخدم من غير المسلمين يدخلون المجتمع ومعهم مشكلاتهم وتقاليدهم وأخلاقهم ، وغالبها يجافي سمات المسلمين ، فيتكدر الأمن بالجرائم التي لها تأثير على الأمن .

فالبعض من الخدم قام بسرقات ، وجرائم مختلفة منها الإيذاء البدني وصناعة الخمور ، بل ووصل إلى درجة القتل .

وإليك الأمثلة على ذلك :

أولاً : نماذج من بعض حوادث السرقة :

١ - نشرت جريدة الجزيرة في عددها رقم ٧٢٧٢ القصة التالية :

بحثت أم حمود بكافة وسائل البحث الممكنة ولكن شيئًا من ذلك لم يكن ليأتي بنتيجة للعثور على طقم الذهب المفقود ! لم يبق إلا الخادمة ومع التدقيق في البحث في حاجياتها إلا أن أم حمود لم تخرج بنتيجة مجدية ومضت الأيام ليتوقف في أثناء أحدها جهاز « الكومبروسور » في الثلاجة المنزلية عن العمل وحينما أدارها رب الأسرة

(١) سورة النور ، الآية : ٥٥

كانت المفاجأة أن وجد الطقم الذهبي بين الأجهزة الخلفية للثلاجة ولم يكن هناك فرصة لسنية فاعترفت بمسئوليتها .

٢ - وجاء في جريدة الرياض العدد ٨٧٩١ القصة الآتية : افتقدت المدرسة شيك الراتب وظلت تبحث عنه في كل الغرف ، فتشت شنط اليد ودولاب الملابس وكل مكان يمكن أن تكون وضعت الشيك فيه ولكنها فشلت في العثور عليه وشاركتها الشغالة في البحث والتفتيش بعد أن أنكرت أنها رأته أو تعرف عنه شيئًا ، واحتدم الاتهام من المدرسة والدفاع من الشغالة واستسلمت المدرسة للأمر الواقع تمهيدًا لإنقاذ الشيك من الصرف وفجأة ظهرت الشغالة تعلن أنها رأت الشيك في صفيحة الزبالة ممزقًا وأحضرته مؤكدة أنها لا تعرف الشيك واعتقدته أنه مجرد ورقة ممزقة أخذت طريقها لصفيحة الزبالة . سرقة دافعها الحسد لربة البيت .

٣ - جاء في جريدة الرياض في العدد ٨٨٦٤ ما يلي : يقول المواطن (م.م) : في البداية أود أن أوجه كلمة لإخواني المواطنين وأحذرهم من الثقة المفرطة في الخادمات اللائي يستقدمن من الخارج حيث كان لدي خادمة أندونيسية يبدو من مظهرها البسيط أنها طيبة وحنون وقد وثقت فيها زوجتي ثقة كبيرة حيث كانت تقوم بجميع الأعمال الموكلة إليها بكل جدارة حتى أحبها أطفالي وتعلقوا بها كثيراً ، ويستمر المواطن (م) في سرد حكايته للرياض فيقول : وفي يوم من الأيام افتقدنا إسورة ذهبية « بناجر » كانت في يد طفلتي الصغيرة وبحثنا عنها في كل مكان حتى يئسنا منها ولم نشك لحظة في الخادمة المسكينة ، وقبل سفرها إلى بلادها لزيارة أهلها اكتشفنا الإسورة في شنطتها وقد سرقتها من يد طفلتي في غفلة عن أمها فما كان مني إلا أن ألغيت تأشيرة العودة وجعلت خروجها نهائياً لا رجعة بعده ، وهذه الحكاية من الحكايات الواقعية والحقيقية التي قد تحصل في كل منزل .

٤ - وجاء في العدد (٨٧٩١) من جريدة الرياض أن الطريقة التي اتبعها أحد المواطنين في استعادة مسروقات منزله طريقة هادئة وبسيطة ، فقد طلب من زوجته أن

تأخذ الشغالة مـعها لجارتها ليتفرغ لتفتـيش شنط الشغالة التي ستسـافر إلى بلادها بعد ساعات وليبـحث عن المفقودات على مـهل ، نظرًا لأن هذه المفقودات صـغيرة الحجم ساعة، خاتم ، سلـسلة ، وغير ذلك مما وصلت إليـه يد الشغالة وأخفته بـين ملابسها وداخل حقائبها وتمت العملية بسلام فقد استخرج من الشنطة كل المسروقات .

٥ - وجاء فـي مجلـة سيدتي الـعدد ٥٩٥ ما يـأتي : قالت إحـدى المدرسات : تجبرني ظروف عملي على التعامل مع الخادمـة فأنا لم أتعلم لكي أجلس في البيت بلا إسهام اجتماعي في مجال تخصصي ، ولكني اكتشفت أن الثمن غال فلقد كنت فريسة سهلة للخادمات سرقنني أكثر من مرة وبعضهن استغلت خلو الـبيت بعد خروجي مع زوجي للعمل في استـخدام الهاتف في مكالمات خارجية مكلـفة كل هذه المشاكل رغم حرصي عـلى انتقـائهن فأنـا أسافر بنفـسي وأجري لهـن المقابلات ورغـم ذلك باءت محاولاتي بالفشل . فمع هذا الحرص تكون المحاذير .

٦ - وليت الأمر توقف عـلى ذلك بل تعداه إلى استخدام الطـفل في التسول ، فقد نشرت مجلة سيدتي في العدد ٥٩٥ ما يلي :

تقول إحدى النساء : إن الحديث عن الخادمات يثـير في نفسي المواجع فذكرياتي معهن حافلة بالمبكيات ، أكثرها قسوة حينما استخدمت ابني الرضيع في التسول ، ففي غيابي كانت تلبس ابني ثيابًا ممزقة رثة وتسرح به في الشوارع تستجدي المارة وسط حرارة الشمس وقـسوة الطقس في الصيـف الأمر الذي أدى إلى إصابة ابنـي بمرض أليم دون معرفة السبب حتى اكتـشفنا أخيرًا جرمها في حق الصغير حينمـا شاهدها أحد أقربائنا بالصدفة وهي تتسول به في أحد الميادين العامة وكانت المفاجأة مذهلة لنا جميعًا .

٧ - إذا تسولت الخادمة مسـتغلة مخدومها تدنَّت إلى سرقـة هذا المخدوم الطفل الذي جاءت لتخدمه فقد نشرت جريدة عكاظ في عددها (٩٥١٠) الآتي :

كان الأمر بالنسبة لـلأم أكثر من طبيعي عندما طلبت الخادمـة اصطحاب الطفلين معها لقـضاء الحاجيات من السوبـر ماركت (السوق المركزي) المجاور لـهم ، فهي لا

تعلـم أنها آخر مرة تـرى فيها أبنـاءها وخرجت الخادمـة ولم تعد ومضـي الوقت دون جدوى وبدأ الشك والهواجس تحرك مشاعر الأمومـة فيها فبدأت تشعر مع مرور الوقت أنها تفـقد أغلى ما لديها فـي الحياة ، وراح الأب يطمئن الأم بأن الأمـر عادي وأنهم سيأتون غدًا أو بعد غد وبعد التحري والبحث الدقيق تمكن رجال الأمن بفضل الله من إلقاء القبض على الخادمة في مكان إقامتها ومعها الطفلان اللذان عادا لأحضان الأم .

٨ - وليت الأمر توقف عـلى ذلك بل تعداه إلى سرقة الزوج . جـاء في مجلة سيدتي العدد (٥٩٥) ما يأتي :

هذه حكاية ترويها صـاحبتها بندم شديد إذ كلفها استخدام خـادمة ثمنًا غاليًا ، اختطفت الخادمة زوجها وتزوجته ، تقـول السيدة :لم يمض على زواجنا سوى شهور قليلة وكنت قد اتفـقت مع زوجي مسبقًا أنني لن أترك عملي كأخصائـية اجتماعية بعد الزواج لأنني أمارسه بحب وكفاءة يشهد لي بهـا الجميع ، فضلاً أنني لم أتصور نفسي في يوم من الأيام مجرد ست بـيت ، متفرغة للمطبخ وغيره من الأعـمال المنزلية وبعد انتهاء المرحلة الرومـانسية من زواجنا بدأ زوجي في الشكوى من عـدم انتظام حياته في البيت وبدأ يساومني على ترك العمل ، وخاصـة أننا لم نكن في حاجة مادية إليه وهنا أشارت عليَّ صـديقة باستخـدام خادمة ، ولم أجد مفـرًا من اللجوء لهـذا الحل على الرغم من أنـني كنت معارضـة شديدة لفكرة الخـادمة ، وافقت وأنا مصـرة على عدم التنازل عن قـناعتي وهي أنني سأعامـل الخادمة تمامًا كفرد من الأسرة لـها كل الحقوق مثلنـا تمامًا وأصبحت علاقـتي معها أقرب للـصداقة ودفعني هذا إلـى أن أفرض على زوجي أن يعامـلها بطريقة خـاصة تمامًا كما أعاملـها أنا ، خاصة وأنه كان فـي البداية متعاليًا في التعامل معها ولم أكن أعلم أنني أفتح الطريق إلى هدم بيتي بيدي إذ سرعان ما تطورت الـعلاقات بينهـما دون علمي ، حتـى فوجئت ذات يوم « بنـوال » تطلب الرحيل وحاولت أن أفهم مـنها السبب فساقت مجموعة من الحجـج المتضاربة بل إنني شككت أن يكون زوجي قد أساء لها من شدة سذاجتي ، بعد رحليها اكتشفت أنها لم تعد إلى بلدها كما قالت، وأخبرتني صديقتي أنها شاهدتها تتسوق أكثر من مرة وبدأت

الحقيقة تظهر تدريجياً حين أخذت مواعيد زوجي في الحضور والانصراف تضطرب وهو يقدم أعذاراً غير مقنعة وتبرع أولاد الحلال بإخباري بحقيقة أنه على علاقة بخادمتي سابقًا وحين واجهته كانت صدمتي الكبرى أنه لم ينكر بل واعترف أنه تزوجها وفوق ذلك قال : إنه متمسك بي كزوجة وهو ما رفضته تمامًا وكان قراري بالانفصال لا رجعة فيه، تختم السيدة كلامها قائلة : نصيحتي لكل زوجة عاقلة : حذار من الخادمة فهي قنبلة موقوتة داخل منزلك[1] .

ثانيًا : نماذج من الجرائم الأخلاقية :

وأسلوب الخادمة في كثير من الأحيان يكون عن طريق إيقاع شباب الأسرة في الفاحشة ، فإن لم تستطع أوقعت رب الأسرة ، فإن لم تستطع أدخلت الغرباء إلى المنزل فيتحول البيت إلى مستنقع آسن . انظر نماذج من ذلك في مجلة سيدتي العدد (٥٩٥) وكتاب كيف تعامل خدمك؟ ص ٤٠ ، ٤١ .

ثالثًا : صناعة الخمور :

نشرت الجزيرة في عددها ٧٢٧٩ ما يلي :

تبلغ مركز هيئة « . . . » إخبارية مفادها وجود شخصين يقومان بتصنيع الخمور بغرفتهما - غرفة السائق - داخل منزل كفيلهما المسافر حاليًا خارج البلاد ، ودلت

(١) ونصيحتنا نحن لكل امرأة عاقلة هي أن تلزم بيتها وتقر فيه كما أمر الله تعالى، وتشتغل بحاجة زوجها وأولادها ورعايتهم فهذه مهمتها الأولى، ولم تخلق المرأة لكي تخرج للعمل وتهمل في حق زوجها وأولادها ، مهما كانت كفاءتها في العمل ، بل هذا كله من تأثير الأفكار الغربية التي زرعت في نفوس النساء أهمية العمل ووجوب المساواة مع الرجل وغير ذلك ، وماذا ينفع العمل والراتب في مثل هذه الحالة؟ ولا سيما إن كانت لا تحتاج إلى الراتب. ثم لماذا تطلب المرأة الطلاق إذا تزوج زوجها بأخرى ؟ نعم في الحالة المذكورة قد يكون الموضوع قد اكتنفته عوامل غير مشروعة، ولكن من جهة المبدأ لماذا تعترض المرأة على زواج زوجها بأخرى وهو أمر قد شرعه الله تعالى وأباحه ؟ إن كل هذه الأشياء والحوادث إنما هي إفرازات ونتائج للبعد عن شرع الله تعالى .

التحريات الأخيرة على صحة ذلك فكان العزم بعون الله على كشف تلك العمليات الإجرامية التي تستهدف إفساد أبناء المسلمين وإغراقهم في مواطن الانحلال الخلقي ، وعندما أشارت الساعة إلى السادسة صباحًا كانت فرقة من مركز الهيئة ومحرر الصفحة عند الموقع المراد كشفه ، كانت سيارة الهيئة إلى جانب أحد المنازل بحيث نستطيع أن نرى كل داخل وخارج من ذلك المنزل الموضوع تحت المراقبة ، فقد كانت تحريات المركز تشير إلى خروجهما في هذا الوقت للترويج في لحظة فتح الباب فأطل شخص برأسه إلى الخارج يستكشف المكان ثم خرج الاثنان بهدوء واستقلا سيارة فارهة ، وفي هذه الأثناء وبعد مشوار قصير نسبياً توقفت السيارة الفارهة أمام أحد المنازل ، ترجل أحدهما وطرق الباب طرقات من نوع خاص كأنه متفق عليها ، فتح الباب شخص تبدو على ملامحه أثر حرارة شمس إفريقيا فصافحه ثم اتجه صوب خلفية السيارة حيث البضاعة ، في ثوان قصيرة أخرج الآسيوي ثلاث كراتين مياه معدنية ، وأثناء عمليات الاستلام والتسليم كانت مجموعة من رجال الهيئة يحيطون بهما إحاطة السوار بالمعصم فألقي القبض عليهما ، وفي غمرة هذه الأحداث المتلاحقة كان الرجل الآسيوي الآخر القابع خلف عجلة القيادة يهم بالهرب بالسيارة ، وفعلاً تمكن من ذلك منطلقًا بسرعة عالية لدرجة عدم السيطرة عليها ، فكان قدر الله - سبحانه وتعالى - أقرب وأسرع بها فقد التحم السائق بسيارة الهيئة القريبة من الموقع محدثًا بها بعض التلف فكانت عائقًا في وجهه من الهروب ، في هذه الأثناء كان عدد رجال من الهيئة قد أحاطوا بالسيارة وأنزلوا السائق ليلتحق برفيقيه ، قام على أثر ذلك أحد الأعضاء بفتح الكراتين والتأكد من وجود المادة المسكرة في عبوات مياه معدنية ومعبأة بالكامل ، ركب الجميع السيارات المعدة لذلك وتوجهنا إلى المركز بتحرير محضر بتلك الواقعة ، بعدها توجه عدد من الأعضاء برفقة أحد السائقين إلى منزل كفيلهما حيث المصنع بما يحتويه من براميل وعبوات تدهش العقل وتدمي القلب .

رابعًا : الإيذاء البدنى الذى يصل إلى حد القتل :

إن سوء المعاملة أو الغيرة النسائية لها عواقب وخيمة على نفس الخادمة حيث تدفعها إلى الغضب الذي يولد الحقد والضغينة التي ينتج عنها العداوة ، ومن المؤسف أن كثيرًا من الأسر تعامل الخادمات بقسوة وقد يصل الأمر بها إلى معاملتهن كأنهن مملوكات لهم ويؤدي ذلك بالخادمة للانتقام ، وإليك بعض الحوادث الواقعة :

١ - الإيذاء بوضع محلول الكلوركس في الشراب :

وقد نشرت جريدة الجزيرة فى عددها ٧٢٧٢ الحادثة الآتية :

بكى الطفل بكاءً مرًا بعد أن تناول كأسًا من الماء أثناء تناوله طعام العشاء ولم يكن أحد يعلم سر ذلك البكاء المفاجئ له ، ومع تزايد حدة البكاء وظهور حركات تشنج عنيفة قرر الجميع الخروج بالطفل لأقرب مركز إسعاف وهناك أكد الطبيب حالة تسمم بمواد كيماوية مركزة ، خشي الأب أن يصيب البقية الباقية من الأسرة ما أصاب الطفل ولكن شيئًا من ذلك لم يكن . فُحِصَ طعام العشاء وحللت مواده في المختبر فكانت النتيجة سلامة الطعام من أي أثر غير طبيعي ، فحص الأب بقية الأوعية على السفرة فشم رائحة غريبة بالكأس الذي شرب منه الطفل ومع التحليل تأكد الجميع أن نسبة كبيرة مما شربه الطفل كان محلول « الكلوركس » قدمته الخادمة بيدها لطفلهم المدلل .

٢ - الإيذاء بوضع الغائط في الطعام :

فقد نشرت جريدة الجزيرة في عددها ٧٢٧٢ ما يأتي :

تحلق على سفرة الطعام أغلب أفراد الأسرة في الساعة الثالثة عصرًا مع عودة الأب من عمله الوظيفي ، ومع تكامل المائدة بعد التسمية بدأ الجميع في تناول طعام الغداء ، وبعد أن مضغ البعض أكثر من لقمة لم يقو البعض الآخر على ابتلاعها بينما أصيب أحدهم مباشرة بحالة غثيان مزعجة ، توقف الجميع عن الأكل ، أكد الأب

على من ابتلع شيئًا من ذلك الطعام بأن يحاول الاستفراغ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، قصد عبد العزيز المطبخ بحثًا عن الخادمة المشاكسة فقد كان شبه متأكد من مسئوليتها عما حدث ولكنه لم يجدها ، نقبوا عنها في البيت طولاً وعرضًا ولكن أحدًا لم يجد أثرًا (لمارية) فقد استطاعت الهروب بعد أن وضعت المائدة بين أيديهم ، وبعد ثلاثة شهور وبضعة أيام اتصل مندوب « إدارة العمال المتخلفين » في وزارة الداخلية لإخبار الكفيل بأنه تم العثور على « مارية » متلبسة في قضية ما ، ومع التحقيق اتضح حقيقة التلوث الذي أكده التحليل المخبري ، وأنه كان بمواد غاية في القذارة تنم عن حقد شديد .

٣ - الإيذاء بالسحر :

(أ) جاء في جريدة الأمة الإسلامية العدد ٤٢ ما يلي : قالت إحدى السيدات: إنها كانت تعامل خادمتها بقسوة لكن دون أن تتعمد ذلك ؛ لأن مشكلة حياتها الأساسية منذ الطفولة أنها تثور بشدة وتغضب بسرعة لأتفه الأسباب ، وأضافت : كانت خادمتي أندونيسية استمرت في العمل معي طوال عامين ، ورغم سوء معاملتي لها - رغمًا عن إرادتي كما ذكرت - فقد فوجئت بها تخبرني برغبتها في تجديد عقد عملها لدي ، لكنها طلبت مني إجازة لمدة أربعة أشهر تقضيها في بلدها مع أطفالها ثم تعود إليَّ مرة أخرى ، ورحبت بذلك لكوني في أمس الحاجة إلى مساعدتها في أعمال المنزل ، ولكونها مطيعة وتعرف طباعي بشكل جيد ، وفعلاً صدقت تلك الخادمة في وعدها حيث عادت إلى منزلي فور انتهاء إجازتها ، ولم يدر بخلدي لحظة واحدة ما كانت تضمره لي من شر ، وبعد أيام من عودتها فوجئت بأنني أصبت بحالة من الشلل الكامل ، لا أستطيع الحركة أو الكلام ، وعندما سارع أهلي إلى نجدتي وعرضوني على الأطباء لعلاجي ، لم يجدوا لدي أيَّ عارض صحي كما تقول ،وفي الوقت ذاته أخبرتني الخادمة برغبتها في العودة إلى بلدها بشكل مفاجئ ، وبعد أن ضيق عليها شقيقي الخناق ، ليعرف سبب إصرارها على العودة ، أخبرته أنها لا تحبني

ولا تحب العمل معي ، ولم أكتشف أنها وضعت لي سحراً أتت به من بلدها إلا بعد سفرها ، واستدركت قائلة : الحمد لله على كل شيء ، فبعد علاجي بالرقية بالقرآن، أتماثل حاليًا للشفاء ، وأشعر بأن الحياة تدب في أوصالي ، إنها تجربة مريرة غاية المرارة ولن أكررها مرة أخرى .

(ب) وجاء في نفس الجريدة ونفس العدد ما يلي : خادمة عانت كثيراً من سيدتها، أرسلت لأهلها في أندونيسيا لعمل سحر لإيذاء سيدتها وإرساله لها في خطاب حتى تؤذيها قبل نهاية عقد عملها ، ولم ينقذ هذه السيدة من الشر المحيط بها سوى شك زوجها[1] - الذي تسلم الرسالة - في ثقل وزنها ، فذهب الزوج برسالة الخادمة إلى إحدى الخادمات الأندونيسيات التي تعمل لدى أحد جيرانه ، وطلب منها قراءتها ، وبعد إلحاح كشفت له أن الرسالة بها سحر أُعد لزوجته ، فقام من فوره بترحيل الخادمة إلى بلدها ، قبل أن تؤذي زوجته بطريقة أخرى .

٤ - الإيذاء بوضع الدبوس في رءوس الأطفال :

تقول إحدى الخادمات : إنني أعرف من الخادمات من غرز الدبابيس في رءوس الأطفال[2] .

وجاء في كتاب استخدام الخادمة الواقعة الآتية :

(أ) « نقل لي أحد الأصدقاء ، أن أحد الأشخاص استقدم خادمة لزوجته من إحدى البلدان في أول حياتهما الزوجية ، فظن أنه قدم لزوجته هدية سوف تشكره عليها ما امتدت بها الحياة ، ولم يعلم أن هذه قنبلة موقوتة سوف تنفجر في أي لحظة

---

(١) هكذا جاء في الجريدة وهذا خطأ في التعبير ، فالذي نجّى هذه السيدة هو الله - عزّ وجلّ - فهو الذي قدر أن يتسلم الزوج الرسالة وأن يشك فيها ، ومن ثم قام بعرضها على إحدى الخادمات الأندونيسيات للتعرف على ما بداخلها .

(٢) جريدة الجزيرة العدد (٧٢٧٢) .

من اللحظات ، لقد تحول هذا المنزل إلى أحزان وأوهام ، لقد رزق الله الزوجة بمولود وحمدا الله على ذلك ، ولكن بعد أيام مرض الطفل مرضًا شديدًا ، فذهب به إلى الطبيب وبعد الكشف عليه تبين أنه لا يوجد أي شيء على جسم الطفل ظاهراً ، ثم وصف علاجًا له حسب العادة المتبعة ، وبعد أيام توفى الطفل وحزنا عليه أشد الحزن وقالوا : إنه قضاء الله وقدره ، وبعد فترة من الزمن أكرمهما الله بمولود آخر ، وفرحا به أشد من الأول ، وحافظا عليه أكثر من محافظتهما على أنفسهما ، فأصابه من المرض ما أصاب أخاه وكانت النتيجة هي الوفاة ، فكانت التساؤلات تدور بخلد الأب والأم ، وشاء الله - عز وجل - أن يتجاورا مع إحدى الأسر ، وكانت هذه الأسرة لديها خادمة ، فتمت الزيارات بين الأسرتين ، وتقابلت الخادمتان ، فرأت الخادمة الأولى أن الخادمة الثانية يكون الأطفال في حجرها وفوق ظهرها ، يلعبون ويسرحون، فسألت الخادمة الأولى : كيف تسمحين لنفسك بمثل هذه الضوضاء والتعب وعدم الراحة ؟ فقالت لها الخادمة : أنا مرتاحة لذلك ، وهنا اتضح أن الخادمة الأولى لا تستسيغ صراخ الأطفال ، ولقد تخلصت من الطفلين السابقين بطريقة بشعة مخيفة ، لا يقبلها دين ولا عرف ، وتتمثل هذه الطريقة بأن تمسك دبوسًا أو إبرة فتضعها في وسط رأس الطفل ، لأن هناك منطقة ضعيفة شفافة تعرفها الأمهات ، فتدخل هذه الآلة إلى آخرها حتى تستقر في المخ ثم تنزعها فتكون النهاية المؤلمة »[1] .

(ب) جاء في جريدة الأمة الإسلامية العدد ٤٢ ما يلي : قالت إحدى السيدات: كانت جارتي تسيء معاملة خادمتها وتكلفها ما لا تطيق وتهين كرامتها أمام الضيوف ، ووصل الأمر بالخادمة إلى أنها طلبت مني العودة إلى بلدها دون إتمام فترة العقد ، وبعد أن سافرت الخادمة إلى أندونيسيا ، فوجئت جارتي تلك بأن طفلها الصغير دائم الصراخ والبكاء طوال الليل والنهار ، وعندما اصطحبته إلى الطبيب اكتشف بأن الخادمة غرست دبوسًا صغيراً في رأس طفلها كنوع من الانتقام من أمه .

---

(١) ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

٥ - الإيذاء بالقتل :

(أ) نشرت جريدة الأمة الإسلامية في عددها ٤٢ ما يلي :

الخادمة (لولافي) قتلت الشيخة لطيفة ، وبلديات « لولافي » حاولت قتل مخدومتها في الدمام ، وثالثة قتلت أسرة بكاملها في دبي .

(ب) وجاء في كتاب كيف تعامل الخدم الواقعة الآتية : « خادم من جنوب شرق آسيا اتفق هو وزميل له على سرقة بيت مخدومهما ، فما كان منهما إلا أن جاءا في أحد الأيام فوجدا - على حين غفلة من أهل المنزل - رب الأسرة يقرأ في الصحيفة ، فهجما عليه وقتلاه ، وكانت ربة الأسرة في المطبخ تعد الطعام ، فدخلا عليها وهجما عليها فارتمت على الأرض مغمىً عليها ، وعندئذ قاما بالاعتداء عليها وسرقا ما استطاعا سرقته ثم قاما وهربا ، فما كان نصيب الأسرة إلا أن الأم أصبحت في حالة خطيرة في المستشفى ، ورب الأسرة قتيلاً »[١] .

وأحيانًا تؤدى سوء معاملة الخادمة إلى مثل هذه الجرائم ، وكذا زيادة الأعباء المنزلية وعدم إعطائها الوقت الكافي للراحة مع عدم الاكتراث بمشاكلها النفسية والاجتماعية ، مما يدفعها للقيام ببعض التصرفات الانتقامية ، أو الهروب من المنزل ، وإليك بعض النماذج .

١ - الغضب على الخادمة بدون سبب :

تقول آدم الفلبينية : سيدتي امرأة مزاجية الطباع ، فإذا كانت سعيدة تعتبرني كإحدى بناتها ، أما إذا غضبت لأي شيء ولو لم أكن أنا السبب ، فإنها تقعد الدنيا وتقلبها على رأسي أنا فقط ، وتضيف : إن تجاربي مع سيدتي علمتني متى أبتعد عن وجهها لأنشغل في أي شيء ، كالذهاب إلى السوق لشراء أغراض المنزل ، أو الاختفاء في إحدى الغرف بحجة تنظيفها ، ومتى أقترب منها في لحظة سعادتها حيث تجود عليّ ببعض المال أو بشيء من الهدايا ، عمومًا فإنها إنسانة طيبة القلب .

(١) ص ٣٩ .

فالقسوة في هذه الواقعة أن سيدة البيت إذا غضبت لأسباب لم تكن الخادمة طرفًا فيها فإنها تغضب على الخادمة وتقسو عليها[١] .

٢ - تعيير الخادمة بالقبح :

جاء في الجريدة نفسها : تقول الخادمة الهندية (نانسي) : سيدتي التي أعمل لديها منذ ثلاثة شهور فقط تعيرني دائمًا بأنني قبيحة المنظر ، وتسبني دائمًا باللغة العربية ، ظنًا منها أنني لا أفهم منها ما تقول ، وهي لا تعلم أنني أعرف بعض الكلمات العربية ، وتضيف ، إنني أفكر حاليًا في السفر إلى أهلي ، ففقري أهون عليّ من المعاملة السيئة[٢] .

٣ - ضرب الخادمة :

جاء في الجريدة نفسها : تقول السيدة (س.س) : إنني أغتاظ بشدة من الخادمات بصفة عامة بعد تكرار عدة مواقف لي مع خادمتي ، لذلك أعمم غيظي على الخادمات كلهن ، فعندما حضرت هذه الخادمة إلى منزلي تظاهرت بالخجل وطيبة القلب في بداية الأمر ، وكانت تمثل علينا الحياء ،فابتلع أهل المنزل جميعهم الطُّعم ، وتضيف : لكنها بعد أن تعرفت على خادمة الجيران بدأت تتغير شيئًا فشيئًا ، فأصبحت لا تهتم بالقيام بأعمال المنزل ، وعندما أصرخ في وجهها نتيجة تقصيرها في العمل تتوقف عن العمل بشكل يستفز مشاعري أكثر فأكثر ، وزاد الأمر سوءًا أنها أصبحت في الفترة الأخيرة لعملها معي تبادلني الصراخ ، تطالبني بمساعدتها لعدم قدرتها على القيام بأعمال المنزل وحدها ، وما إن فَعَلَت ذلك حتى قمت بضربها ، ففوجئت بها تركض نحو باب المنزل حاملة ملابسها لتختفي[٣] .

(١) جريدة الأمة الإسلامية العدد (٤٢) .

(٢) جريدة الأمة الإسلامية العدد (٤٢) .

(٣) جريدة الأمة الإسلامية العدد (٤٢) .

هذه نماذج لسوء معاملة الخادمات وليس معنى هذا أن كل ربات البيوت على هذه الشاكلة من القسوة ، بل إن منهن من تعطف على خادمتها وتساعدها في أعمال المنزل وتعاملها كابنتها وإليك بعض النماذج :

١ - تقول « كارتينا » الخادمة الأندونيسية : سيدتي عمرها حوالي ٧٠ عامًا وهي الآمرة الناهيـة في المنزل ، فلا تجعل أحدًا يغضـبني أو يعاملني بشكـل سيئ ، وتقول لأولادها دائمًـا : إنها خادمـتي أنا فليـس لأحد منكم أي عـلاقة بها ، فـإذا أخطأت فأبلغوني وسوف أتصرف معها بطريقتي .

إنني أحب تـلك السيدة وأعتبـرها كأمي تمامًا ، وأتـفانى في خدمتهـا بشكل لا تتخيله .. كيف لا ؟ وهي تصطحبني إلى السوق معها لتشتري إليّ أجمل الملابس .. إنني عملـت معها منذ تسعـة أشهر وأعتزم تجديد عملـي معها لفترة أخرى بـعد انتهاء العقد والحمد لله أن رزقني بسيدة مثلها[١] .

٢ - تقول السيدة أم عبـد العزيز : « إنها تعامل خادمتهـا كأختها ، وتقول : لا أحب أن أزكي نفسي فالخادمة بشر مثلنا ، لها ما لـنا وعليها ما علينا ، بل يزيد عليها تحملهـا هذا العمل الشاق الذي تـقوم به ، وغربتها عن أهـلها وبلدها للحـصول على لقمة خبز شريفة تـغنيها عن سؤال الناس .. وتضيف: يعلم اللـه أنني أعامل خادمتي كأنها من أفراد الأسرة، خاصة أنها مسلمة تؤدي الصلوات في أوقاتها .. لذلك فإنني دائمًا أساعدها في الأعمال المنزلية، ولا أحملها ما لا تطيق من أعمال .. فالإسلام لا يفرق بين الخادمة ومخدومتها. . أو الفقيرة أو الغنية فكلنا سواء أمام الله عز وجل[٢] .

٣ - قالت إحدى الـسيدات : صدقوني إننـي أعامل خادمتي بكـل رقة .. كما أتعاطف معها لكبر سنها ، ولإحساسها بالضعف لغربتها ، وفي حالة حدوث أي خطأ

(١) جريدة الأمة الإسلامية العدد (٤٢) .

(٢) جريدة الأمة الإسلامية العدد (٤٢) .

منها في الأعمال المنزلية ، فإنني أغضب مـنها لكن سرعان ما أعود لأتحدث معها برقة خاصة عندما أرى الدموع تكاد تنحدر من عينيها .

وأضافت : لقد استمرت في العمل معـي طوال عامين ثم أعربت عن رغبتها في تجديد العقد للمرة الـثالثة . فهي تحب أولادي ومعجبة بأسلوبي اللطـيف في معاملتها ومعاملة زوجي الحسنة لها[١] .

* * *

(١) جريدة الأمة الإسلامية العدد (٤٢)

المبحث الثالث

الآثار التربوية والاجتماعية

إن تدفق العمالة الوافدة غير المسلمة وتغلغلها في حياة الأسرة نتيجة الرفاهية في المجتمع ، لتتضح آثارها في سلوكيات الأفراد والأسرة ، فلقد كانت الأسرة قديمًا تعيش حياة هادئة بسيطة في متطلباتها واحتياجاتها ، وكان صغر مساحة البيت وكثرة عددة أبناء الأسرة وتعاونهم المفرط عوامل ضمنت للأبناء تربية وتنشئة صالحة ، ولم يكن للمرأة عمل سوى عملها داخل المنزل ، مهما كان هذا العمل شاقًا ، فلما اكتشف النفط وتدفقت عوائده ، تغيرت صورة المجتمع فازدادت مساحة المسكن ، وازدادت معها متطلبات ذلك المسكن ، لدرجة لم تعد فيها المرأة قادرة وحدها على أداء وظائف ومتطلبات الحياة الجديدة دون مساعدة من غيرها ، في الوقت الذي زادت فيه احتياجات الدولة للنساء في مجال تخصصهن ، كالتدريس والطب والشئون الاجتماعية، مما أدى إلى الاحتياج إلى الخادمة ، لعدم قدرة بعض النساء العاملات على الجمع بين مهام الوظيفة ومهام الأسرة . ولكن للأسف فإن بعض الأسر تعمد لاستخدام ثلاث وأربع خادمات ، ليس من باب الحاجة ، وإنما من باب الوجاهة والتباهي . هذا الاستخدام غير الضروري أتى لنتيجة الثراء ، فهنا يغيب دور الأم كَرَبَّة للبيت ، ومربية للأطفال ، ويغيب دور الزوج ، ويصبح السائق والطباخ هما اللذان يقومان بأعباء ومتطلبات الأسرة .

فهذه الظاهرة تهدد كيان الأسرة ، ورب الأسرة هو السبب المباشر في ذلك ، لعدم قيامه بمسئوليته ، وكذلك قد يكون هو السبب المباشر في سلبية الزوجة ، إذ يوهمها بوضع الخدم تحت إمرتها طمعًا في راحتها ، وهو في الأساس يبحث لنفسه عن راحته وطريقته التي تخلصه من تحمل مسئولية الأسرة وبالتالي لا يجد مبررًا لإدانته في التقصير في حق الأسرة .

ولا شك أن الاحتكاك بهذه العمالة غير المسلمة وتغلغلها في حياة الأسرة نتيجة للظروف المذكورة آنفًا ، أثر بصورة سلبية على الطفل والأسرة وإليك تفصيل ذلك :

أ – الآثار على الطفل :

أولاً : ضعف الوازع الديني والأخلاقي .

ثانيًا : إحداث فجوة بين الأم وولدها نتيجة حرمانه المبكر من حنانها ، فيؤدي إلى ضعف تعلق الطفل بأمه ، وبالتالي يشعر الطفل بعدم الحاجة لها ، لأن الخادمة توفر له جميع احتياجاته .

ثالثًا : غرس قيم وعادات ذميمة ، كالتدخين مثلاً .

رابعًا : اتجاه بعض الأطفال إلى العنف ، نتيجة شعورهم بالحيرة بين ما تعلَّمه من الخادمة وما تعلَّمه من الأم .

خامسًا : تلجأ بعض الخادمات إلى الصراخ وضرب الأطفال في غياب الأبوين ، مما يولد لديهم عقدة الخوف ، فيصابون بعقد نفسية وبعدم القدرة على التعبير عما يختلج في نفوسهم ، فينشئون ضعفاء مترددين غير قادرين على اتخاذ القرارات الحاسمة في حياتهم ، مع فقدان الثقة بالنفس والقدرة على المواجهة .

سادسًا : تربية الخادمة للطفل على عدم الخجل والحياء ، فالخادمات الكافرات لهن ثقافتهن المغايرة لما هو شائع في بلادنا وبخاصة من الناحية الأخلاقية .

سابعًا : التكتم على سلوكيات سيئة في الأطفال وعدم إخبار الأم بذلك لأجل كسب محبة الطفل .

ثامنًا : تتدخل الخادمة في أسلوب الأم في توجيه أبنائها ، وذلك بمحاولتها تعويد الأم على أسلوبها هي في التربية ، أو بمحاولة فرض الأسلوب الشائع في بلدها أو بين أهل ملَّتها .

تاسعًا : التدليل الزائد للطفل رغبة في كسب مودته وزيادة تعلقه بها ، أو لأنها معتادة على هذا الأسلوب وتجهل ما له من آثار خطيرة بعد ذلك .

عاشرًا : التأثير اللغوي للمربيات مما يؤدي إلى تأخر النطق عند الطفل أو تعلم لغة الخادمة ، وليس مستغربًا أن يفتقد الطفل الطلاقة في الكلام إن كان حديثه مع الخادمة، حيث ينحصر الحوار باستخدام مقتطفات من كلمات لا هي بالعربية ولا هي بالأجنبية .

يقول الدكتور فرج أحمد فرج رئيس قسم علم النفس بكلية آداب عين شمس بمصر :

« استوقفني أمر أثناء زيارتي لإحدى دول الخليج ، فقد قام التليفزيون ببث برامج أجنبية مصحوبة بالترجمة ، بينما الأفلام الهندية غير مصحوبة بالترجمة ، فسألت بدهشة بعض الإخوة هناك عن هذه الظاهرة ، فكانت إجاباتهم على غير المتوقع حينما قالوا: إنهم يستطيعون فهم اللغة الهندية لأنهم ألفوها حيث فتحوا أعينهم على مربيات هنديات ، بل إن هذه اللغة تعد الثانية التي يعرفها العرب ، وهذه الظاهرة نشاهدها في الخليج بل رأيت بعض الصبية العرب يتحدثون الهندية مع الهنود ولم لا ؟ فهي اللغة الأولى التي يلقنها الطفل على يد المربية ثم تأتي بعد ذلك اللغة العربية »(١) .

ب – الآثار على الأسرة :

أولاً : تحمل الأسرة أعباء مالية مرهقة ، حيث النزيف اليومي ليس كمرتب يصرف آخر الشهر فحسب ، بل مصروفات فرد محسوب – غالبًا – في عداد الأسرة في أكثر مصروفاتها اليومية ، ثم إنه كلما ازداد عدد الكفار العاملين في بلاد المسلمين، كلما زادت نسبة رءوس أموالهم ، وكلما زادت تحويلاتهم وما يدخل إليهم من العملة الصعبة ، وكل هذا مصدر قوة لهم فيستعملون هذا المال بعد ذلك في شراء الأسلحة لضرب المسلمين ، أو إنفاقه لصرف المسلمين عن دينهم . وكثير من العاملين غير

(١) جريدة السياسة بتاريخ ١٩٩٢/٨/٢٧ م . بتصرف .

المسلمين يخصصون جزءًا من دخلهم لصالح مؤسسات كنيسية وغيرها ، مما يعمل على نشر الإلحاد والعقائد الفاسدة بين المسلمين وصرفهم عن دينهم ، وكل هذا عون لهم من جهة المادة .

فلو أننا لم نستقدم الكفار وحرصنا على استقدام المسلمين ، خصوصًا من البلدان التي يوجد فيها مجاعات وأزمات اقتصادية ، أو البلاد التي يوجد فيها أقليات مسلمة مضطهدة ،لكان هذا إنقاذًا لملايين المسلمين ، وتوفيرًا للمال في أيديهم ، مما يحفظ دينهم وأعراضهم ويكون مصدر قوة للمسلمين .

ثانيًا : اتكال ربة البيت على الخادمة مما يُنمي روح التواكل والاعتماد المستمر على الخدم من قبل أفراد الأسرة ، وهذا يؤدي للشعور بالاحتياج الشديد إليهم في حالة سفرهم وغيابهم عن الأسرة ، مما يؤدي إلى الاستمرار في الاستعانة بهم على المدى الطويل .

ثالثًا : نشر بعض أسرار الأسرة مما قد يثير كثيرًا من المشاكل الاجتماعية .

رابعًا : التجسس وكتابة مذكرات يومية لرصد الأحداث التي تقع في البيت .

خامسًا : إفساد العلاقة بين الزوج والزوجة ، فالبعض من الخادمات يتهمن مخدومهن باتهامات كاذبة مما يؤرق بال وراحة الأسرة .

سادسًا : خلوة الرجل بالخادمة قد تؤدي إلى ارتكاب محرم لقول النبي ﷺ : **« ما خَلا رَجُلٌ بامْرَأة إلا كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالثَهُمَا »**(١) .

وقد نهانا الله تعالى في القرآن عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وعن الزنا ومقدماته ، وحذرنا من خطورته على الدين والعرض كما قال تعالى : **﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾**(٢) . ومما هو في حكم المؤكد ، أن وجود الخادمة

(١) رواه أحمد والترمذي .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٣٢

غير المسلمة ، والتي تكون متبرجة بل وشابة في كثير من الأحيان ، له أكبر الأثر في تسهيل الفاحشة والرذيلة وفتح أبوابها .

ولا ينبغي أن نكابر ونعاند فنجحد وجود مثل هذه الآثار ، فتخيل وجود الرجل في بيته وأمامه شابة متبرجة ليلاً ونهاراً ، قد نشأت في مجتمع متحلل لا يرى حرجًا في ارتكاب الفواحش والزنا وغير ذلك ، وخصوصًا إذا كانت هذه الرذيلة والفاحشة من أسباب وأهداف حضور هذه المرأة إلى البلاد هنا للخدمة ، وإذا كانت هذه الخادمة لا تبالي بما يظهر من جسدها ، وبما تبديه من زينتها ، وبما تتعمده من خضوع بالقول، أو نعومة صوت أو نحو ذلك ، وتشارك أهل البيت طعامهم وشرابهم طول اليوم ، وقد ينفرد الرجل بها في البيت في كثير من الأحيان ، فماذا ننتظر من وراء ذلك ؟ خصوصًا إذا صار الرجل يقارن بينها وبين زوجته ، بل ماذا ننتظر إذا كان في البيت شباب مراهقون أو لم يتزوجوا ، وهم يعكفون على وسائل الإعلام ليلاً ونهاراً من أفلام ومسلسلات وإعلانات وغير ذلك، وكلها فيها التبرج والسفور والاختلاط والتحلل ، مما يضعف الوازع الديني عندهم، أضف إلى ذلك ما ركب فيهم من شهوة عارمة لا يضبطها العقل ، وفي وجود شابة متبرجة ليس عندها من دينها ما يمنعها من ركوب الفاحشة أو التحريض عليها ، وخصوصًا إذا كان ذلك هدفًا لها ، إما للحصول على مال أو هدايا، وإما لكونها مكلفة بذلك من قبل أشخاص أو هيئات تريد إفساد بيوت المسلمين ، فماذا ننتظر من وراء ذلك ؟.

وماذا ننتظر من امرأة متزوجة تخرج ليلاً ونهاراً بمفردها مع السائق ، وتألفه بطول الصحبة ،فتحادثه ويحادثها ، وقد يكون شاباً أكثر من زوجها أو أجمل منه ، أو يكون مفتول العضلات أو غير ذلك ، فيخلو بها ذهابًا وإيابًا والشيطان ثالثهما كما ذكر النبي ﷺ ، بل ويدخل عليها البيت ويراها أحيانًا بغير حجابها وقد يكون هو مكلفًا بإفساد بيوت المسلمين وأعراضهم أو على الأقل ليس عنده دين أو خلق يردعه ، وقد تقارن المرأة بينه وبين زوجها الكبير في السن أو المريض أو المنشغل عنها دائمًا ، أو

الكثير السفر والقليل التواجد ، والمرأة دائمًا تشاهد في التلفاز وغيره ما يهون من شأن الفواحش ، وليس عندها من الدين ما يردعها ، فماذا ننتظر ؟.

أو أن تكون فتاة مراهقة ليس عندها الوازع الذي يردها ويعصمها من دين وخلق، وفي ظل التأثر بوسائل الإعلام وغياب الرقيب ووجود المغريات ، من سائق ، أو خادم شاب ، حسن الشكل ، لطيف الكلام ، معسول المنطق ، وتأخر الزواج ، فماذا ننتظر ؟ إذًا وجود الرجل الغريب أو المرأة الغريبة في المنزل له أكبر الأثر السلبي في نشر الرذيلة والفاحشة ، هذا حتى ولو كانا مسلمين ليس عندهما الوازع الديني القوي فما بالنا بالكفار؟! إن المصيبة تكون أطم وأعظم .

والواقع خير شاهد ، فكم في الكتب والإحصائيات والحوادث ما يبين خطورة وجود غير المسلم من رجل أو امرأة داخل الأسرة المسلمة ، وما يمثله ذلك من فتح لباب الفاحشة والرذيلة ونشرها .

سابعًا : نشر الأمراض السرية :

وهذا نتيجة لما قبله فإن النبي ﷺ قال : « .. **مَا ظَهَرَتِ الفَاحِشَةُ فِى قَوْمٍ قَط حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إلا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأوْجَاعُ الَّتِى لَمْ تَكُن مَضَتْ فِى أَسْلافِهِمُ الذِينَ مَضَوْا** »[1] .

فوجود الفواحش والعلاقات الجنسية المحرمة تكون نتيجتها هي وجود مثل هذه الأمراض التي عاقب الله بها أهل الفواحش ، وانظر إلى أسماء « الزهري - السيلان - الإيدز - الهربس - سيدا » كل هذه الأمراض لا تظهر إلا عند محترفي الفواحش والشذوذ .

فإذا فرضنا أن الكافر ليس عنده الدين الذي يمنعه من الفاحشة ، بل قد يكون مكلفًا بالسعي لإيجادها في البيت المسلم ، والمسلم ضعيف الإيمان ليس عنده ذلك

(١) أخرجه ابن ماجه .

الوازع والمغريات كثيرة ، فإنه حتمًا لابد من وجود الفاحشة ، وسيتبعها حتمًا وجود مثل هذه الأمراض التي ستفتك بالأفراد والمجتمعات بعد ذلك .

بل إننا نجزم أن بعض الجهات والهيئات في الخارج من الكفار تشجع من يحملون جراثيم هذه الأمراض ، تشجعهم على السفر إلى بلاد المسلمين والعمل فيها ، لنشر هذه الأمراض والفتك بالمجتمع المسلم . وكذلك السياح الذين يأتون لبلاد المسلمين ، الكثير منهم يحمل جراثيم هذه الأمراض ، ويعمل على نشرها وقد حدث ذلك مرات كثيرة .

ثامنًا : نشر الكثير من العادات السيئة ، كالاختلاط والتبرج والسفور والتدخين وغير ذلك ، وكلها لها من الآثار السلبية على الفرد والمجتمع ما لا يحصى ولا يخفى .

وذلك نظرًا لتقليد الطفل الصغير للكبار ممن حوله من السائق والمربية وغير ذلك ، وشدة تأثره بهم خصوصًا إذا كان يستظرفهم ويحبهم ، وإذا كانوا هم المكلفين بتولي تربيته وتنشئته من الألف إلى الياء ، وبكثرة الخلطة لابد أن تنتقل هذه العادات حتى إلى الكبير فضلاً عن الصغير .

تاسعًا : نشر الكثير من الأخلاق السيئة ، كالكذب مثلاً أو السرقة أو غيرها مما يوجد في الشخص الكافر أو حتى في المسلم العاصي ، وقد ينقله إلى الطفل عمدًا أو بغير عمد ، وإذا ظهرت هذه الصفة في الطفل فإنه لا يحاول تقويمه ؛ إما استمرارًا لكسب محبته ورضاه ، وإما لكون هذا هو ما يرمي إليه ، أو لغير ذلك من الأسباب

وليس عنده الدين الذي يدفعه لإحسان تربية الطفل ، على أساس الدين الصحيح والخلق الفاضل الكريم .

* * *

الفصل الثالث

الحلول المقترحة للحد من خطورة الخدم ومشاكلهم

أولاً : الحد من انتشار المربيات والخادمات عمومًا ، وخاصة الكافرات في الأسرة والمجتمع ، وذلك باتخاذ الإجراءات التالية :

أ – التأكد من الحاجة الفعلية للخادمة .

ب – تحديد عدد الخدم بالنسبة لكل أسرة .

جـ – وجود البدائل للمرأة العاملة كدور حضانة الأطفال في الأحياء السكنية المختلفة ، حتى تطمئن المرأة العاملة على صغارها وتشعر بأن أطفالها في أيدٍ أمينة .

د – وضع ضوابط شرعية معينة لاستقدام الخدم ، مع لزوم الضوابط والشروط الشرعية الواجب توافرها .

هـ – فرض رسوم على الخدم تتحملها الأسرة عند الاستقدام وبعد الاستقدام ، وتزيد كلما زاد عدد الخدم المطلوب استقدامهم ، وذلك نظير قيام الحكومة بتقديم الرعاية الصحية لهم ، وغيرها من الخدمات العامة .

و – يتوجب على الجهات المعنية التشدد عند استقدام الخدم بحيث تكون هناك شروط تؤكد الحاجة الفعلية للأسرة ، والتشدد أيضًا مع مكاتب استيراد الخدم ، وأن يتم وضع مكاتب الخدم تحت إشراف حكومي .

ثانيًا : أن تُعطَى الأولوية لاستقدام المسلمات ولمن تبلغ منهن من العمر أكثر من ٣٦ سنة .

ثالثًا : مراعاة المسئولين ظروف الأم الوظيفية من خلال منحها بعض التسهيلات في العمل حتى لا يعيقها عن أداء مهمتها الأسرية ، وكذلك يجب أن نوجد صيغة

للجمع بين إمكانية قيام المرأة بعملها الخارجي وأداء واجبها ، كنظام نصف الدوام بنصف الراتب ، مما يسهل استيعاب قدر أكبر من الخريجات في الوظائف النسائية .

رابعًا : معاملة الخادمة معاملة حسنة ، فبعض الأسر يعامل الخادمة على أنها مخلوق من نوع آخر ، فيثقلها بالإهانات وإهدار الكرامة ، ويوبخها بسبب خطأ يسير ، ومعاملة الخادمة معاملة حسنة تكون بما يأتي :

أ - تحديد دور الخادمة في المنزل ، بمعنى عدم إطلاق يدها في كل شيء ، أو بمعنى آخر عدم إلزامها بعمل كل شيء في المنزل .

ب - تحديد ساعات عملها ، فلقد لمست أن كثيرًا من الأسر يبالغ في إرهاق الخادمات في إعطائهن عملاً فوق مستوى طاقتهن ، بل ربما كان عمل الخادمة يستمر إلى ساعة متأخرة من الليل .

جـ - رفع راتبها كلما كانت ملتزمة بشرع الله ومؤدية لعملها على الوجه المطلوب.

د - عدم مماطلتهن في إعطائهن أجورهن ، وللأسف فإن بعض الكفلاء يؤخر رواتب الخدم مع قلتها لعدة شهور ويماطل بها ، وذلك على الرغم من قول النبي ﷺ : « **أَعْطُوا الأجيرَ أجرهَ قبل أن يَجفَّ عَرَقُهُ** »[1] .

خامسًا : يجب مراقبة الخدم من قبل أصحاب البيت ، حتى لا تحدث الجرائم في غفلة من أصحاب البيت . فللأسف أن بعض الأسر تهمل في هذا ، فلا تراقب سلوكيات الخادمة ، وتترك أبناءها المراهقين والأطفال مجالاً للتعامل مع الخادمة كيفما اتفق ، وقد تحدث أضرار جسيمة عند عدم تلبية بعض الطلبات المجحفة لهم .

سادسًا : التأكد من عدم إصابة الخادمة بأمراض نفسية كما هو الحال ومعمول به في خلو الخادم من الأمراض الصحية .

(١) سبق تخريجه .

سابعًا : أن يتواجد في الجهات المنوط بها استقدام الخادمات كالقنصليات التي تعطي التأشيرات ، أو المكتب المشرف على اختيارهن ، أن يتواجد فيها مندوب من الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، وذلك لعمل اختبار قبل إعطاء التأشيرة ، بحيث يتم التأكد من أن هذه الخادمة مسلمة حقًا ، وأنها ملمة بمبادئ الإسلام الأساسية وملتزمة بسلوكياته ، وذلك للتغلب على مسألة تحايل الكافرات وقدومهن للعمل بهويات تظهر أنهن مسلمات .

ثامنًا : أخذ نموذج لبصمات كل خادمة كإجراء وقائي والتأكد من الجهات المسئولة في بلدها من أنه ليست لها سوابق ، وكذلك الاحتفاظ بهذه البصمات في الجهات الأمنية المسئولة عندنا وذلك احتياطًا لوقت احتياجها .

تاسعًا : أن يستقدم مع الخادمة زوجها كسائق ، حتى يكون محرمًا لها وحتى نتجنب الآثار المترتبة على وجودها بمفردها وسط الأسرة .

* * *

الفصل الثامن

واجبنا نحو مجتمعنا الإسلامي في السعودية

إن تطبيق الشريعة الإسلامية فى المجتمع السعودى قد عاد عليه بآثار حميدة ، وثمرات عظيمة ، وذلك فى مختلف المجالات من أمن ورخاء وإظهار لشعائر الإسلام ونحو ذلك ، ولكن يجب على كل مسلم مقيم فى تلك البلاد ، سواء كان من أهلها أم من الوافدين عليها والمقيمين فيها . . أقول : يجب عليه أن يحافظ على تلك المكتسبات التى تحققت بفضل الله ، ثم بفضل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لاتباع العقيدة السلفية وجهود آل سعود لحمايتها ، وذلك حتى لا نرجع القهقرى ، ونرد على أعقابنا ، فنحرم من تلك المكتسبات .

وأنا أجمل الواجب على كل مسلم فى هذه الديار تجاه هذه المكتسبات ، أقول : أجمله فيما يأتى - إن شاء الله - فأقول مستعينًا بالله تعالى : إن الواجب على المسلم فى هذه الديار يتلخص فيما يلى :

* * *

المبحث الأول

عدم الإفساد فى الأرض بعد إصلاحها

قال الله عز وجل ﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[1].

فالأرض التى أصلحها الله تعالى بالإسلام ، لا يجوز الإفساد فيها ، وحتى فى غير أرض الإسلام ، فإن الله تعالى قد حرم الفساد وقال: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[2].

فالإفساد فى الأرض عمومًا محرم لا يجوز ، وذلك بكل صوره ، ولكنه فى أرض الإسلام ومهبط الوحى وأرض الرسالة والحرمين الشريفين أشد وأقبح وأفحش ، هذا وإن للإفساد فى الأرض صوراً متعددة ، يجب على المسلم اجتنابها كلها ، وذلك بالعمل بما يأتى :

(أ) عدم الإفساد الدينى والفكرى :

ويقتضى ذلك عدم العمل على نشر أى بدع فى الدين ، أو أفكار مناهضة لشرائع الإسلام أو الترويج للمذاهب الفكرية عن الإسلام وشرائعه ، والتى بدأت تنتشر فى بلاد المسلمين المختلفة ، ويقتضى كذلك العمل على نشر عقيدة أهل السنة والجماعة ، والحرص على نصرتها ، والعمل على قمع كل ما يخالفها ، ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، وإظهار محاسن الشريعة الإسلامية ، والمحافظة على كل مسائل عقيدة السلف الصالح أن تكون ظاهرة فى المجتمع يتعلمها الناس ويعملون بها، وكذلك العمل على محاربة كل مظهر يدل على التهاون فى العمل بشرائع الإسلام

(١) الأعراف : ٥٦ .   (٢) البقرة : ٢٠٥ .

كتخلف البعض عن الصلوات ، أو المجاهرة بالفطر فى رمضان ، أو إظهار أى بدعة من البدع التى تروج لأفكار الصوفية وغيرهم من أصناف القبورية ، فإن كل هذه الأمور من الأشياء التى أوجبها الله على المسلم .

ولا يفوتنا أن هذه البلاد ما قامت ولا توحد أهلها بعد فرقة إلا بإذن الله تعالى ، ولا عزت بعد ذلك إلا بفضل الله تعالى ثم بفضل عقيدة السلف الصالح التى حمل لواء الدعوة إليها حديثًا الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله ، وأبناؤه من بعده ، وأى نكول عن عقيدة السلف الصالح معناه حرمان أهل هذه البلاد مما أنعم الله عليهم بسبب هذه العقيدة الصافية ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[1] .

فهذا أول ما يجب على المسلم فى هذه الديار ، وعلى كافة المستويات من حكام ومحكومين ، فالكل يجب عليهم القيام بنصرة هذه العقيدة ، والحرص على مقاومة أى إفساد دينى أو فكرى .

(ب) عدم الإفساد الخلقى :

فنحن – والحمد لله تعالى – فى هذه البلاد ، لا توجد عندنا مظاهر فساد خلقى كما يوجد فى البلاد الأخرى ، ونحن لا ندعى الكمال ، فإن الفساد الخلقى موجود فى كل زمان ومكان ، حتى فى عهد النبى ﷺ وجد مَن زنا ومَن قذف المحصنات ومَن شرب الخمر ، وغير ذلك ، لكن من الإيجابيات فى هذه البلاد ، والتى اكتسبت بفضل الله بسبب العمل على نشر العقيدة السلفية ، وحرص الدولة السعودية على تطبيق الشريعة الإسلامية ، من هذه الإيجابيات أن الفساد الخلقى فى معظمه مستتر عن الناس لا يجرؤ أهله على إظهاره ، وما وجد منه ظاهرًا فإنه أمور محدودة جدًّا مقارنة مع غيرنا من البلاد الأخرى ، إضافة إلى أنها تجد مقاومة من الجهات المسئولة كهيئة الأمر بالمعروف وغيرها ، لذلك فإن الإفساد الخلقى فى البلاد أمر خطير ، سواء كان

(١) الرعد: ١١ .

ذلك بنشر الزنا والدعارة ، أو الشذوذ الجنسى ، أو الترويج للمجلات الخليعة أو الأفلام والمسلسلات الهابطة عن طريق الفيديو أو أطباق البث المباشر وغيرها ، والترويج للكتب التى تدعو للإباحية والسفور والاختلاط ، وكذلك من يعملون على الإفساد وتيسير سبل الفاحشة عن طرق الاختلاط فى الأسواق والسفور والانكشاف فيها ، والمغازلات عن طريق الهاتف ، وفى الطريق العام ، وجرأة بعض النساء على السفور وإظهار المفاتن ، ونحو ذلك ، ويدخل فى هذا أيضاً الترويج للمخدرات والمسكرات فإنها محرمات جداً وتفسد الأخلاق والدين ، وتعين على نشر الدعارة والدياثة وغيرها ، ويدخل فى هذا كذلك التشبه بالكفار فى طريقتهم فى اللباس ، وتصفيف الشعر وحلاقته ولبس بعض الشباب الحلى من الذهب ، ويدخل فيه كذلك بيع الدخان والترويج والدعاية له ، فكل هذا والله أعلم من أنواع الفساد الخلقى والتى يجب على جميع أهل هذه البلاد مقاومتها والتصدى لها بكل وسيلة ، فإن قصروا فى ذلك فإنا نخاف عليهم أن يعاقبهم الله تعالى على هذا التقصير بحرمانهم من النعم والثمرات التى تحققت بسبب لزوم العقيدة السلفية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغيرها .

(ج) عدم الإفساد الأمنى :

فإن الله تعالى قد أنعم على هذه البلاد نعمة الأمن والأمان ، وذلك بفضل الله تعالى ثم بسبب العقيدة السلفية التى حمل لواءها الملك عبد العزيز وأبناؤه ، وحرصهم على استتباب الأمن فى البلاد ، فأى محاولة للإخلال بالأمن فى هذه البلاد هى إفساد فى الأرض يجب التصدى له ومقاومته بكل قوة ، ومن الإفساد الأمنى فى البلاد التشجيع على الجرائم بكل أنواعها من قتل ودعارة وسرقة وغير ذلك ، والتحريض على ارتكاب الحوادث والاستخفاف بالجرائم المختلفة ، ومنه تهريب المخدرات وبيعها والاتجار فيها ، فإن انتشارها مما يعمل على نشر الجرائم والإخلال بالأمن ، ويدخل فى ذلك والله أعلم الإخلال بقواعد السير والمرور مما يعرض أرواح

الناس وممتلكاتهم للخطر ، ويدخل فى ذلك تشجيع الجرائم ذات الطابع السياسى من تحريك للفتن والقلاقل ، وتحريض على هز الاستقرار الذى تنعم به البلاد ، وتشجيع على الخروج على حكومة البلد ، فكل هذا من الإفساد الأمنى الذى يترتب عليه فى نهاية المطاف نشر الخوف على النفس والمال ونحوه ، وفقدان نعم الأمن والأمان .

فالواجب على كل مسلم الحرص على نشر الأمن فى هذه البلاد ، والعمل على حفظه واستتبابه ، ومقاومة محاولات الإخلال به .

* * *

المبحث الثانى

المحافظة على وحدة البلاد السعودية

إن المملكة العربية السعودية دولة مترامية الأطراف ، وسكانها ينحدرون من قبائل كثيرة ، وقد كانوا مفترقين متناحرين قبل توحيد المملكة على يد الملك عبدالعزيز – رحمه الله – وكانت العصبيات الشديدة سببًا فى افتراقهم وتناحرهم ، ثم منَّ الله تعالى عليهم بأن اتحدت البلاد تحت راية العقيدة السلفية ، لم تقم على أساس [1] وطنية أو غيرها ، إنما قامت على أساس العقيدة الصحيحة السلفية ، وهى التى جمعت شتات القلوب المتنافرة ، ووحدت شملهم ، وجعلت منهم دولة قوية ذات شأن ، يعمل لها الآخرون ألف حساب ، وأصبحت القبائل المتفرقة المتناحرة شعبًا واحدًا مترابطًا متماسكًا ، كل هذا بفضل الله وبدعوة الإسلام وبالعقيدة السلفية ، وأى محاولة لشق الصف أو الترويج للعصبيات والانتماءات القبلية ونحوها قد تؤدى إلى تقويض وحدة البلاد ، وتفريق شملها الذى يتربص به الأعداء من يهود ونصارى وباطنية وغيرهم ، إضافة إلى أنها دعوى جاهلية حرمها الإسلام ونهى عنها النبى ﷺ وحذر منها أشد التحذير ، فالمسلمون جميعًا إخوة فى الدين ، وأفضلهم عند الله أتقاهم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[2] . فلا يجوز أن

---

(١) قال الأستاذ عبد الرحمن الرويشد : « لقد أكد الملك عبدالعزيز على أنه لن تقوم وحدة للعرب بغير العودة إلى مفاهيم الدين والالتزام الحضارى بتلك القيم ، ولقد رفض – رحمه الله – تلك الدعوة القومية بالمفهوم الذى طرحه الاستعمار من خلال رسائله ومخابراته ، ومن خلال عروبة (لورنس) لذا قال أولئك عن عبدالعزيز وحركته وحركة آبائه من قبله : (إنها وإن كانت عربية صرفة إلا أنها ليست جزءاً من الحركات القومية ؛ لأنها اتخذت اتجاهاً إسلامياً) كتاب قصر الحكم ، (ص ١٤٩ – ١٥٠) .

(٢) الحجرات : ١٣ .

يتفرق أبناء الأمة لأجل العصبيات ، فهذا بدوى وهذا حضرى وهذا شرقى وهذا غربى ونحو ذلك ، بل الكـل إخوة فى الله ، وأبناء لآدم عليه السلام ، وأبـناء لهذا الوطن الغالى ، لذا يـجب التصدى بكل قوة لأى دعوة عـلى أساس قبلى أو عصبيـة جاهلية يمكن أن تعصف بوحدة الأمة وتقضى عليها .

ومما يعيـن على المحافظة عـلى وحدة الأمة أن يكون الجـميع متساويـن فى الحقوق والواجبات ، فلو أن كل فرد منهم أدى ما عليـه قبل أن يطالب بالذى له ، وشعر بالمساواة ولم يشعر بالظلـم أو بالتفرقة فى نظره ، لكان ذلكَ من أقوى الأسـباب فى المحافظة على وحدة الأمة والقضاء على أى سبب للشحناء والبغضاء والتقاطع والتدابر . والله أعلم .

* * *

المبحث الثالث

النصـح لولاة الأمـر

وهـذا مـن الواجبات المسلم ، ودليل على سلامة الصدر وفى الحديث : « الدِّينُ النَّصيحَةُ (ثلاثًا) قُلْنَا : لِمَنْ يَـا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : للَّه ، ولكِتَابِه ولرَسُوله ولأئمَّة المسْلمينَ وعَامَّتِهم » (١).

والنصيحة لولاة الأمر تشتمل على أمور ، منها :

(١) النصح لهم ظاهراً وباطنـًا :

وذلك بالاتصال بهم أو الكتابة لهم ونصحـهم ، أو إتيانهم للإشارة عليهم بشيء فيه مـصلحة البلاد والـعباد ، أو للفت الـنظر إلى أى أخطـاء يقعون فيهـا ، فإن هذه المناصحة مما أوجبه الله على المسلم ، وهى من علامات سلامة القلب للمسلمين .

(٢) الدعــاء لهـم :

فإن المسلـم قد يدعو لولى الأمـر بالصلاح والهدايـة إلى الرشد وأن يجنـبه الله

(١) أخرجه مسلم (١ / ٧٤ /ح٥٥) عن تميم الداري.

حاشية السوء ويوفقـه لما يحبه ويرضاه ، فيستجيب اللـه له ، ويكون فى ذلك صلاح الأمة ، وقد قال بعض السلف : لو علمت أن لى دعوة مـستجابة لجعلتها للسلطان ، وذلك لأن صلاحه صلاح لعموم الأمة وخير لـها ، ولا يلزم الدعاء لولى الأمر جهرة أو على المـنبر أو أمام وجهـه ، بل حيثمـا وكيفمـا دعا جاز ، ولعل الأنـفع والأقرب للإخلاص الدعاء له بظهر الغيب .

(٣) لزوم طاعتهم وعدم الخروج عليهم :

فإن من المستقر عند أهل السنة ، ومن أصـول عقائدهم التى نصوا عليها وجوب طاعة ولى الأمـر المسلم ما دامت فى طـاعة الله ، كما قـال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُـوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾(١) . فمما يجب على المسلم الطاعة فيما أحـب وكـره ما لم يؤمر بمعصية الله ، فـإن أمر بمـعـصية فلا سمع ولا طاعة ، وألا ينزع يداً مـن الطاعة ، وألا يخرج على أميره ، ما دام لم يـظهر له كفر بواح عنده من الله فيه برهان ، فإن الخروج على ولاة الأمر وعدم طاعتهم يجلب الشر والفساد ، بل هو من أعظم أسباب البلايا والمحن والمصائب ، إضافة إلى ما يحدثه من شق للصف الواحد ، وجلب للأحقاد والفساد ، وقضاء على نعمة الأمن.

(٤) معاونة ولاة الأمور على القيام بأعمالهم :

وذلك بأن يقوم كل موظف فى مصلحة ما بـالقيام بعمل على أكمل وجه ، فإن ذلك من الأمانة ،وهو إعانة لولى الأمر الذى وضـعه فى ذلك المكان ، وكذلك يعمل كل مواطن على المحافظة على أمن البلاد ، وعدم مخالفة اللوائح والقوانين التى سنتها الحكومة لخدمـة الناس وقضاء مصالحهم ، والمحـافظة على أمنهم وراحتـهم ، وتأمين أموالهم وممـتلكاتهم ، فـلو أن كل إنسان حافـظ على قوانين الـبلاد بما فيها الـقوانين الإدارية وغيرها ، لكان ذلك معونة لأولياء الأمـور على القيام والاضطلاع بمهماتهم ، وعلى الضد من ذلك فإن الإخلال بهذه الأمور يـحدث الارتباك والفوضى ويعمل على زعزعة الاستقرار ، ويزيد الأعباء على ولاة الأمور ، ولا سيما إذا أتت هذه المخالفات ممن يناط بهم القيام على تنفيذ القوانين واللوائح وغيرها .

(١) النساء : ٥٩ .

المبحث الرابع

معرفة قدر العلماء

فإن العلماء بالشريعة هم مفاتيح الهدى ، ومصابيح الدجى الذين ينيرون للناس الطريق ، وهم من دعامات الاستقرار الأساسية فى البلاد ، وصلاحهم صلاح للأمة ، وفسادهم فساد لها ، ومن المعلوم أن الدولة السعودية ما تكونت فى الأصل إلا على أساس التعاون وتضافر الجهود بين المصلح الدينى الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى- والمصلح السياسى محمد بن سعود رحمه الله تعالى ، وباجتماع الإصلاح الدينى والسياسى يكون الاستقرار والنهضة وغيرهما .

ولهذا فإن من مصلحة الأمة جمعاء أن تحفظ قدر العلماء ، وتعرف لهم مكانتهم ، فلا تنشر أخطاءهم ، ولا يشهر بهم ولا يقدح فى أحد منهم ، أو يتهم بتهمة تشينه وتشين أهل العلم ، ولا يتجرأ على مقامهم ، فإنهم خلفاء الرسول ﷺ على أمته .. والعلماء ورثة الأنبياء .. وخصوصًا فى وقت أصبح العلماء فيه هدفاً لطائفتين :

الأولى : المتحررون من اتباع الشريعة ممن يتخذون من القدح فى العلماء وسيلة للقدح فى الدين كله .

والثانية : طائفة من المتشددين الذين شنعوا على العلماء أو بعضهم ، ورموهم بالأباطيل واستحلوا ذكرهم بالسوء وإلصاق التهم بهم ، ورميهم بالنقائص ، فهم - عند الطائفتين - فقهاء حيض ونفاس ، لا علم عندهم بالواقع ، علماء سلطة .. إلى آخر هذه الترهات التى كان يجب على الجميع تنزيه ألسنتهم عن لوكها ، والوقوع فى العلماء فإن لحومهم مسمومة ، ولهذا فيجب توقيرهم ، واحترامهم ، والدعاء لهم ، والنصح لهم ، وتنبيههم على أى أخطاء ، وستر زلاتهم ، وعدم التشهير بهم ، فإنهم خيار الأمة على الإطلاق . والله أعلم .

الفصل الثاني

نظرات وتأملات في واقع بعض الدعاة المعاصرين

المبحث الأول : ظاهرة الغلو .

المبحث الثاني : ظاهرة العنف .

المبحث الثالث : الفتن في هذا العصر وموقف المسلم منها .

المبحث الرابع : فتنة التكفير .

المبحث الخامس : ظاهرة سوء الظن بالعلماء .

المبحث السادس : الطعن في العلماء وتنقصهم .

المبحث السابع : ظاهرة التعصب .

المبحث الثامن : البيعة الحزبية .

المبحث التاسع : المظاهرات ليست من أساليب الدعوة .

المبحث العاشر : حقوق الراعي والرعية .

المبحث الأول

ظاهرة الغلو فى العصر الحديث ومظاهره

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ،

فإن ظاهرة الغلو فى الدين ، ظاهرة مذمومة وقد وجدت قديمًا وحديثًا ، حتى فى أقدم العصور ، ومن المنتسبين إلى كافة الشرائع ، وجد المغالون كما وجد المفرطون المتساهلون وظاهرة الغلو قد تقل أحيانًا فى بعض الأوقات ، وفى بعض الأماكن ، وقد تكثر أحيانًا أخرى لأسباب تساعد على انتشارها وتنوع مظاهرها ، وقد وردت النصوص الشرعية فى ذم الغلو والتحذير منه ، لذا رأيت أن أشير إلى بعض النصوص فى ذم الغلو والتحذير منه ، ثم أشير إلى بعض مظاهر الغلو فى العصر الحديث . فأقول :

١ - من القرآن :

(أ) قال تعالى : ﴿ **يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الحَقَّ** ﴾[١].

وقد أدى بهم الغلو فى دينهم إلى تأليه عيسى - عليه السلام - ورفعه فوق منزلته التى أنزله الله إياها .

(ب) قال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ [٢].

(١) النساء : ١٧١ .
(٢) المائدة : ٧٧ .

٢ - من السنة :

قوله - ﷺ - : « **إِيَّاكُمْ وَالغُلُوّ فى الدِّينِ ، فإنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم الغُلُوُّ فى الدِّين** »[١] .

ثانيًا : مظاهر الغلو فى العصر الحديث :

وهى كثيرة متنوعة ، لكن سنحاول إجمالها فيما يلى :

١ - التكفير :

إذ ظهر فكر التكفير ، والذى هو فى الحقيقة امتداد لفكر الخوارج ، فوجد بين عدد من الشباب من يكفر الحكام ، ووزراءهم وعلماء الدين ورجال الشرطة ، بل وعامة أفراد المجتمع ، وذلك فى كثير من الأحيان ، إما بسبب المعاصى ، أو بدعوى خضوعهم لحكم الطاغوت وغير ذلك ، وهذا مزلق خطير جداً ، ومظهر عظيم من مظاهر الغلو .

٢ - التعسير

والمقصود به التضييق على الناس ، وتكليفهم بما يشق عليهم ، مع أن الله تعالى لم يكلف الناس إلا بما يطيقون ، والنبى ﷺ يقول فى الحديث : « **يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا ، وَبشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا** »[٢] .

٣ - الغلظة والشدة والعنف :

وقد وجد هذا قديمًا ، كما أنه مستمر فى زماننا الحالى ، حيث وجد أناس ليس عندهم فقه للتعامل مع الآخرين ، ولا مع العصاة والمخالفين ، ولا فى الدعوة إلى الله

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١٥ ، ٣٤٧) وابن ماجه (٢/ ١٠٠٨/ح ٣٠٢٩) والحاكم (١/ ٤٦٦) وابن خزيمة وابن حبان والضياء وغيرهم عن ابن عباس . وصححه الحاكم والذهبى والألبانى .
(٢) متفق عليه من حديث أنس .

- تعالى - فتجدهم يعاملون الناس بشدة وغلظة ، وينكرون المنكر بأسوأ أسلوب ممكن ، وبشكل ينفر العصاة من الاستجابة للدعوة الحقة ، وعندهم من العنف الشىء الكثير ، ولاسيما عند قيامهم بالنهى عن المنكر ، فيغيرون باليد حيث يكفى النصح والكلام ، وقد يمتد ذلك إلى إيذاء الآخرين، وكل هذا مخالف لقول الله تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ** ﴾[١] .

وكذلك فإن هذا مناف لقول النبى - ﷺ - : « **ما كان الرفق فى شىء إلا زانه ، ولا نزع من شىء إلا شانه** »[٢]، وهذه الشدة والعنف والغلظة من أهم أسباب نفور كثير من الناس من الدعوة والتدين وابتعادهم عن أهل الخير ، وتوجسهم منهم.

٤ - الطعن فى العلماء :

حيث انتشر بين كثير من الناس القدح فى العلماء ، ورميهم بالخيانة وأنهم عملاء السلطان ، وأنهم منافقون مداهنون ، وأنهم لا يفقهون الواقع ، وكان من نتيجة ذلك فقدان الثقة فى العلماء ، والحط من شأنهم حتى بين العامة والدهماء ، وبالتالى وجدت هوة كبيرة ولازالت تتسع وتكبر بين العلماء ، وبين أهل الغلو ، بل إن بعض العلماء أحيانًا قد يقف موقف العداء ضد المغالين لما وجده منهم من التسفيه والطعن والتجريح .

٥ - ظهور المفتين الجهال :

وهذا كذلك من نتائج الذى قبله ، فإن أهل الغلو لما أسقطوا العلماء وحطوا من شأنهم ، اختاروا من بينهم مفتين جهالا ، أفتوا بغير علم وبما زين لهم فكرهم الجاهل القاصر وبما يعجب أتباعهم ، فضلوا بذلك وأضلوا خلقًا كثيراً .

(١) سورة النحل: ١٢٥ .
(٢) أخرجه مسلم وأحمد وغيرهما عن عائشة ، وورد من حديث أنس

٦ - سوء الظن :

أى سوء الظن بالآخرين ، وافتراض المقاصد السيئة من أقوالهم وأفعالهم ، مع أن عمر بن الخطاب قال : « لا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءا وأنت تجد لها فى الخير محملا » وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[1] فينبغى على المرء أن يحسن الظن بالآخرين بدلا من أن يسىء بهم الظن أو يفترض فيهم دائمًا الفجور والفسوق والانحلال وغير ذلك .

٧ - الاستبداد بالرأى :

وعدم قبول رأى المخالفين ، أو حتى الاستماع له وإن قام عليه الدليل ، وهذا كله مبنى على خطأ جسيم ، وهو إحسان الظن بالنفس ، وإساءة الظن بالآخرين ، فبالتالى يفترض المستبد برأيه أنه وحده على الحق ، وأنه هو المتبع للشرع ، وأن الآخرين كلهم على باطل ، فيتعصب لرأيه وينتصر له ولو بغير دليل ، ويرد كلام المخالف وإن قام عليه دليل ، بل قد يسفه صاحبه ويضلله بل وقد يعاديه ويكيده ، وكل هذا من الأمور الخطيرة جداً .

٨ - التهويل :

فقد يختلف البعض مع غيرهم فى مسألة معينة ، يكون فيها الخلاف سائغًا ، كاختلاف التنوع مثلا ، لكن البعض يقوم فيهول من شأن هذا الخلاف ويعظمه بما لا ينبغى ، ويجدون ذلك مبرراً للحط من شأن الآخرين وتضليلهم ومعاداتهم ، هذا مع أن الصحابة اختلفوا فى مسائل ، منها رؤية النبى - ﷺ - لربه - تبارك وتعالى - ليلة الإسراء والمعراج ، ولم يُبدِّعْ بعضهم بعضًا أو يفسقه ولا جرهم ذلك إلى التباغض والتعادى ، لكن الجاهلين يهولون من شأن أمور كثيرة ، حتى إن بعضهم ليعامل التارك لبعض السنن المندوبة ، يعامله معاملة تارك الأركان والفرائض ، وهذا كله منبعه من الجهل واتباع الهوى وعدم اتباع أهل العلم الصالحين .

(١) الحجرات : ١٢ .

٩ - التعصب للرجال :

فقد تجد البعض يتعصب لزيد أو لعمرو من العلماء أو من الدعاة وغيرهم ، ويفترض أنه الوحيد صاحب الأهلية ، ويناصب غيره العداء ، ويحط من شأنهم ، ويرد أقوالهم ، هذا مع أن هذا التعصب لا يجوز بحال ، ولا يعرف الحق بالرجال ، إنما يعرف الرجال بالحق ، ورحم الله الإمام مالك حيث يقول : « كلٌ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر » وأشار إلى قبر النبى - ﷺ - فلا يجوز أن يتعصب المرء لقول أحد من الناس إلا النبى - ﷺ - وإنما ينبغى لزوم الدليل وعدم الانحراف عنه .

وهناك مظاهر أخرى قد لا يتسع المقام لسردها ، وفيما أشرت إليه كفاية ، ونصيحتى لطلبة العلم والدعاة إلى الله - تعالى - هى أن يبتعدوا عن أسباب الغلو والجفاء وأن يأخذوا عن العلماء ويثقوا بهم ويتورعوا عن الخوض فى المسائل الكبار التى لا يصلح لها إلا الراسخون فى العلم ، وأن يسلكوا طريق السلف ﷺ ويتخذوهم قدوة ، فإن كل خير فى اتباع من سلف ، وكل شر فى ابتداع من خلف وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

المبحث الثانى

ظاهرة العنف

١ - تعريف العنف .

٢ - مظاهر العنف المشاهدة فى عالم اليوم .

٣ - العنف ظاهرة عالمية لا تختص بالمسلمين .

٤ - نشأة ظاهرة العنف وتطورها فى التاريخ الإسلامى

٥ - أسباب انتشار واتساع ظاهرة العنف فى عالم اليوم

٦ - أمور متعلقة بنشأة ظاهرة العنف وتناميها .

٧ - الحل الأمثل لظاهرة العنف وكيفية مواجهتها .

العنف
ظاهرة، وعلاج

التعريف الصحيح للعنف :

جاء فى المعجم الوسيط (٢/ ٦٣١) فى مادة (عَنُف) عنفًا : أخذه بشدة وقسوة . . ، واعتنف الأمر : أخذه بعنف . . وعنفوان الشىء : أوله ، يقال : هو فى عنفوان شبابه ، أى فى نشاطه وحدَّته .

ويتضح من ذلك أن حقيقة معنى العنف أخذ الأمور بشدة وقسوة وحدة ، فهو ضد الرفق ، والتعامل مع الغير بالعنف ، أى معاملته بخلاف الرفق والحسنى ، وذلك بالشدة والقسوة ، قولاً كان أم فعلاً . . وقد جاء فى الحديث الصحيح : « **إنَّ الله تَعَالى رفيقٌ يحبُّ الرفقَ ، ويُعطِى عَلَيْه مَا لا يُعْطى على العُنف** »[1]، وفى الحديث الآخر : « **ما كَانَ الرفقُ فى شىءٍ إلا زانه ، ولا نُزِعَ مِن شَىْءٍ إلا شَانَه** »[2] .

ويتضح من ذلك أن العنف واستعماله مذموم شرعًا إذا كان فى غير موضعه ، وأنه شَيْنٌ للسلوك وللعمل بخلاف الرفق والحسنى والحكمة .

مظاهر العنف المشاهدة في العالم اليوم :

إن مظاهر العنف فى عالم اليوم كثيرة متنوعة ، منها ما له طابع إجرامى ، وهذا موجود فى كل بلاد العالم تقريبًا من سطو بالإكراه ، واغتصاب ، وقتل ، ونحو ذلك ، وإن كانت بلادنا - والحمد لله - أقل بلدان العالم فى ذلك ، وهذا بفضل الله ثم بسبب قيام الحكومة السعودية بتطبيق شريعة الله تعالى فى هؤلاء المجرمين ، وهناك بعض من مظاهر العنف ذات الطابع السياسى أو الطائفى

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان وغيرهم .
(٢) سبق تخريجه .

والعرقى ، وتشمل ما نسمع عنه من حروب أهلية هنا وهناك ، وخطف للطائرات ، وعمليات اغتيال ، وتفجيرات ، وغير ذلك ، وهذه كذلك موجودة فى كثير من بلدان العالم ، إسلامية أو غير إسلامية ، حتى فى أكبر دول العالم وأقواها وأكثرها تقدمًا .

هل العنف ظاهرة خاصة بالمسلمين ؟ أم هى ظاهرة عالمية ؟

من خلال إجابتى عن السؤال السابق يتضح أن العنف ظاهرة عالمية لها أسباب متعددة : سياسية واجتماعية ، واقتصادية ، بل ودينية ، وليس خاصّاً بالمسلمين فقط ، بدليل أن كثيراً من مظاهر العنف فى العصر الحالى لا دخل للمسلمين بها ، وذلك كالصراع بين الكاثوليك والبروتستنت فى إيرلندا ، والعنف بين الحكومة ومنظمة مايتا الانفصالية فى إقليم الباسك بإسبانيا ، والجماعات الإرهابية العالمية المعروفة كالألوية الحمراء فى إيطاليا ، والجيش الأحمر فى اليابان ، وبادرماينهوف فى ألمانيا والطريق المضىء فى بيرو ، وغير ذلك .

بل إن المسلمين هم الضحية فى كثير من مناطق الصراع كما حدث فى البوسنة ، وكما يحدث فى الشيشان وكشمير وغيرها ، فالحاصل أن العنف ظاهرة عالمية موجودة فى معظم دول العالم حتى أمريكا تعانى منها كما شاهدنا فى تفجير أوكلاهوما وأطلنطا وغيرها .

كيف نشأت هذه الظاهرة ؟ وكيف تطورت عبر التاريخ الإسلامى ؟

فيما أرى أن هذه الظاهرة نشأت فى التاريخ الإسلامى منذ عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، الخليفة الراشد الثالث ، حين ثار عليه بعض من العامة بتأليب من السبئية أهل الفتنة فحاولوا خلع عثمان ﷺ قسراً ، ولما رفض ذلك قتلوه مظلومًا ، ثم تطور الأمر إلى محاولة حل الخلاف بين علي ﷺ ومعاوية ﷺ بالحرب ، ونتج عن ذلك قتل على ومحاولة قتل معاوية وعمرو بن العاص ثم ظهرت الجماعات السرية

المناوئة لولاة الأمور فى عهد الدولة الأموية ، وحاول هؤلاء مواجهتها والقضاء عليها بالقوة ، واستمر الأمر كذلك فى العصر العباسى ، وتطورت الأمور إلى ما صارت عليه الآن كما نراه من حولنا ، حيث توجد فرق بعضها لا ينتمى إلى أهل السنة والجماعة كالباطنية من الإسماعيلية والبهرة وغيرهم ، وهؤلاء يلجئون إلى العنف كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، وبعضها ينتسب إلى أهل السنة والجماعة ، لكنهم خالفوا طريقة السلف حيث حاولوا تغيير أنظمة الحكم فى بعض البلدان الإسلامية عن طريق الثورات والاغتيالات وغيرها ، وهؤلاء مخطئون جداً مخالفون لمنهج السلف ، وينبغى التحذير من طريقتهم ومنهجهم ، ومحاولة ردهم إلى الحق بكل وسيلة ممكنة .

أهم الأسباب التى أدت إلى نشوء ظاهرة العنف فى العصر الحاضر ، وهل هى مرشحة للازدياد والتفاقم ؟

الحقيقة أن هذه الظاهرة لها أسباب متعددة أحاول إجمالها فيما يلى :

أولاً : أسباب سياسية : وتتمثل فى وجود بعض الأفراد والجماعات والأحزاب ذات الطموحات السياسية والتطلعات السلطوية ، فهذه قد تنتهج العنف وتثيره فى المجتمع لأجل تحقيق أهدافها ، وقد تكون بعض هذه المظاهر أحيانًا عبارة عن ردود أفعال غير مسئولة وغير منضبطة أو متزنة تجاه بعض الممارسات التعسفية من قبل بعض الحكومات التى لا تطبق شرع الله تعالى .

ثانيًا : أسباب اجتماعية : نتيجة لاختلافات عرقية ، كما حدث فى رواندا وبورندى وغيرها وقد تكون نتيجة للطبقية والظلم الاجتماعى .

ثالثاً : أسباب اقتصادية : نتيجة للفقر المدقع لبعض الطبقات فى بعض البلدان ، فقد تنتهج العنف وسيلة لتحسين وضعها أو استرداد حقوقها .

رابعاً : دوافع دينية : وهذه قد تحدث فى بعض البلدان نتيجة لعصبية دينية باطلة،

كما حدث للمسلمين فى البوسنة عـلى يد الصرب النصارى بدوافع دينية ، وقد تكون نتيجة للفهم الخاطئ للنصوص الدينية كما يحدث فى بعض المجتمعات الإسلامية .

وأرى أنه ما لم يتم محاولة بحث أسباب هذه الظاهرة عبر العالم ووضع الوسائل الصحيحة لعلاجها والقضاء عليها فإنها مرشحة لمزيد من التفاقم .

الأمور التالية لها علاقة بتنامي ظاهرة العنف في العالم الإسلامي :

*** عدم وجود مرجعية موحدة للمسلمين فى العالم والاختلاف فى فهم الإسلام :**

لاشك أن هذا من أسباب وجود وتنامى هذه الظاهرة ، فإن الأمور تطورت حتى أصبح العـالِمُ المشهود له بالـعلم فى بلدٍ قد لا يُـعتَرف به فى بلد آخـر ، وعلى ذلك اتخذت كثير من الجـماعات والفرق والأحزاب (رءوسًا جهالاً فسُئلوا فأفـتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) كما أخبر بذلك النبى - ﷺ - فى الحديث المتفق عليه وذلك لأن بعض هؤلاء المفتين والرءوس يفتى بغير علم ، وقد يتخذ مذهبًا ضعيفًا لا دليل عليه، أو يفتى على أساس مذهب مخالف لأهل السنة ، ويتابعه فى ذلك مؤيدوه ، مع العلم أنه يوجد هيـئة لكبار العلماء فـى المملكة العربية السـعودية تشمل علمـاء راسخين فى العلم فيجب الرجوع إليها .

*** الانحـراف الفكـرى فى فـهم الإسلام ، ودور الـفرق البـاطنيـة وأصحـاب العقـائد المنحرفة :**

لاشك كذلك فـى أن هذا السبب من أهم أسـباب نشوء وتنامى هـذه الظاهرة ، فانحـراف كثير من النـاس عن جادة الصواب ، وعـن منهج السـلف فى فهم وتقـييم الأمور أدى إلى نشوء هذه الظاهرة حيث راحوا يفهمون الدين بأهوائهم ، ويلوون عنق النصوص أو يفسرونها بما يعجبهم ، وبما يخـدم مذاهبهم الفاسدة ، كذلك فإن الباطنية وأصحاب العقائد المنـحرفة لهم دور كبير فى ذلك ، فهم أصل هذه الـظاهرة منذ عهد

عثمان رضي الله عنه وهم الذين يحاولون الترويج لهـذه المذاهب التى دعا إليها الخوارج والمعتزلة منذ القديم وما زالوا يحاولون الدعوة لها وتشجيعها فى كثير من بلدان المسلمين .

*** الظروف التى يمر بها العالم الإسلامى اليوم من اضطهاد للمسلمين وضعف وتمزق :**

وهذا أيضا مـن أسباب وجود ظاهرة العنـف فى العالم الإسلامى ، فـإن مظاهر اضطهاد المسلمين فى كثير من بلدان العالم ، وما يتعرضون له من ظلم ، بل وإبادة ، كل هذا يولد ردود فعل يـائسة ، خصوصـًا عند الذين لا ينضبـطون بضوابط الشرع ، فيحاولون الانتصاف للمسلمين عـن طريق مواجهة أصحاب الديانات الأخرى وغيرهم بشىء مـن العنف ، وذلك كـنوع من رد الفعل ، غـير أن هؤلاء يفوتـهم أن الإسلام وضع حقوقـًا لأهل الذمة ولغير المسلمين القادمين إلى بلاد الإسلام بعهد أمان لا ينبغى تجاوزها والإخلال بها .

*** الخلط بين مفهوم الجهاد والعنف :**

هذا كذلك من هذه الأسبـاب ، فإن بعضـًا من المنتمين إلـى التيارات الإسلامية والغيـورين على الإسلام قـد خلط بين مـفهوم الجهاد لـلكفار والمنـافقين ، بالـسيف واللـسان والمال ، وبيـن العنف مـع الخصوم فى الـرأى والمخالفيـن من أهل المعـاصى والفسوق ، فتعامل معهم بالمنطق الـذى لا يكون إلا مع الكفار والمنافقين الذين أوجب الإسلام جهادهـم ، وهذا الخلط بعضه يرجـع إلى الهوى ، وبعضه يرجـع إلى الجهل وفقدان التوجيه ، وانعدام أو قلة الموجهين القادرين المؤهلين من أهل العلم المعتبرين .

*** الحل الأمثل للتصدى لظاهرة العنف والإرهاب والتطرف :**

إن الحل لهذه المشكـلة لا يكمن فى معالجتهـا باعتبارها مشكلة إجـرامية ، لكن باعتبارها مشكلة لها خلفيات ودوافع متعددة ، لذلك فالحل ليس حلا أمنياً فقط، لكنه حل وعلاج للدوافع والأسباب التى أفرزتها ، ويتمثل هذا الحل فى الأمور التالية :

١ - نشر الوعى الإسلامى الصحيح بين صفوف الناس، ولاسيما الشباب أهل الدين .

٢ - ربط الشباب بالعلماء أصحاب الدين والعلم الراسخ ، وتقوية العلاقة بينهم حتى يكونوا مصدر توجيه للشباب ، ومحاولة سد الفجوة التى تفصل بين قطاعات من هؤلاء الشباب وبين العلماء .

٣ - محاولة القضاء على المظاهر التى تتناقض مع الإسلام سواء فى الشارع أو فى وسائل الإعلام أو غيرها ، وذلك من قبل أولياء الأمور ، لأن هذا التناقض من أهم أسباب نشوء هذه الظاهرة وتناميها .

٤ - محاورة هؤلاء المنتهجين للعنف من قبل أهل العلم والدين ، والاجتهاد فى ردهم للحق بالحجة والبرهان كما فعل ابن عباس رضي الله عنهما مع الخارجين على علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٥ - تطبيق شريعة الله - تعالى - فى البلدان الإسلامية التى لا تطبقها ، فإن عدم تطبيقها هو من أهم - إن لم يكن أهم - أسباب نشوء وبروز ظاهرة العنف ، والتى تنتشر أكثر فى هذه البلدان .

٦ - محاولة رفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى للطبقات المحرومة التى قد تحقد على غيرها من طبقات المجتمع العليا وسد الفجوة بين الأغنياء والفقراء .

إضافة إلى كل هذه الحلول فلا مانع من العمل الأمنى لأجل إحباط أى أعمال إرهابية خارجة عن شرع الله ومعاقبة مرتكبيها بما تقتضية الشريعة الإسلامية .

* * *

المبحث الثالث

الفتن فى هذا العصر وموقف المسلم منها

أولاً : معنى الفتنة :

قال فى لسان العرب (١٧/ ١٩٢) فى مادة (فتن) : « جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار ، وأصلها مأخوذ من قولك : فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الردىء من الجيد . . والفتن : الإحراق ومن هذا قوله - عز وجل - : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُون ﴾ أى يحرقون بالنار . . » إلخ .

وانظر فى معنى الفتنة أيضا : القاموس المحيط (ص١٥٧٥) والمعجم الوسيط (٢/ ٦٧٣) وغير ذلك ، وأما المقصود بالفتنة شرعًا ، فهو نفس أصل المعنى اللغوى ، فقد جاء لفظ الفتنة فى القرآن بمعنى الابتلاء والاختبار والتمحيص، كما قال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾(٢)وجاء لفظ الفتنة كذلك بمعنى التحريق والتعذيب بالنار، كما فى قوله تعالى : ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الذى كنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾(٣) .

وجاء لفظ الفتنة كذلك فى القرآن لمعانٍ أخرى كالشرك وغيره ، وليس المقصود هنا حصر هذه المعانى .

ثانيًا : الفتن سنة كونية :

بين الله - تعالى - فى كتابه الكريم أن اختباره لعباده ، وفتنته لهم ، سنة كونية لا تتبدل ولا تتحول ، كما هو واضح فى قوله تعالى : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن

---

(١) العنكبوت : ٢ .   (٢) الأنبياء : ٣٥ .   (٣) الذاريات : ١٤ .

يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون . ولَقَدْ فَتَنَّا الذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ولَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يأتكُم مَّثَلُ الذينَ خَلَوْا من قَبْلكُم مَّسَّتْهُمُ البأسَاءُ والضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالذينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّه﴾(٢) وهكذا يتضح أن الفتنة والابتلاء أمر قد كتبه الله على الأولين والآخرين ، ولابد لكل واحد من بنى آدم من أن يفتن ، فيبتلى ويختبر ، وقد يجتاز الاختبار بنجاح أو يفشل ، وذلك لحكمة ربانية بالغة .

ثالثًا : الحكمة الربانية من تقدير الفتن :

إن الله - سبحانه وتعالى - لا يقدر أمرًا ، ولا يفعل شيئًا إلا لحكمة بالغة ، علمها من علمها ، وجهلها من جهلها ، لكنه سبحانه: ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ وقد علمْنَا بعضًا من الحِكَم الربَّانية فى تقدير الفتنة : فمن هذه الحكم :

١ - تمييز المؤمنين من المنافقين :

وذلك كما فى قوله تعالى : ﴿ ولَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ من قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الذينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبِينَ ﴾(٣) .

٢ - تطهير المؤمنين بتكفير سيئاتهم :

وذلك كما فى مثل قوله - ﷺ - : « مَا يُصيبُ المسْلمَ منْ نَصَب وَلا هَمٍّ وَلا حُزْن ولا أَذًى وَلا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إلا كَفَّرَ اللهُ بهَا عَنْ خَطَايَاه » (٤)، فكل ما ينزل بالمسلم ، من أنواع الفتن والمصائب والبلاء فإن فيها كفارة له عن ذنوبه

---

(١) العنكبوت : ٢ ، ٣ . (٢) البقرة : ٢١٤ . (٣) العنكبوت : ٣ .
(٤) أخرجه البخارى ومسلم .

وخطاياه ، وهذا التكفير يكون للصغائر والكبائر على حسب قوة البلاء وشدته ، وهذا هو الحق إن شاء الله .

٣ - رفع الدرجات للمؤمن :

وذلك بما يناله من الثواب والأجر فى بلائه ، إذا صبر عليه ، وأحسن القيام فى البلاء بما أمر الله - سبحانه وتعالى - وقد ورد فى النصوص إشارة إلى ذلك ، كما فى قوله ﷺ : « مَا يُصيبُ المؤْمنَ من شَوْكَة فَمَا فَوْقَهَا إلا رَفَعَهُ اللهُ بهَا دَرجَةً وحطَّ عَنْهُ خَطيئَةً » (١) . وكما فى قوله ﷺ : « مَا منْ شىء يُصيبُ المؤمنَ حَتَّى الشَّوْكَةُ تُصيبُهُ إلا كَتَبَ اللهُ لَهُ حَسَنَةً ، أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ خَطيئَةٌ »(٢) .

ففى البلاء والفتنة رفع لدرجات المؤمن بما يثيبه الله تعالى من الأجر العظيم لصبره على الفتنة .

٤ - التعويض للمؤمن :

فإن المؤمن إذا ابتلاه الله بأمر ، من فقد حبيب أو ضياع مال أو تلف عضو أو غير ذلك فصبر ، عوضه الله تعالى بأفضل مما أخذ منه ، كما فى قوله - ﷺ - : « إنَّ اللهَ قَالَ : إذَا ابتليتُ عَبْدِى بحَبِيبَتَيْه - يَعْنِى (عَيْنَيْه) فَصَبَر عَوَّضْتُهُ منْهَا الجنة »(٣).

فهذه بعض الحكم الربانية من تقدير الفتن ، وهى قليل من كثير ، وما استأثر الله - تعالى - بعلمه أكثر وأعظم ولا شك ، وفيما ذكرت إشارة للمقصود .

---

(١) أخرجه مسلم وغيره .
(٢) أخرجه مسلم وغيره .
(٣) أخرجه البخارى وأحمد والترمذى .

أنواع الفتن

إن للفتنة أنواع مختلفة ولكنها كلها يعود إلى نوعين رئيسين هما :

١ - فتنة الشبهات :

وهى التى تعارض العقيدة ، وينتج عنها فساد فى التصورات وانحراف فى المفاهيم ، فيضل الشخص المفتون عن عقيدة السلف، كلها أو بعضها، أو ينحرف فى تفسير الحكمة الإلهية من شيء معين، أو يبتدع فى الدين ما ليس منه ، ويفارق سنة النبى ﷺ وهذا النوع من الفتن أخطر الأنواع إذ ينتج عنه الكفر والنفاق والبدع .

٢ - فتنة الشهوات :

وهى التى تعارض الإرادة وتؤدى إلى فساد السلوك ، ورغم خطورة هذا النوع من الفتن إلا أنه أقل خطورة من الذى قبله ، ومن هذه الفتن اتباع شهوات البطن والفرج وغير ذلك .

خامسًا : أسباب الفتن :

هناك أسباب متعددة توقع فى الفتنة ، ومن هذه الأسباب :

١ - اتباع الهوى وفساد القصد : قال تعالى: ﴿ **يا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الأَرْضِ فَاحْكُم بينَ النَّاسِ بالحقِّ ولا تَتَّبِعِ الهوَى فَيضِلَّكَ عن سَبِيلِ الله** ﴾[1] فاتباع الهوى وسوء النية وعدم الإخلاص يوقع فى الفتنة .

٢ - الجهل ونبذ العلم : فإن الإنسان صاحب العلم والبصيرة يكون أعلم بالفتن وأبوابها فيحذرها فينجو منها ، بينما الإنسان الجاهل يسهل وقوعه فى الفتنة لجهله بها ، وجهله بأسبابها وسبل علاجها .

(١) سورة ص : ٢٦

٣ - اتباع المتشابه من النصوص وترك المحكم : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **فأمَّا الذينَ فى قُلوبِهِمْ زَيْغٌ فيتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابتغَاءَ الفتنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأويله** ﴾[1] فاتباع المتشابه يوقع فى الفتنة كما حدث لكثير من أهل الأهواء من الفرق قديمًا وحديثًا .

٤ - الإفراط والتفريط : فإن الإسلام وسط بين الإفراط والتفريط ، وأما الغلو فإنه يؤدى إلى الوقوع فى الفتنة ، كما قال - ﷺ - : « **إياكُمْ والغُلُو فإنه أهْلَكَ مَنْ كانَ قَبلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أن سَفَكُوا دِماءهُمْ واستَحَلُّوا مَحَارِمَهُم** »[2] . وللفتن أسباب غير ما ذكر .

سادسا : صور من الفتن في العصر الحالي :

لقد كثرت الفتن فى زماننا الحالى وتعددت وكثرت جداً حتى احتالت كثيراً من الناس عن دينهم ، وأنا أذكر بعضًا من هذه الصور ، فمنها :

١ - **فتنة المال** : حيث أصبح أكثر الناس يطلب المال بأى شكل ممكن، لا يبالى أمن حل أم من حرام، المهم أن يحصل على المال بأى شكل يظن أنه هو الوسيلة لقضاء الحاجات وكذلك صار الناس يتنافسون فى تحصيل المال والاستكثار منه ، بقصد التفاخر والتكاثر ، وهذه خطيرة جداً، قد عمت بها البلوى .

٢ - **فتنة النساء** : وهى أخطر الفتن على الناس ، كما قال ﷺ : « **مَا تركْتُ بعْدِى فتنةً أضرّ عَلَى الرجَالِ مِنَ النسَاء** »[3]، وقد استحوذ الشيطان على الناس من خلال هذه الفتنة حيث وسوس للنساء فتفنن فى أنواع الثياب والعطور وغيرها من وسائل الفتنة ، وانتشر التبرج والسفور والانحلال والاختلاط مما أدى إليه من عواقب وخيمة ، وكذلك فرط الناس فى غض البصر وتوقى الفتنة .

(١) آل عمران: ٩ .

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبى .

(٣) رواه الجماعة إلا أبا داود .

٣ - **فتنة الخوف من الناس** : وهذا نتيجة لضعف الإيمـان وقلة اليقين والتوكل ، وبذلك صار أكثر الناس يخافون من غيـر الله ، ويحجمون عن قـول كلمة الحق خوفًا علـى حياتهم وأرزاقهم ، كمـا قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ** ﴾[1] .

٤ - **فتنة اتباع المتشابه** : وهذه الفتنة قد أدت إلى ظهور الفرق من أهل الأهواء مثل المنكرين لصفات الله تعالى أو بعضـها ، أو الذين يبيحون دماء المسلمين بأى تأويل ، أو المنكرين للقدر الإلهى الشامل لكل شىء ، ومثل الذين ذهبوا إلى تكفير المسلمين بالمعاصى ، أو القائـلين بالخروج على ولاة المسلمين بالقوة ، وكذلك الذين ذهبوا إلى إيجاب البيعة لأمراء الجماعات ، وتكفير المخالفين .

٥ - **فتنـة تقليد الـكفار** : حيث أصبح الجهال يقـلدون رجال الغرب ونـساءه فى لباسهم وحركاتهم واتخاذهم قدوة ومثلاً أعلى ، وما نتج عن ذلك من ضياع للهوية الإسلامية . وغير ذلك من أنواع الفتن التى ظهرت فى زماننا .

سابعًا : موقف المسلم من الفتن :

إن الإسلام قد وضـع وسائل لاتقاء هـذه الفتن ، وبيـن الموقف الذى ينـبغى أن يتخذه المسلم من هذه الفتن ، فمن ذلك :

١ - **التعوذ بالله من الفتن** : فى الصلاة وفى غيرها فإن الله تعالى هو العاصم من الفتن ، وقد قال - ﷺ - : « **إذا فَرَغَ أَحَدُكُم منَ التشهـُّد الأخير فَليتعوذْ من أربع : مـِن عذَابِ جهنَّمَ ، ومـنْ عَذَابِ القَبْرِ ، ومـن فِتْنَةِ المحْيـا والممَات ، ومنْ شَرِّ المسيحِ الدَّجَّال** »[2].

(١) العنكبوت : ١٠ .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

٢ - **التمسك بالكتاب والسنة** : وقد قال تعالى : ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى** ﴾[1].

٣ - **طلب الـعلم الشرعى الـنافع** : وذلك من مظـانه التى منهـا الكتب السلـفية الصحيحة ، وعلمـاء أهل السنة المعتمدون فإن العلم الصـحيح كما سبق من أعظم وسائل اتقاء الفتنة والبعد عنها .

٤ - **الحذر من الخروج علـى جماعة المسلميـن وإمامهم** : فإن الرسول - ﷺ - لما سأله حذيفة عن الفتن والشر ، وكيف يعمل إذا أدرك ذلك قال له : «**تَلْزَمْ جَمَاعَـةَ المُسْلمين وإمامَـهُمْ . قال : فَإِن لَمْ يَـكُن لَهُمْ جَمَاعَـةٌ ولا إمامٌ ؟ قَالَ : فاعْتَزِلْ تلكَ الفرقَ كُلَّها ولَوْ أَنْ تَـعُضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وأَنتَ عَلَى ذَلكَ**»[2] .

وينبـــغى الحـذر من الخروج على الأئـمة ، وإن جاروا ما لم يكن هـناك كفر بواح ، فإن ذلك سبب فى شيوع الفتنة وإراقة الدماء .

٥ - **ملازمة تقـوى الله تعالى** : وحفظ أمره ونهيه ، فإنه خـير عاصم من الفتنة ، وتقوى الله هى الحاجز بين المرء وبين اتباع الشهوات الموقعة فى الفتنة .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

(١) طه : ١٢٣ .

(٢) رواه البخارى وغيره

المبحث الرابع

فتنة التكفير

ومظاهره في هذا العصر

١ - تعريف الكفـر .

٢ - وسطية أهل السنة والجماعة في مسألة التكفير .

٣ - التكفير حق خالص لله ورسوله صلى الله عليه وسلم

٤ - خطورة فتنة التكفير .

٥ - بعض مظاهر التكفير في الوقت الحاضر .

٦ - السبل والوسائل لمعالجة ظاهرة التكفير.

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ - أما بعد :

فإن من أخطر الفتن السارية فى زماننا ، فتنة التكفير ، حيث انتشر هذا الفكر الضال بين عدد قليل من أبناء الصحوة الإسلامية ، الذين اندفعوا فى غمرة حماستهم للدين ، وغيرتهم على شرائعه ، فأخذوا بما ألقاه إليهم أهل الهوى والضلال ، ممن جددوا فكر الخوارج ، وصاروا امتدادًا له ، فكفروا المجتمعات الإسلامية ، وكفروا كل حكام المسلمين ، وجل الناس ، ولم يسلم منهم أحد ، وترتب على ذلك مفاسد خطيرة ، لأجل هذا رأيت أن أكتب حول هذا الموضوع ، فأقول بتوفيق الله :

أولاً : تعريف الكفر :

الكفر فى اللغة هو الستر والتغطية ، قال فى مختار الصحاح ، ص ٢٣٩ : « وكل شىء غطى شيئًا فقد كفره . . » .

وجاء فى المعجم الوسيط (٧٩١/٢) فى مادة : كفر : « . . وكفر الشىء وعليه كفرًا ستره وغطاه ، ويقال : كفر الزارع البذر بالتراب فهو كافر . وكفر التراب ما تحته . . » إلخ ، وانظر لسان العرب لابن منظور مادة كفر ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ، مادة كفر .

وأما الكفر الوارد فى لسان الشرع ، فإنه يراد منه أحيانًا الكفر الناقل عن الملة المخرج من الإسلام ، وأحيانًا يراد منه الكفر الذى لا ينقل عن الملة ولا يخرج من الإسلام .

وقد سُمى الكافر كافرًا لأنه ستر نعمة الله وغطاها فلم يعترف لله بها ولم يشكره عليها ولم يردها إليه بل جحدها وأنكرها .

ثانياً : وسطية أهل السنة والجماعة في مسألة التكفير :

إن أهل السنة والجماعة وسط فى كل مسائل أصول الدين ، بين الفرق التى غلت والفرق التى قصرت ، هم وسط بين الإفراط والتفريط ، كما قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ .

وهكذا مسألة التكفير ، فإن الكافر نوعان :

الأول : كافر أصلى :

كمن وُلد لأبوين غير مسلمين وكبر على الكفر فهذا لاشك فى كفره ، بل إن من لم يكفره فهو كافر .

الثانى : كافر مرتد :

وهو من وُلد لأبوين مسلمين ، لكن طرأ عليه ما يخرجه من الإسلام ، أو يوجب الحكم بكفره ، وقد انقسم الناس فى هذا الباب إلى ثلاث فرق :

١ - **الخوارج الوعيدية :** وهؤلاء يكفرون أهل الإسلام بكل الكبائر ، بل والصغائر ، ويستحلون دماءهم وأموالهم ، بينما يدعون أهل الأوثان ، ويكفرون كل من ليس معهم ، ولهم امتداد فى زماننا الحالى ، وموضوع هذا المبحث يتعلق بهم قبل غيرهم أصلا .

٢ - **المرجئة :** الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله ، وإن فعل المسلم ما فعل مهما كان فعله كفراً فى نفسه ، فيقولون: هو مؤمن ولا يضره ما فعل.

٣ - **أهل السنة والجماعة :** وهم وسط فى هذا الباب بين هذين الفريقين ، لايتعجلون فى تكفير المسلم ، ولا يمتنعون عن تكفيره مطلقًا مهما أحدث من أمور توجب الحكم عليه بالتكفير ، لكنهم وسط ، وهم يقولون : إن المسلم

الذى يفعل فعلا من أفعال الكفرة قولاً أو عملاً لا يكفر به حتى تقام عليه الحجة ويُبيَّن له الأمر ، ويتم التأكد من توفر شروط التكفير فى حقه وانتفاء الموانع ، فمن شروط التكفير : العلم والاختيار والقصد والرضا والعمد - ومن موانعه : ثبوت الخطأ ، والجهل ، والإكراه ، والتأويل .

ثالثاً : التكفير حق خالص لله ولرسوله - ﷺ - :

إن تكفير المسلمين ، والحكم عليهم بالخروج من دائرة الإسلام أمر خطير جداً ، لايجوز لأحد أن يقدم عليه إلا الراسخون فى العلم وبضوابط معينة .

فالتكفير حق لله - تعالى - ولرسوله - ﷺ - يقوم به العلماء الراسخون فى العلم بيانًا لحكم الله تعالى ورسوله - ﷺ - .

ومن زج بنفسه فى مزالق التكفير بعد هذا الكلام فقد تعدى واعتدى ، وتجاوز حدود ما شرعه الله تعالى ، وادعى لنفسه خالص حق الله تعالى .

فلا يجوز تكفير أحد إلا من كفره الله - تعالى - ورسوله - ﷺ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم ، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ، لأن الكفر حق شرعى ، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله ، كمن كذب عليك وزنى بأهلك ، ليس لك أن تكذب عليه وتزنى بأهله ، لأن الزنا والكذب حرام لحق الله تعالى ، وكذلك التكفير حق لله فلا تكفر إلا من كفره الله ورسوله .. » انظر الرد على البكرى (٢٥٧-٢٥٨) .

رابعاً : خطورة فتنة التكفير :

١ - أن فيها اعتداء على حق من حقوق الله - تعالى - وإضفاء لذلك الحق على نفس المكفر كما سبق بيانه فى النقطة السابقة .

٢ - أن الذى يكفر غيره يُعَرِّض نفسه للوقوع فيما رمى به غيره ، كما قال - ﷺ - : « **من قال لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما ، إن كان كما قال ، وإلا رجعت إليه** »[1] .

فمن هنا يتضح خطورة هذه الفتنة فى حد ذاتها .

٣ - أن فيها إثارة للعداوة والبغضاء فى نفوس الناس تجاه من يكفرونهم ، ومن الذين يأخذون هذا المذهب تجاه الناس ؛ ولأنه لا يرضى أحد بأن ينسب إلى الكفر ، بل قد يقع الاقتتال والاستحلال بسبب ذلك . ولهذه الفتنة أضرار كثيرة جداً على الفرد والمجتمع .

خامساً : بعض مظاهر التكفير في الوقت الحاضر :

لقد رأينا فى العصر الحالى عدداً من مظاهر التكفير والتى توضح مدى خطورة هذه الظاهرة الكريهة والفتنة الخطيرة ، وما آلت إليه فى زماننا الحالى ، ومن هذه المظاهر :

١ - تكفير حكام المسلمين ، لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله ، باستثناء حكام الديار السعودية ، وأدى هذا إلى القول بوجوب الخروج عليهم بالسلاح ، وكانت من وراء ذلك الفتن الكبرى ، وإزهاق الأرواح البريئة ، وإراقة الدماء المحرمة ، وانتشار الفوضى وعدم الاستقرار فى عدد من بلدان المسلمين والأمثلة لا تخفى على أحد .

٢ - انتشار فكر تكفير موظفى الحكومة ورجال الشرطة وغيرهم ، بل وحتى أئمة المساجد والمؤذنين والعلماء ، كل ذلك بدعوى أنهم أعوان الظلمة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(١) أخرجه البخارى وغيره .

٣ - ظهور القول بكفر كل أفراد المجتمع من غير أعضاء الجماعة المكفِّرة ، حتى من أبناء الصحوة الإسلامية الذين لا يدينون بفكر هذه الجماعات المنحرفة ، ولهذا أمثلة كذلك لا تحصى .

٤ - ظهور مبدأ وجوب مفارقة المجتمع كله ، والتبرؤ منه ومن أهله ، بدعوى أنهم جميعًا كفار .

٥ - اعتناق البعض لمبدأ وجوب مفارقة المرأة - من معتنقى فكر الجماعة - لزوجها الذى يكون من غير أعضاء الجماعة بدعوى كفره وردته ، ولهذا أمثلة من الواقع كما هو معلوم وحدث فى بعض البلاد الإسلامية .

٦ - ظهور من يمنع الصلاة فى المساجد بحجة أنها مساجد ضرار وغير ذلك ، وبدعوى أن الأئمة غير مسلمين .

سادساً : السبل والوسائل لمعالجة ظاهرة التكفير :

١ - العمل على تقريب العلماء الراسخين من الشباب بكل وسيلة ممكنة ، بحيث يكونون مصدر هداية لهؤلاء الشباب ، ودافعًا لهم إلى الرجوع لشرع الله تعالى وسنة نبيه ، بدلا من أن تتسع الفجوة بين العلماء والشباب فلا يتقبلون نصحًا ولا رأيًا من العلماء ، بل وقد يتطور الأمر إلى حد تكفير العلماء والعياذ بالله .

٢ - على الشباب أن يطلبوا العلم الشرعى الصحيح ، ومن أبوابه الموثوقة ، من العلماء الثقات ، ومن كتب السلف الصالح ، وليرجعوا إلى العلماء لفهم ما استعصى عليهم ، أو التبس ، بدلاً من أن يجروا وراء كل ناعق ، أو يفهموا كلام السلف بما تسوله لهم النفوس المريضة ، والأفهام القاصرة ، فيكون

الزيغ والضلال ، وعليهم أن يهتموا بتعليم العقيدة الصحيحة ، ويجعلوها على رأس أولوياتهم على الإطلاق .

٣ - العمل على إغلاق الفجوة بين النظرية والتطبيق فى المجتمعات الإسلامية ، بمعنى أنه يجب محاربة مظاهر الفساد والانحراف والفجور وأهلها ، وذلك لأن ترك هذه المظاهر فى المجتمع المسلم دون محاربة ومعاقبة لأصحابها مما يساعد على نشر فكرة تكفير المجتمع ككل .

٤ - وجوب تحكيم شرع الله تعالى ، وذلك فى الدول التى لا تطبقه ؛ لأن هذا هو أهم الأسباب التى كانت تكمن وراء ظهور فكرة تكفير الحكام ، ثم تكفير المجتمع كله تبعًا لذلك .

٥ - محاورة هؤلاء الشباب وتعليمهم ، وردهم إلى الحق بالإقناع والحجة ، وعدم الاكتفاء بالمواجهة الأمنية فقط ، لكن هذا لا يمنع من التحرك الأمنى لمواجهة أى أشياء مخلة بأمن المجتمع ونظامه العام وتشكل خطورة على أرواح الناس وأموالهم .

٦ - الحرص على محاربة كل فكر هدام منحرف ، يكون سببًا فى تغذية هذه الظاهرة وتنميتها .

* * *

المبحث الخامس

ظاهرة سوء الظن بالعلماء والصالحين

فإن إساءة الظن بالعلماء والصالحين وغيرهم مما حرّمه الإسلام ، ونهى عنه ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾(١) .

ومما يؤسف له أن ظاهرة إساءة الظن بالمسلمين ، ولا سيما بالعلماء والصالحين منهم ، قد استشرت فى زماننا الحاضر ، وأصبحت آفة خطيرة تهدد الترابط والوحدة الداخلية بين أفراد المجتمع المسلم ، وهذا مما يؤثر سلبًا - ولا شك - على قوة المجتمع ، وقدرته على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية .

ومما ينبغى الانتباه إليه حول هذا الموضوع - الأسباب التى تحمل على سوء الظن وتدفع إليه فأقول :

أولاً : أسباب إساءة الظن :

هناك أسباب عديدة قد تحمل الإنسان على إساءة الظن بالآخرين ، ومنهم العلماء والصالحين ومن هذه الأسباب :

١ - الجهل :

فإن الجهل وعدم العلم بحقائق الأمور ، وعدم فهم مقاصد الشريعة ، ومناط الحكم ، والنظر المعتبر عند الاجتهاد ، كل هذا قد يجعل الإنسان بعيدًا عن فهم حقائق الأمور ، ومن ثم يتهم الآخرين بالنقص والعيب ، ويسىء الظن بهم ويرميهم بالتهم والعظائم .

(١) الحجرات : ١٢ .

ومن أوضح الصور علـى ذلك ما وقع من ذى الخويصـرة مع النبى - ﷺ - فإنه بسبـب جهله وعدم إدراكه للحـقائق أساء الظن بالنـبى - ﷺ - ، ورماه بعدم العدل ، وأى تهمة أبعد عن رسول الله - ﷺ - من الجور وعدم العدل ؟! .

٢ - اتباع الهوى :

فإن اتباع الهوى يعمـــى ويصـم ، ويمنـع الشخص مـن مـعرفة الحق واتباعه ويجعله لا يرى إلا ما أشرب من هواه ، ولهـذا فإن صاحب الهوى حينئذ لا يزن الأمور بميزان الشرع الدقيق ، بل بميزان الهوى ، فيسىء الظن بمن يخالفه ويرميه بمـا هو برىء منه ، ولا يحاول تـفهم وجهة نظر الآخـرين ، أو حتى التماس المعاذير لهم ، ولا يراجع نفسه فيما ذهب إليه .

٣ - العُجْب والغرور :

فإن بعض الـناس قد يحس بنـفسه جداً ، ويغتـر ، ويعجب بنفـسه ، فيرى نفـسه دائمًـا على حق والآخـرين علـى باطل ، ويـزكى نفسـه ، ويحتـقر الآخرين، ويرى نفسه فقط على حـق ، ومن عداه فى ضلال مبين ، وهناك أسباب أخرى لإساءة الظن غير ما ذكر .

ثانيًا : صور ونماذج لسوء الظن ومناقشتها :

تتعدد صور إساءة الظن بالعلماء والصالحين والدعاة ، ومن ذلك :

١ - اعتبار من يؤلف القلوب بترك المستحبات ضالاً :

فإن بعض الـناس قد يحاول تألـيف القلوب ، وجمـع النفوس لأجل المصـلحة العامة ، وحينئذ فقد يترك بعض الأشياء المستحبة تحصيلاً لهذه المصلحة العامة ، فيأتى من يسىء به الظن ، ويتهمه بالضلالة ، وهذا ما فعله ذو الخويصرة مع النبى ﷺ ، فإنه ﷺ ترك إعـطاء الفقراء وهو مـستحب ، وأعطى هـؤلاء الأغنياء لما رآه منـفعة راجحة فى تأليف قلوبهم .

قال ابن تيمية رحـمه الله تعالى : « ويستحب للرجل أن يقـصد إلى تأليف هذه القلوب بترك هـذه المستحـبات ، لأن مصلحة التأليف فى الدين أعظم من مصلحة فعل هـذا ، كما ترك الـنبى - ﷺ - تغييـر بناء البيت ، لـما رأى فى إبقائه من تـأليف القلوب ، وكما أنكر ابن مسعود على عثـمان إتمام الصلاة فى السفر ، ثم صلى خلفه متممًا وقال : « **الخلافُ شَرٌّ** » .

غـير أن هـناك أمرًا مـهمًا ينبغى الانتبـاه له ، وهـو أنه لـيس لكل إنسان الحـق فى الاجتهاد ، وتقدير المصلحة والمفسـدة ، وإنما ذلك الحق خالص للعلماء فقط وأهل العلم ، فهم الذين لهم الحق فى الاجتهاد وتقدير المصالح والمفاسد .

٢ - اعتبار الكلام فى الرقائق خرافة :

فإن بعض النـاس إذا سمعوا من يتكلم فـى الرقائق ، رموه بالخرافة والـسطحية والسذاجة ، فما السبب فى ذلك ؟ .

السبب أنهم رأوا أكثر من يتكلم فى هذه المسائل من الصوفية وجهلة القصاص ، فلما رأوا من الـدعاة من يتكلم فى ذلك ، عـمموا الحكم ، وسحبوه حـتى على أهل العلم الذين يتكـلمون فى الرقائق ويريدون ترقيق قلوب العامـة وطلبة العلم ، ولو أن هؤلاء الجهال وزنوا الأمر بميـزان الشريعة لكان لهم موقف آخر ، ولـو أنهم تأملوا فى حال السلف وما كانـوا عليه من اهتمام بالرقائق والأدب ، ما قـالوا مثل هذا الكلام ، فإن السلف قد ألف كثير منهم كتـبًا فى الزهد والأدب والرقائق ، ومنهم الإمام أحمد وابن المبارك وغيرهـم ، بل قد قال بعض السلف : « حديث يرق لـه قلبى أحب إلىّ من مائة قضيـة من قضايا شريح » قال ابن الجوزى : « وإنما قـال هذا لأن رقة القلوب مقصودة ولها أسباب » .

٣ - اتهام أنصار التأنى بالجبن :

فإن كثيرًا من الجهال يتهم من يدعون إلى التأنى بالجبن والضعف ، وذلك لأن البعض يرى الشجاعة هى مواجهة الخصوم بالقوة ، ولو كان ذلك مخالفًا للشريعة ، ولو كان فى ذلك التلف والعطب ، وهلاك الدعوة وأنصارها ، فهذه هى الشجاعة والإقدام عند البعض ، وفات هؤلاء أن الشريعة قد وضعت لكل حال ومقام ووقت ما يناسبه من التشريعات والأحكام ، وأن الإسلام وسط بين طرفى نقيض ، فلا يجوز التأخر عن المواجهة إذا كان الشرع يوجبها ، وكذلك لا يجوز التعجل بالمواجهة إذا كان الشرع يمنع من ذلك ، والعبرة فى ذلك باجتهاد أهل العلم الصالحين ، فهم أصحاب الفتوى والحكم فى ذلك .

٤ - اتهام بعض العلماء والدعاة بالعمالة :

وهذا كذلك من إساءة الظن المحرم ، إذ إن بعض الناس من فرط جهله يتهم بعض العلماء والدعاة بأنهم عملاء للسلطة ، أو أنهم مطايا للسلطان ، وأنهم علماء سلطة ، أو غير ذلك من التهم الباطلة ، وهذا أمر مشاهد واقع فى أكثر بلاد المسلمين ، وذلك لمجرد أن العالم التمس عذرًا للسلطان فى أمر ما ، أو نهى عن الخروج عليه ، أو أفتى بأمر لم يوافق هوى المخالفين له ، فاعتبروا ذلك منه تزلفًا للسلطان وعمالة له ، وغير ذلك من التهم الباطلة ، وفات هؤلاء أن العبرة كلها إنما تكون بمدى موافقة رأى العالم واجتهاده للدليل وللنص ، فإن كان معه نص فموقفه مشروع ، وإلا فلا ، وليس العبرة بمجرد موافقة أهواء الناس ، فإن الله - تعالى - قال : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ من فى الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ (1).

---

(١) الأنعام : ١١٦

٥ - اعتبار المداراة نفاقًا :

فإن العالم أو الصالح قد يدارى أحيانًا ببذل الدنيا لصالح الدين ، وبنية حسنة ، فيأتى من يتهمه بالنفاق والمداهنة ، وذلك ممن لا يفرق بين المداهنة والمداراة ، فإن المداهنة هى بذل الدين لأجل الدنيا ، والمداراة بذل الدنيا لصالح الدين أو لصالح الدين والدنيا أو الدنيا كما ذكر ابن حجر وعياض وغيرهما .

بل إن النبى ﷺ قد استعمل المداراة ، فإنه استأذن عليه رجل فقال النبى ﷺ : « بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ وبِئْسَ ابنُ العَشِيرَةِ » فلما جلس انبسط له النبى ﷺ ، فلما انصرف أبدت عائشة تعجبها من فعله ﷺ وكيف ذم الرجل ثم تبسم له وانبسط ، فقال لها : « إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنزِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ » (1).

فيجب على هؤلاء الناقدين أن يفرقوا أولاً بين الرياء والمداهنة وبين المداراة والمصالحة ، فبينهما فرق كبير فى حقيقة الأمر ، ولو أنهم أحسنوا ذلك ما أساءوا الظن بالعلماء وغيرهم .

وهناك صور أخرى لإساءة الظن بالعلماء والصالحين ، لم أذكرها لضيق المقام ، والواجب على المسلم أن يتجنب جميع هذه الصور ، فكلها محرمة جداً غير جائزة فى دين الله تعالى .

ثالثًا : أثر تفشي هذه الآفة في المجتمع :

إن إساءة الظن بالعلماء والصالحين لها أخطر الآثار على الفرد والمجتمع، فمن ذلك :

١ - أنه يدفع صاحبه إلى تتبع العورات والتماس الزلات والتنقيب عن الهفوات ، وهذا محرم جداً وقد نهى الإسلام عن تتبع العورات والتماس الزلات .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

٢ - أنه يوقع صاحبه فى الغيبة والنميمة ، ونهش أعراض الآخرين .

٣ - زرع الشقاق والإحن والعداوات بين أفراد المجتمع المسلم ، وقطع حبال الأخوة والمودة وغير ذلك من الآثار السيئة .

رابعًا : العــلاج :

إن من أنفع وسائل العلاج لهذه الآفة الخطيرة أمورًا منها :

١ - ترك تتبع العورات ، والتماس الزلات :

فإن هذا الفعل من علامات النفاق ، والتى يجب على المسلم تركها والبعد عنها.

٢ - إحسان الظن بالناس :

فإن هذا مما يرضى الله تعالى ، ومما يعين على ذلك العلم بشدة تحريم إساءة الظن ، وقد قال عمر ﷺ : « ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا ، وأنت تجد لها فى الخير محملاً » .

٣ - التماس المعاذير للناس :

وأولى الناس بأن تلتمس لهم المعاذير هم العلماء والصالحون ، فالواجب على المرء إذا بلغته فتوى عن عالم معين مثلاً واستغربها أن يلتمس له العذر ويحسن به الظن ، فلربما كان قد وقف على نص فى المسألة لم يصل لغيره ، ونحو ذلك .

وفى الختام أسأل الله التوفيق للجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

* * *

المبحث السادس

الطعن فى العلماء وتنقصهم

فقد تفشت فى بعض المجتمعات الإسلامية ظاهرة خطيرة جداً لها آثار وخيمة للغاية ، بل ومدمرة بالنسبة للمجتمعات الإسلامية ، هذه الظاهرة هى الطعن فى علماء الشريعة والقدح فيهم ، ورميهم بالتهم والعظائم والبهتان وهذا أمر خطير جداً ، ولهذا فقد رأيت تناول هذا الموضوع بالكتابة وجعلته على النحو التالى :

أولاً : حرمة الطعن في العلماء :

إن الطعن فى العلماء ، والقدح فيهم ، والتشهير بهم ونشر عيوبهم ، كل هذا غير جائز ، بل هو محرم أشد التحريم ، فلا يجوز للمؤمن أن يأكل لحم أخيه ، ولحم العلماء أشد حرمة ، قال الإمام ابن عساكر : « اعلم يا أخى - رحمنا الله وإياك - أن لحوم العلماء مسمومة وسنة الله فى هتك أستار منتقصيهم معلومة ، ومن أطلق لسانه فى العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب ، ولذلك فلا يجوز أبداً الطعن فى العلماء ولا يحل ذلك بحال » .

ثانياً : أصناف الطاعنين في العلماء ومقاصدهم :

إن الطاعنين فى العلماء أصناف ، فمن هذه الأصناف :

١ - المتحللون من الدين وأشباههم ، فهؤلاء قد اعتادوا الطعن فى العلماء والقدح فيهم لأجل الحط من شأنهم وتوهين مكانتهم فى قلوب الناس ، والازدراء بهم ، لإضعاف ثقة الناس فيهم ، ومن ثم التوصل بذلك إلى الطعن فى الشريعة والحط من شأن الدين فى نفوس الناس ، وذلك عن طريق القدح فى حَمَلَة الشريعة من العلماء

والدعاة ، وهؤلاء أخبث أنواع الطاعنين فى العلماء لسوء قصدهم وفساد نيتهم .

٢ - بعض من المنتسبين إلى الدعوة الإسلامية ، من أفراد الجماعات المختلفة ، وهؤلاء قد يوجد عند بعضهم قدح فى بعض العلماء بسبب الجهل واتباع الهوى ونحو ذلك ، فيرمون هذا العالم بالعمالة وهذا بالتهور ، وهذا بالجبن ، وهذا بأنه عالم سلطة ، وهذا بأنه عالم حيض ونفاس ولا علم له بالواقع ، وهذا بأنه عميل.. إلخ .

٣ - بعض العلماء ، وهذا أمر مؤسف جداً ولكنه واقع ومعروف ، فإن بعض العلماء إذا كانوا فى عصر واحد ولا سيما إذا كانوا متماثلين فى الصنعة والتخصص يدب بينهم الحسد ، فيقع منهم الطعن والقدح فى بعضهم بعضًا فيتكلم هذا فى حق هذا ، وهذا فى حق هذا ، وإن كان هذا غير جائز وغير لائق ، ولا ينبغى أبدًا أن يصدر من المنسوبين إلى العلم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

نماذج من الطعن في العلماء :

إن الطعن فى العلماء والكلام فى حقهم يأخذ أشكالاً متعددة وصوراً متنوعة ، فمن هذه الأشكال والصور .

١ - اتهام العلماء بالسطحية والجهل بالواقع ، وإنهم علماء حيض ونفاس فقط، ولا علم عندهم بالواقع والأخطار المحيطة ونحو ذلك .

وهذه تهمة قد أطلقها كثير من الناس ، بعضهم بسوء نية وبعضهم بحسن نية مع الجهل الشديد ، وهذه تهمة غير صحيحة ، فإن العلماء أحيانًا ما يكون لهم مأخذ سائغ فيما يفتون به ، وتكون لهم نظرة معينة لا يستوعبها غيرهم ممن ليسوا بعلماء ، أو تقدير للمصالح والمفاسد على حسب ما تقتضيه قواعد الشريعة ، فيُتهمون من قِبَلِ بعض الجهال بمثل هذه التهمة .

٢ - اتهام بعض العلماء بالمداهنة والنفاق :

ولاسيما إذا كانوا من العلماء الذين يرتبطون بمؤسسات رسمية أو حكومية ، فحينئذ يكثر اتهامهم بالمداهنة وتشجيع السلطة والنفاق وبيع الدين بالدنيا ، والحرص على المنصب والمكافآت ، وغير ذلك من التهم الشنيعة .

٣ - اتهام بعض العلماء بالجبن :

وذلك حين يقوم هؤلاء العلماء بالتحذير من التسرع والخروج على الولاة وتكفير الناس ، وغير ذلك من الأشياء التى يكون لها أثر سلبى خطير على المجتمعات وعلى الدعوة الإسلامية ، فيتهمون بمثل هذه التهم من قِبَلِ ناس من الجهال الذين ليس عندهم علم بالمصالح والمفاسد أو من قبل شباب متهور ليس عندهم حسن تقدير للأمور.

٤ - اتهام بعض العلماء بأنهم قشور :

أى القول بأنهم ليس عندهم علم بحقائق العلوم وبواطنها وأنهم مجرد علماء ظاهر لا يفهمون إلا ظواهر النصوص فقط ، وهذه التهمة الباطلة قد كثر إطلاقها من قبل ناس من المتصوفة والباطنية وغيرهم من أصناف أهل الضلال .

رابعًا : الآثار السيئة لظاهرة الطعن في العلماء :

إن الطعن فى العلماء كما ذكرنا أمر محرم وظاهرة سيئة جداً ، ولها آثار سلبية خطيرة جداً أذكر منها :

١ - فقدان الثقة فى العلماء :

وهذه نتيجة خطيرة جداً ، ومرحلة متقدمة من مراحل الضلال ، فإن الناس إذا فقدوا الثقة فى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وحملة الشريعة، أقول : إذا فقدوا فيهم الثقة لم يقبلوا منهم كلامًا ولا فتوى ، وقد يتطور الأمر إلى اتخاذ رءوس جهال يفتون بغير علم ، أو أن يستقل كل واحد بنفسه ويعرض عن العلماء، ويكون هذا من أهم أسباب الضلال والانحراف ، وقد يتطور الأمر إلى أن يفقد العلماء دور الريادة فى الأمة .

٢ – إشاعة العداوة والبغضاء فى المجتمع :

فإن من تكلم فى أحد العلماء وشَهَّرَ به ، فقد استجلب عداوة ذلك العالم وعداوة المتبعين له ، وبالتالى ينقسم المجتمع المسلم إلى أحزاب وشيع وفرق متنافرة متناحرة تدب بينها العداوة والبغضاء والكراهية والطعن بالتبادل ، وكل هذا فيه إضعاف لقوة المجتمع المسلم .

٣ – تشتيت جهود العلماء :

إذ قد يضطر الواحد منهم إلى الرد على من قدح فيه من خلال كتاب أو نحوه ، فيضيع بذلك وقته ، ولعله كان من الأنفع للأمة أن يغتنم العالم وقته فى التعلم والتعليم وإفادة الأمة .

٤ – جرأة السفهاء والسفلة على العلماء :

فإنه لو شاع فى المجتمع الطعن فى أحد العلماء سواء من قبل غيره من العلماء أو طلبة العلم أو الإسلاميين أو حتى العلمانيين ونحوهم ، فإن ذلك يكون سببًا فى اجتراء العامة والسفهاء عليه ، والتطاول عليه والاستهانة به ، وهذا أمر خطير ، لأنه قد يجر إلى التطاول على الشريعة كلها بعد ذلك .

٥ – إعراض الناس عن الدين :

وذلك لأن العامة والجهال إذا فقدوا الثقة فى العلماء فقد يعرضون عن الشريعة بالكلية ، ويستخفون بها ، ويكون ذلك سببًا لتحللهم من تعاليم الشريعة بكاملها ، وفى هذا من الفساد ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

رابعًا : وسائل العلاج :

إن من الواجب علينا أن نحرص على معالجة هذه الظاهرة الخطيرة ، والقضاء عليها ، ومن وسائل علاج هذه الظاهرة السيئة :

١ – معرفة قدر العلماء ، وأنهم أصحاب الريادة فى الأمة ومصابيح الهدى فيها، وأن صلاح الأمة بصلاحهم وفسادها بفسادهم ، وأنهم أولى الناس بالتقدير والاحترام والإجلال .

٢ – معرفة مدى الإثم والحرمة المترتبة على الطعن فى العلماء والقدح فيهم ، وذلك لشدة حرمة الكلام فيهم وغمزهم ولمزهم ، لأن لحومهم مسمومة كما سبق .

٣ – معرفة الآثار الخطيرة المترتبة على القدح فى العلماء كما سبق الكلام عنها .

٤ – إشاعة جو الاحترام والتقدير للعلماء فى أفراد المجتمع ونشر فضائلهم ، وتذكير الناس بوجوب احترامهم ومعرفة حقهم .

٥ – كتمان عيوب العلماء وعدم نشرها بين الناس ، فإن ستر عيب المسلم واجب، والعلماء أحق من غيرهم ، فالواجب مراعاة ذلك حرصًا على حفظ مكانة العلماء .

٦ – الدعاء للعلماء بأن يوفقهم الله – تعالى – فى القول والعمل ، وأن يجنبهم الخطأ والزلل ويستر عوراتهم ، فإن الدعاء من أعظم أسباب التوفيق .

٧ – النصح للعلماء ، فإن الدين النصيحة ، كما أخبر بذلك النبى – ﷺ – والنصيحة للعلماء واجبة فيجب النصح لهم وتذكيرهم إذا نسوا أو أخطئوا وتعريفهم الصواب ، وذلك بالأسلوب الذى يتناسب مع مكانتهم .

٨ – التماس المعاذير لهم إذا أخطئوا في أمر فهم بشر أولاً وآخرًا وليسوا معصومين ، وكل بني آدم خطاء، ولو التمسنا لهم المعاذير لم نطعن فيهم أبدًا .

٩ – إحسان الظن بهم : لأنهم أعلم الناس بالشريعة ، وأعلمهم بالكتاب والسنة، فيجب إحسان الظن بهم ، وبما يصدر عنهم من أقوال وأفعال .

وفى الختام أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت لتناول هذا الموضوع وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المبحث السابع
ظاهرة التعصب

فإن التعصب للرأى إذا لم يكن عليه دليل من الشرع المطهر ، ولم يكن له دوافع إلا الاستبداد بالرأى والانتصار للنفس ، فهـذا من معالم الغلو ، ومن أبرز مظاهره ، وهو آفة موجودة فى كـل زمان ومكان ، لكن لا يقرها الإسلام ، وقد أنـكرها علماء الإسلام بشدة ، ولأهمية هذا الموضوع رأيت أن أتكلم عنه ، وقد قسمت الكلام حوله إلى أقسام ، هى على النحو التالى :

أولا : ما هو التعصب المذموم ؟

التعصــب المذمـوم هو التعصــب للرأى إذا لم يكن معه دلـيل ، أو إذا كان معه دليل غيــر صريح ، أو يحتمل التـأويل ، أو كان مع المخالف دليل سـائغ ، وله وجه استدلال .

وأما إذا كان التمســك بالرأى الذى يؤيده الدليل ، وليـس مع المخالف إلا الجهل والعناد ، فهذا ليس تعصبًا على الإطلاق .

كما أنه يدخل فى التـعصب المذموم التعصب للمذهب الفـقهى ، إذا لم يكن له دليل معتبر ، والتعصب لقول فرقة مخالـفة لعقائد أهل السنة دون مسوغ ، والتعصب للجنس والقبيلة والوطن وغير ذلك .

قال الشـافعى - رحمه الـله تعالى - : « والاختـلاف على وجهين ، فـما كان منصوصًـا لم يحل فيه الاخـتلاف وما كان يحتمـل التأويل ، أو يدل قيـاساً ، فذهب المتأول ، أو القياس ، إلى معنى يحتمل ، وخالفه غيره ، لم أقل إنه يضيق عليه ضيق الاختلاف فى المنصوص » [1] .

(١) جامع بيان العلم وفضله ، ص ٦٧

وقال ابن الجوزى - رحمه الله تعالى - يصف ذا الخويصرة ، الذى اعترض على قسمة النـبى - ﷺ - أنه رضى رأى نفسه ، ولو توقف لـعلم أنه لا رأى فوق رأى رسول الله - ﷺ - [1] .

ثانيًا : أسباب التعصب المذموم للرأي :

١ - الجهل ، وقلة العلم :

فإنه مـا من تعصب مذمـوم ، إلا وللجهل فيـه نصيب ، إذ لا يمكن لـصاحب العلم النافع الصحيح أن يتعصب لرأيه إذا كان باطلاً .

٢ - خلو الذهن :

فإذا صادف الرأى ذهنًـا خاليًا من الحجج والبـراهين ، استمكن منه وتحـكم فيه وتغلغل ، فتشبث به صاحبه ، ولم يدع مجالاً للتفكير فيما سواه .

٣ - العجب :

فإن إعجـاب المرء بنفـسه وبرأيه يـدفعه إلى التـشبث بهـذا الرأى مهمـا ظهرت علامات خطئه .

٤ - اتباع الهوى :

وذلك لأن الإنسان إذا اتبع هواه صده عن البحث عن الحق ، أو الرجوع إليه إذا بان له .

٥ - إيثار الدنيا على الآخرة :

فإن المرء قد يتـعصب لرأيه لمطمع دنيـوى ، فيتشبث به حتـى لو بان له الحق ، ويفضل التمسك به على أن يرجع إلى الحق ابتغاء رضاء الله.

(١) تلبيس إبليس ، ص ٩٠ .

٦ – احتقار المخالف :

فقد يتشبث الإنسان برأيه الخاطئ تحقيراً منه لمخالفه ، لكونه أصغر منه سنّاً ، أو أقل منه فى المنزلة الاجتماعية ، أو لكونه من قبيلة أخرى أقل شأنًا من قبيلته أو غير ذلك ، فيتعصب لرأيه وهواه ، وكل ذلك مذموم .

ثالثًا : موقف الإسلام من التعصب المذموم للرأي :

إن الإسلام لا يقر هذا التعصب المذموم للرأى ، ولا التشبث به بدون علم وبغير دليل ، ولاسيما إذا كان هذا الرأى عاريًا عن الأدلة ، أو معه دليل غير صحيح، وأما إذا كان التشبث بالرأى الصائب الذى قام عليه الدليل ، فإن الإسلام يشجع على هذا.

ومما يدل على أن الإسلام يقر الاجتهاد فى الأمور ما دام له رأى معتبر وتأويل صحيح ، ما فعله النبى – ﷺ – يوم بنى قريظة ، فإنه ﷺ لما قال لأصحابه : «لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » أخذ ناس من أصحابه بظاهر النهى فلم يصلوا إلا فى بنى قريظة ، وتخوف آخرون فوات الوقت فصلوا قبل أن يأتوا بنى قريظة ، فأقر النبى – ﷺ – كُلاً من الفريقين ، ولم يعنِّف أحداً منهم [1] .

وقد دل هذا الحديث العظيم على أمور ، منها :

١ – أن الاختلاف يسوغ ما دام الدليل يحتمل التأويل .

٢ – وجوب أن يحترم كل شخص رأى مخالفه ما دام له دليل من النظر المعتبر والتأويل للنصوص .

٣ – التزام الصحابة الجم بأدب الاختلاف ، وأن ذلك لم يفسد قضية الود بينهم .

وكثيراً ما كان الصحابة الكرام ﷺ يختلف بعضهم مع بعض ، وذلك فى

(١) البخارى (٤١١٩) ومسلم .

مسائل معينة ، لكن لم يقدح واحد منهم فى الآخر ، ولا ذمه ، ولا غير ذلك ، وذلك لأن اختلافهم لم يكن فى مسائل أصول الدين ، ولم يكن نابعًا من الأهواء والجهل ، إنما كان نتيجة لتأويل نص معين ، فهمه كل واحد منهم بطريقة مختلفة .

ومن ذلك اختلافهم فى شأن رؤية النبى – ﷺ – لربه – تبارك وتعالى – يوم الإسراء والمعراج ، ولم يوجب ذلك بينهم قدحًا ولا جرحًا ولا تقاطعًا ولا تدابراً .

وكذلك اختلف ابن عباس وزيد بن ثابت فى شأن توريث الإخوة مع الجَد ، وهل يرثون أم يحجبون ، ولم يُؤثّر ذلك على المحبة والمودة بينهم ، فهذا ابن عباس يُمسك بركاب زيد بن ثابت ويقول : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا ، وهذا زيد يقبل يد ابن عباس ويقول : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ .

وهكذا درج السلف على هذا المنوال ، لم يحملهم الاختلاف فى الرأى على ذم المخالفين أو هجرهم ، ما دام الخلاف سائغًا والدليل موجوداً ، ولكل تأويله .

سئل الإمام أحمد عن الحجامة ، فأفتى بالوضوء منها ، فقال له السائل: فإن كان الإمام لا يتوضأ منها، أصلى خلفه ؟ فقال : سبحان الله !، ألا تصلى خلف سعيد ابن المسيب ومالك بن أنس؟! وذلك لأن كلا منهما لا يرى الوضوء من الحجامة.

فانظر كيف كان موقفهم – رحمهم الله جميعًا – من الاختلاف السائغ .

رابعًا : شبهة وجوابها :

إن مما يدفع البعض إلى التشبث بالرأى مقولة : (إن الحق واحد لا يتعدد) ، وهذا صحيح ، ولكن ينبغى فقه حقيقة هذا القول ، فإن الحق الذى هو حق فى نفسه وفى الحقيقة عند الله – تعالى – لا يتعدد ،وأما ما قام الدليل الصحيح الصريح على إثباته ونفي ما عداه فهو الحق الذي لا يتعدد، وأما ما خفى علينا دليله أو ظهر الدليل

ولكنه كان محتملاً لأكثر من تأويل أو نحو ذلك ، فهذا لا يندرج تحت هذا الباب ، لأنه ليس هناك دليل قاطع يرجح أحد الرأيين ويبطل الرأى الثانى بشكل قاطع ، لذا لا ينبغى الاحتجاج بهذه المقولة عند التطرق لخلاف الأئمة مع بعضهم ، ونحو ذلك .

وقد يكون الاختلاف راجعًا إلى الاختلاف فى ثبوت النص وعدمه ، أو الاختلاف فى فهمه ، أو الاختلاف فى الجمع والترجيح بينه وبين ما يعارضه ، أو الاختلاف فى القواعد الأصولية وبعض مصادر الاستنباط .

ومن اجتهد فأصاب الحق فله أجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد ، كما فى الحديث الصحيح ، ولا ينكر هذا على هذا ولا هذا على هذا ، يقول شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - : « واجتهاد العلماء فى الأحكام كاجتهاد المستدلين على جهة الكعبة ، فإذا صلى أربعة أنفس كل واحد منهم بطائفة إلى أربع جهات ، لاعتقادهم أن القبلة هناك ، فإن صلاة الأربعة صحيحة ، والذى صلى إلى جهة الكعبة واحد ، وهو المصيب الذى له أجران » [(1)] .

خامسًا : من آثار التعصب المذموم للرأى :

إن لهذا التعصب المذموم آثارًا وخيمة جدًا فى الدنيا والآخرة ، فمن ذلك :

١ - إيجاد القطيعة والتدابر بين المختلفين ، وهذا واقع مشاهد بين كثير من أهل الفرق والمذاهب والجماعات ، ولا سيما فى زماننا الحاضر ، سواء كان تعصبًا للمذهب، أو للجماعة ، أو نحو ذلك .

٢ - توسيع شقة الخلاف بين فئات الأمة وإيجاد الفرقة بينهم ، ولهذا من آثاره السلبية ما لا يخفى .

٣ - أنه يؤدى إلى رمى الآخرين بالتهم الباطلة :

(١) الفتاوى (٢٠ / ٢٢٤)

وذلك نتيجة للتعصب المذموم ، فإنه يؤدى إلى احتقار الآخرين ورميهم بالتهم ، وهذا مما يوجد العداوات والضغائن ، ويسبب تفرق أفراد الأمة .

٤ - رد الحق بعد وضوحه :

فإن الإنسان قد يدفعه التعصب لرأيه إلى رد الحق ، حتى بعد اتضاحه له ، وهذا أمر خطير جداً ، وهو من الكبر ، وقد يوقع فى الباطل والفتنة ، بل قد يوقع فيما هو أخطر من كل هذا ، إذا قام المرء برد نصوص الشريعة لأجل تعصب لرأى معين ، وذلك بغير دليل .

٥ - أنه يفضى إلى عبادة الهوى :

وذلك لأن من تشبث برأيه وهواه دون علم ، وتمسك به دون هدى من الله - تعالى - وقع فى الضلال ، كما قال - تعالى - : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ ﴾[(1)] .

بل وقد يصبح عابدًا للهوى ، كما قال - تعالى - : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ على عِلْمٍ وخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وقَلْبِهِ وجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [(2)] .

٦ - أنه قد يوقع فى عذاب الله تعالى :

لأن الإنسان إذا رد الحق وتمسك بالباطل ، كان مستحقاً لعقوبة الله - تعالى - يوم القيامة لأن الله - تعالى - أمر الناس باتباع الحق ، والبعد عن الباطل أيًا كان .

فهذه بعض الآثار السيئة للتعصب المذموم ، وفى الختام أوجه نصيحة مخلصة

(١) سورة القصص ، الآية ٥٠

(٢) سورة الجاثية ، الآية ٢٣ .

لكل المتتسبين إلى الإسلام وإلى الدعوة الإسلامية أن يبحثوا عن الحق بدليله ويتمسكوا به ، وأن ينبذوا التعصب للرأى بغير دليل ، وأن تتسع صدورهم للخلاف وللرأى الآخر ، وخصوصًا إذا قام عليه دليل صحيح ، أو كان له مساغ معتبر ، فبهذا يحفظ شمل الأمة ، ولا يضيع الود بين أفرادها ، وبهذا نكون قد تمسكنا بهدى السلف حقًا، ونكون جديرين باسم السلفيين صدقًا ، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

المبحث الثامن

البيعة الحزبية

١ - *تعريف البيعة والحزبية .*

٢ - *خطورة التحزب والحزبية .*

٣ - *حكم البيعة .*

٤ - *لمن تكون البيعة الشرعية ؟ .*

٥ - *البيعة غير الشرعية .*

٦ - *بعض الآثار السلبية للبيعة غير الشرعية .*

تمهيـد :

لقد أتـى الإسلام بوجوب البـيعة ، وأمر بها الـنبى - ﷺ - كما سـيأتى ، وكانت البيعة للنبى - ﷺ - ثم لأمرائه وخلفائه من بعده ، لكن قد انحرف بعض الناس فى زماننـا فجعلوا هذه البيعة لـكل أحد ، من الذين نصبوا أنفـسهم أمراء على الجماعات المنتسبة للإسلام ، ونظراً لكثرة عدد هذه الجماعات وتناحرها ، فقد تعددت البيـعة لهذا وذاك ، وأدى كل هـذا إلى التناحـر والتنافـس ، وكل يدعى أن جمـاعته الحق، وأن أميرهـا هو الأمير المستـحق للبيعة الـشرعية ، لذا رأيت أن أكـتب فى هذا الموضوع مخـتصراً بغرض بيـان الحق ، والتحذير من الـلبس فى هذه المسـألة ، فأقول بحمد الله :

أولاً : تعريف البيعة ، والحزبية :

١ - معنى الـبيعة : البيعة لـغة هى الصفقة علـى إيجاب البيع ، وعلى المـبايعة والطاعة ، وهى عبارة عـن المعاقدة والمعاهدة ، كأن كل واحد منهـما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه ، وطاعته ، ودخيلة أمره .

وأما البيعة فى الاصـطلاح فهى : العهد على الطاعة ، كأن المبـايع يعاهد أميره على أن يسلم له الـنظر فى أمر نفسه وأمور المسلمين ، لايـنازعه فى شىء من ذلك ، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره ، وكانوا إذا بايعوا الأمير ، وعقدوا عهده ، جعـلوا أيديهم فى يده تأكـيدا للعهد ، فأشبـه فعل البائع والمشتـرى ، فسمى بيعة، مـصدر باع . . وصارت البيـعة مصافحة بـالأيدى . . وهذا مدلولهـا فى عرف اللغة ، ومعهود الشرع .

٢ - معنى الحزبية : معنى الحزبية لغة : قال فى لسان العرب : « الحزب جماعة الناس ، والجمـع أحزاب ، وحزب الرجل أصحـابه وجنده الذين عـلى رأيه . . وكل

قوم تشكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحـزاب ، وإن لم يلق بعضهم بعضًا ، وكل طائفة هواهم واحد ، والحزب : الصنف من الناس » .

وأما الحزبية فى الشرع والاصطلاح :

فإن كلـمة حزب لم تأت ممـدوحة بإطلاق ولا مذمـومة بإطلاق ، فقـد جاء فى القرآن الكريم : ﴿ **ألا إنَّ حزْبَ الشَّيْطَـانِ هُمُ الخاسِرُونَ** ﴾[1] وجاء : ﴿ **ألا إنَّ حزْبَ الله هُمُ الْمُفْلحُونَ** ﴾[2] فهى كلمة تمـدح وتذم بحسب المقصود بها ، إن قـصد بها أهل الدين والإيمان فهى ممدوحة ، وإن قصد بها أهل الفجور والهوى والضلال والكفر فهى مذمومة .

ثانياً : خطورة الحزبية :

من استقرأ الـتاريخ الإسلامى يلحظ أن الـتحزب للآراء والمذاهب المبتـدعة يفرق شمل المسلمين واجتماع كلمتهم وجماعـة المؤمنين ، لذا تكاثرت النصوص الشرعية فى الحث على الاجـتماع وحذرت من جميع الـوسائل الموصلة إلى الفـرقة والاختلاف . وفى خطورة الحزبية وآثارها السيئة على المجتـمع الإسلامى ، فإن الشيخ محمد البشير الإبراهيـمى يقول : « أوصيكـم بالابتعاد عن هـذه الحزبيات التـى نجم بالشر ناجـمها وهجم ليفتك بالخير والعلم هاجمها ، وسجم عن الوطن بالملح الأجاج ساجمها » .

ثالثاً : حكم البيعة :

لقـد جاءت النصـوص الشرعيـة الكثيـرة فى الأمر بـالبيعـة ، والحث عليـها ، والتحذير الشديد من التخلى عنها والخروج من تبعاتها ، فمن ذلك :

١ - قوله تعالى : ﴿ **لقَدْ رَضيَ اللهُ عَنِ المؤْمنينَ إذْ يُبَايعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَة فَعَلمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَجَعَلَ من دُونِ ذلكَ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾[3] .

(١) المجادلة : ١٩ . (٢) المجادلة : ٢٢ . (٣) الفتح : ١٨ .

٢ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الذينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] .

٣ - قوله ﷺ : « مَن مَاتَ وَلَيْسَ فِى عُنُقِهِ بَيْعَةٌ ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ »[2] .

٤ - قوله ﷺ : « مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ فُؤَادِهِ فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ ، فَإِن جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ »[3] .

رابعًا : لمن تكون البيعة الشرعية :

قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - فى « مسائل ابن هانئ » لما سئل عن معنى قوله - ﷺ - : « مَن مَاتَ وليسَ لَهُ إمامٌ مَاتَ ميتةً جاهليَّةً » فقال له إسحاق ابن إبراهيم بن هانئ : « ما معنى هذا الحديث ؟ فقال : « تدرى ما الإمام ؟ الذى يجتمع المسلمون عليه كلهم يقولون : هذا إمام ، فهذا معناه » [4] .

وقال الكشميرى فى (فيض البارى) : « اعلم أن الحديث يدل على أن العبرة بمعظم جماعة المسلمين ، فلو بايعه رجل أو اثنان أو ثلاثة فإنه لا يكون إمامًا ما لم يبايعه معظمهم أو أهل الحل والعقد [5] .

وهكذا يتضح أن البيعة إنما تكون للإمام العام الذى بايعه أكثر الناس فى زمانه ، أو فى بلده ، فهذه هى البيعة الواجبة ، التى لابد للمرء منها ، ويحرم الخروج منها ونزع اليد من الطاعة فيها وهذه البيعة تكون على الطاعة الإلزامية فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، مهما كان الأمر وذلك ما لم يكن أمر بمعصية الله ، فإذا أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة ، بل الطاعة فى المعروف كما وردت بذلك الأحاديث الكثيرة عن رسول الله - ﷺ - وسواء فى ذلك أكان هذا الإمام مستخلفًا

(١) الفتح : ١٠ .
(٢) رواه الحاكم .
(٣) رواه مسلم .
(٤) مسائل ابن هانئ (١١ ٢٠١) .
(٥) فيض البارى (٤/ ٥٩).

من قبل سلفه ، أو كان مختارًا من قبل أهل الحل والعقد ، أو كان متغلباً بالسيف واستتب له الأمر ، فإنه لا يجوز الخروج عليه ما لم يكن منه كفر بواح كما ورد فى الأحاديث .

خامسًا : البيعة غير الشرعية :

لقد وقع فى زماننا هذا صور من الانحراف عن البيعة الشرعية ، وتعددت هذه الصور ، وكان لها أضرار سلبية كثيرة سيأتى الحديث عنها بإذن الله تعالى ، فمن صور البيعة غير الشرعية :

١ - مبايعة المتصوفة لشيوخهم :

حيث أصبح المتصوف يبايع شيخ الطريقة بيعة أبدية ملزمة له تكون فى عنقه ، بحيث لا يجوز له مفارقة هذا الشيخ وهذه الطريقة ، ولا أصل فى الشرع لمثل هذا ، بل هو باطل ولا شك .

سئل ابن عابدين رحمه الله : رجل من الصوفية أخذ العهد على رجل ، ثم اختار الرجل شيخًا آخر وأخذ عليه العهد ، فهل العهد الأول لازم أم الثانى ؟ فأجاب رحمه الله : « لا يلزمه العهد الأول ولا الثانى ، ولا أصل لذلك » [1] .

وقال السبكى فى (الدين الخالص) : « وأما ما يقع من متصوفة الزمان من وضع أيديهم فى أيدى الرجال والنساء ، ومعاهدتهم على أن يكونوا تلامذة لهم ، ليتمشيخوا عليهم ، ويشاركوهم فى أموالهم تارة بالأكل فى بيوتهم ، وتارة بضرب عوائد يدفعونها فى وقت معين ، كأنها جزية تؤخذ بالجبروت ، فهو إجرام وإفساد خارج عن حد الشرع ولا يقره عقل ، نسأل الله لنا ولجميع الأمة كمال الهداية وتمام التوفيق [2] .

(١) تنقيح الفتاوى الحامدية (٢/ ٣٣٤)
(٢) الدين الخالص (٦/ ٢٩٠).

٢ - مبايعة أعضاء الجماعات لأمرائهم :

وهذا بات أمراً منتشراً فى كثير من البلدان ، حيث تكونت جماعات كثيرة ، منفصلة عن بعضها البعض ، وبدأت فى الأصل رغبةً فى التعاون على أمر الدين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ثم تطور الأمر ودبت الشحناء بين هذه الجماعات، وصار كثير منها يطالب الناس من أعضاء الجماعة وغيرهم بمبايعة أميرها كبيعة الإمام الأعظم ، وقد أدى هذا إلى كثير من المفاسد التي يعرفها كثير من المطلعين على هذه الأمور .

قال الدكتور عبد المتعال محمد عبد الواحد : « وكان عدم وجود الإمام سببًا فى ظهور فئات تدعى لنفسها حق البيعة والإمامة بغير حق ، ويمكن تقسيم هذه الفئات إلى ثلاث فرق أساسية :

١ - **الفرقة الأولى :** قالت : إن تارك البيعة كافر ، ونصبت لنفسها إمامًا ، ومن لم يبايعه فهو كافر فى نظرهم ، وهذا القول خاطئ . .

٢ - **الفرقة الثانية :** قالت : إن البيعة فرض ، من تركه فهو آثم ، ومن هنا نصبوا لأنفسهم أميراً ، حتى يسقط عنهم هذا الإثم عند مبايعته ، والحق أن إثم ترك البيعة لم يسقط بمبايعة هذا الأمير ، لأن البيعة الواجبة التى يأثم تاركها هى بيعة الإمام المسلم ، الممكن فى الأرض القائم بالخلافة الإسلامية بشروطها الصحيحة .

٣ - **الفرقة الثالثة :** وهم المسلمون الذين لم يبايعوا أحداً ، حيث قالوا : إن ترك البيعة إثم ، لكنها من حق الإمام المسلم فى الأرض ، وهذا ما لا وجود له الآن ، وفى اعتقادى أن الفئة الثالثة هى التى على الحق » (١) .

ولنا تحفظ على الفقرة الأخيرة ، فإنها وإن كانت تصح فى عموم البلاد

(١) الفرقان بين الكفر والإيمان (ص ٦٤) .

الإسلامية ، غير أنها لا تنطبق على الديار السعودية ، ففيها الإمام المسلم الممكَّن المبايع الذى تجب طاعته .

وجميع هذه البيعات الزائدة على بيعة أمير المؤمنين - حتى فى حال غيابه - باطلة ، فقد نقل القلقشندى عن أهل العلم النص على : « أن يجتمع أهل الحل والعقد ، ويعقدوا الإمامة لمن يستجمع شرائطها » (١).

والحاصل أن هذه البيعات كلها باطلة ولا أصل لها ، ولا أثر لها شرعًا ، ومن زعم أن الواجب مبايعة أى من أمراء الجماعات هذه فإنه مخطئ من غير شك .

سادساً : بعض الآثار السلبية للبيعة غير الشرعية :

لما وقع الانحراف فى شأن البيعة ، واختلت مفاهيم البعض ، وتعددت البيعات لمن لا يستحقها ، نتج عن ذلك آثار سلبية خطيرة ، منها :

١ - وجود أكثر من بيعة فى العصر الواحد وفى البلد الواحد ، لأن كل جماعة ترى البيعة لأميرها ، مع أن الإمام القرطبى - رحمه الله تعالى - يقول : « فأما إقامة إمامين أو ثلاثة فى عصر واحد وبلد واحد فلا يجوز إجماعًا » (٢) . هذا مع كون كل هذه البيعات باطلة لا أساس لها من الشرع .

٢ - وجود الشحناء والضغينة - بل والصراع أحيانًا - بين هذه الجماعات على السبق فى البيعة والاستحواذ على الأتباع ، والتنافس فى ضمهم كل لجماعته .

٣ - المساعدة على انتشار فكر التكفير ، وذلك بسبب أن بعض هذه الجماعات يرى كفر تارك البيعة ، ولا يرى جماعة إلا جماعته ، ولا أميراً إلا أميرها ، فهو يكفر كل من لم يبايع ذلك الأمير .

(١) مآثر الإنافة فى معالم الخلافة (١/ ٣٩).

(٢) الجامع لاحكام القرآن (١/ ٢٧٣) .

٤ - استباحة الدم الحرام : وهذا كذلك عند بعض الجماعات ، وفى بعض البلدان الإسلامية ، حيث وصل الأمر إلى حد قتل عضو الجماعة الذى ينشق عنها بحجة خروجه عن طاعة الإمام ، أو قتل كل من ينافسه على الزعامة ، أو قتل من يعارض إمارته وإمامته - بحد زعمهم - فاستباحوا بذلك الدم المحرم .

٥ - المواجهة بين هذه الجماعات والحكومات :

وذلك حيث وُجدت هذه الجماعات ، وعلمت بها حكومات بلدانها فرأت فى وجود هذا الفكر الخاطئ ، وهذه البيعة غير الشرعية ، بما لها من تبعات ، تهديداً لسلطان الدولة ، وتعارضًا مع قوانينها ، فواجهتها مواجهة اتسمت فى كثير من الأحيان بالعنف والقسوة ، وكذلك وجد من هذه الجماعات من يحمل السلاح ضد حكومته بزعم أنهم غير تابعين لإمامه أو أنهم لم يدخلوا فى بيعته ، فأدى ذلك إلى الفساد الكبير ، والشر المستطير .

* * *

المبحث التاسع

المظاهرات والاعتصامات والإضرابات ليست من أساليب الدعوة إلى الله

١ - *معنى المظاهرات والاعتصامات والإضرابات .*

٢ - *كيف جاءت هذه الأمور إلى البلاد الإسلامية؟*

٣ - *أدلة المجوزين للمظاهرات وغيرها .*

٤ - *الآثار السلبية الناتجة عن المظاهرات ونحوها .*

٥ - *شبهات وجوابها .*

٦ - *الإسلام دعوة وليس ثورة .*

٧ - *عاقبة الخروج على السلطات .*

لقد ذهب بعض الناس فى زماننا إلى اعتبار ما يأتينا من أخبار عن الغرب وما فيه من اعتصامات ومظاهرات وإضرابات ، عد ذلك من وسائل وأساليب الدعوة إلى الله تعالى ، وهذا فهم خاطئ ولا شك ، لذلك رأيت أن أكتب مختصرًا حول هذا الموضوع ، فأقول :

أولاً : معنى المظاهرات والاعتصامات والإضرابات :

١ - المقصود بالمظاهرات :

خروج جمع من الناس مجتمعين فى الطريق أو نحو ذلك للمطالبة بشىء معين، أو لإظهار القوة ، أو نحو ذلك ، فهم قد ظاهر - أى ساعد - بعضهم بعضًا على إظهار الشىء الذى قاموا لإظهاره ، أو للدعوة إليه ، فمن هنا سميت مظاهرة .

٢ - الاعتصامات :

أصل الاعتصام هو التمسك بشىء معين وعدم مفارقته ، فإذا قلت : اعتصمت بالله أى تمسكت بحبل الله ولم أفارقه ، ولكن صار المقصود بالاعتصام فى زماننا هو الاعتكاف فى مكان معين ، كالمصانع والجامعات ومقرات الأحزاب ونحو ذلك ، والمكوث فيها وعدم مفارقتها وذلك اعتراضًا على أمر معين ، أو للمطالبة بشىء معين .

٣ - الإضرابات :

وأصل الإضراب الامتناع ، فإذا قلت : أضربت عن كذا أى امتنعت عنه ، وأصبح هذا اللفظ مستعملاً للدلالة على امتناع فئة من الناس عن شىء معين ، إظهارًا للاعتراض على أمر ما أو للمطالبة بأمر ما ، ومن هذا الجنس امتناع العمال عن العمل للمطالبة برفع الرواتب أو امتناع الطلاب عن الدراسة احتجاجًا على أمر ما ، وغير ذلك .

ثانياً : كيف جاءت هذه الأمور إلى البلاد الإسلامية ؟ :

وجدت هذه الأساليب فى بلاد الغرب ، وهناك ظهرت أول ما ظهرت ، ثم انتقلت إلى بلاد المسلمين عن طريق الأحزاب السياسية العلمانية ، والتى استعملتها فى ممارساتها السياسية ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى بعض الجماعات الإسلامية والتى قلدت هؤلاء فى طريقتهم ، وحاولت أن تأتى لها بسند من الشرع يؤيد مثل هذه الممارسات .

ثالثاً : أدلة المجوزين للمظاهرات وغيرها :

١ - يستدل الذين جوزوا المظاهرات والاعتصامات ونحوها بما ورد فى بعض الكتب من أن النبى - ﷺ - خرج بعد إسلام عمر - رضى الله عنه - على رأس صفين من أصحابه وعلى الأول منهما عمر وعلى الثانى حمزة رغبة فى إظهار قوة المسلمين ، فعلمت قريش أن لهم منعة .

وهذا الأثر رواه أبو نعيم فى الحلية (١/ ٤٠) وأورده ابن حجر فى الإصابة (٢/ ٥١٢) ونسبه لمحمد بن عثمان فى تاريخه ، وأورده فى الفتح (٧/ ٥٩) ونسبه إليه وإلى البزار .

مناقشة هذا الدليل :

تدور طرق هذا الأثر حول إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة ، وهو منكر الحديث لا يحتج به ، فالرواية إذًا لا تثبت .

٢ - ويستدلون كذلك باجتماع المسلمين فى الجمع والأعياد وغيرها من الاجتماعات الإسلامية الحاشدة ويرون فيها دليلاً على جواز التظاهر والاعتصام وإظهار القوة .

وهذا لا دليل عليه ، ولا تعلق لما ذكروه من العبادات بما أرادوه من المظاهرات والإضرابات والاعتصامات وغيرها ، إنما هو إظهار الشعائر لله على النحو الذى أمر الله تعالى به ، لا يؤخذ منه أكثر من ذلك .

رابعاً : الآثار السلبية الناتجة عن المظاهرات ونحوها :

١ - إثارة نوع من الفوضى فى الشوارع أثناء المظاهرات بما تحدثه من زحام ونحوه ، مما قد يعطل مصالح الناس ، بل وقد يعرض حياة الكثيرين للخطر ، إضافة إلى أن جو المظاهرات مناسب للغاية لوجود عمليات السطو والسرقة ونحو ذلك مما يكثر وقوعه فى أيام المظاهرات ، وقد تتعطل سيارات الإسعاف عن الوصول إلى المستشفيات لإنقاذ حياة بعض الناس .

٢ - تعطيل مصالح الناس بما تحدثه من إغلاق للمحلات والمصالح وغيرها ، مما يسبب الإضرار بمصالح الكثيرين .

٣ - أن المظاهرات فرصة سانحة لاندساس مثيرى الشغب والفتنة بين الصفوف ، وقد يقوم البعض باستعمال الأسلحة لإثارة الفتنة والشغب أو تصعيد الأمور بين المتظاهرين ورجال الأمن الذين يردون على ذلك بالمثل .

٤ - إيقاع العداوة بين رجال الأمن والمواطنين ، حيث يحاول رجال الأمن فض المظاهرات مما يؤدى إلى سقوط قتلى وجرحى وتصبح المسألة عداوة وثأرًا بين الجانبين .

٥ - تعطيل الإنتاج ومصالح البلاد بسبب الإضراب عن العمل وتوقف المصانع ونحو ذلك مما يكون سببًا فى الإضرار باقتصاد البلاد ، وهى أحوج ما تكون إلى التكاتف والتعاون بين أفرادها .

٦ - زعزعة أمن البلاد نتيجة لهذا التصارع والفوضى ، واستغلال المجرمين لهذه الفرصة مما يزيد عدد الجرائم المختلفة التى تحدث فى وقت الأزمات .

٧ - أنها تعبد لله بوسيلة غير مشروعة : وذلك عند الإسلاميين الذين يستعملون هذه الوسيلة ويرونـها مشروعة للدعوة وإظهار القوة ، وهى لا أصـل لها كما سبق . وهكذا يتعبدون لله بعمل لا يرضاه ، والإسلام لا يـفرق بين العمل والنية ، بل يجعل شرطًا لصحة العمـل إخـلاص النية ومشروعية العمل ، وهؤلاء كما قال ابن مسعود: « كم من مريد للخير لم يبلغه » رواه الدارمي.

٨ - التعجـيل بالصدام بين الجمـاعات والحكومات : حيث إن هـذه الممارسات تظهر الجماعات القائمة عليها بحجم أكبر من حجمها الحقيقى مما يثير خوف حكوماتها فترى فيها تهـديدًا لأمـنهــا ، ومن ثم تبادر بمبادأتهـا بالهجــوم ، وتتعامل معها على ما ظهر منها ، مما يثير مشاكل وأحقادًا لا تنتهى .

٩ - أن القول بجواز هذه المـمارسات أدى إلى ما رأيناه وسمعنـاه من مظاهرات الروافض وأشـياعهم فى الحج ضـد ما يسمى بالإمـبريالية ، فكـانت النتيجـة سقوط الضحايا والأبـرياء ، وإفساد العبادة على الحـجيج بإخراجهم من الجـو الروحانى الذى كانوا فيه إلى جو الصدام السياسى ، ومـا نتج عن ذلك من عداوة وأحقاد لا تبدو لها نهاية .

خامسًا : شبهات وجوابها :

١ - قد يحتج شخص ما بأن بعض البلدان تقنن مثل هذه الممارسات وتسمح بها فى دساتيرها فما الضير فى استعمالها ؟.

والجواب أن يقال :

إنه لو سمحت الحكومات بمثل هذه الأعمال فلا ينبغى اللجوء إليها لأنها لا دليل شرعى عليها ، والأصل ملازمة الشرع حتـى لو حدث ما حدث ، ومهما سمحت بها حكومات فيجب على الإسلاميين اعتبار مشروعية الوسيلة الدعوية التى يلجئون إليها ، إذ إن الغاية لا تبرر الوسيلة فلا بد من مشروعية الغاية مع مشروعية الوسيلة .

٢ - قد يقول قائل : إن زيدًا من العلماء قد أجاز هذه الوسائل للدعوة !.

والجواب أن يقال :

إن هذه الوسائل لم تكن من هدى السلف ، ولو كانت خيرًا لسبقونا إليه ، لكن لم يؤثر عنهم ذلك .

ثم لو فرضنا أن أحدًا أفـتى بذلك ، فالعبرة بالدليل ، إذ كـل قول لا دليل عليه لا عبرة به ولـو كان القائل أعلم الـناس ، إذ لا يجب الاقتداء إلا بـالنبى - ﷺ - وأصحابه الذين سبقوا إلى كل خير - رضى الله تعالى عنهم .

ورحم الله من قال :

وكل خير فى اتباع من سلف   وكل شر فى ابتداع من خلف

فيبقى اتـبـاع السلف الصالح فـى كل الأمور ، العقيدة والعبـادات والمنهج وكل شىء .

٣ - قد يقول قائل :

إن هذه الوسائل قد نفعت فى بعض الأزمنة والبلدان ، وجاءت بنتائج إيجابية .

والجواب أن يقال :

إن نجاحهـا فى بعض البلـدان والأزمنة لا يدل على مـشروعيتها ، إذ إن الـعبرة بثبوت الدليل وبفعل السلف ، ثم إذا كانت نجحت حينًا فقد فشلت فى أكثر الأحيان ، ولم يكن لها من نتائج سوى سقوط الضحايا وإثارة الأحقاد والتعجيل بضرب الحركات الإسلامية وإجهاض دعوتها ، وهذا معروف فى أكثر البلدان الإسلامية .

* * *

المبحث العاشر
حقوق الراعى والرعية

فإن لكل إنسان حقوقًا على غيره ، وعليه حقوق لغيره يجب عليه أن يؤديها ، ومن أهم هذه الحقوق الواجبة حق الراعى على رعيته ، وحق الرعية على الراعى ، ونظراً لما يحيط بهذا الأمر من ملابسات ، فقد رأيت أن أشير إليه باختصار فأقول وبالله التوفيق :

أولاً : حق الراعى على رعيته :

للراعى - وأقصد به هنا ولى الأمر ، الحاكم الذى يقوم على رعاية شئون المسلمين وإدارة شئون حياتهم - على رعيته حقوق ، منها :

١ - النصح له :

إذا رأوا منه عوجًا أو خطأ فعليهم أن ينصحوه ، ويسددوه كما قال ﷺ : **«الدين النصيحة . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ فقال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »**[1] .

فهذا من أعظم الحقوق على الرعية للراعى ، ومن قصر منهم فى حق النصيحة فقد غش الراعى لأمر المسلمين ولم يَصْدُقْهُ .

٢ - عدم التشهير به :

فإذا رأوا منه شيئًا فلا يجوز التشهير به علنًا على المنابر ونحوها ، بل يُنصح سراً، حتى لا يتسبب ذلك فى فتح باب الشر والفساد والعصيان وإراقة الدماء ، سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - حفظه الله - : هل من منهج السلف نقد الولاة من فوق المنابر ؟ وما منهج السلف فى نصح الولاة ؟.

(١) أخرجه مسلم وغيره .

فأجاب بقوله : ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر، لأن ذلك يفضى إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة فى المعروف ، ويفضى إلى الخوض الذى يضر ولا ينفع ، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان والكتابة إليه أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير.

وإنكار المنكر يكون من دون ذكر الفاعل ، فينكر الزنا وينكر الخمر وينكر الربا من دون ذكر من فعله ، ويكفى إنكار المعاصى والتحذير منها من غير ذكر أن فلانًا يفعلها لا حاكم ولا غير حاكم .

ولما وقعت الفتنة فى عهد عثمان قال بعض الناس لأسامة بن زيد - رضى الله عنه - : ألا تنكر على عثمان ؟! قال : لا أنكر عليه عند الناس ، لكن أنكر عليه بينى وبينه ولا أفتح باب شر على الناس .

ولما فتحوا الشر فى زمن عثمان - رضى الله عنه - وأنكروا على عثمان جهرة تمت الفتنة والقتال والفساد الذى لا يزال الناس فى آثاره إلى اليوم ، حتى حصلت الفتنة بين على ومعاوية ، وقتل عثمان وعلى بأسباب ذلك ، وقتل جم كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلنى وذكر العيوب علناً ، حتى أبغض الناس ولى أمرهم وحتى قتلوه . نسأل الله العافية .

٣ - الدعاء له بالصلاح :

والأفضل أن يكون ذلك سراً فإنه أقرب للإخلاص وللقبول ، كما قال بعض السلف : لو علمت أن لى دعوة مستجابة لصرفتها للأمير . وذلك لأن صلاحه صلاح للرعية كلها .

٤ - الطاعة فى المعروف :

فإن طاعة ولاة الأمور فى المعروف وفى غير معصية الله - تعالى - فرض مؤكد على المسلم ، كما قال تعالى .

وأما إذا أمر بغير طاعة الله - تعالى - فإنه لا يجوز طاعته ، قال ﷺ : **« عَلَى المرْءِ المسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ فيما أَحَبَّ وكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بمعصيَةٍ ، فَإذَا أُمِرَ بمعصيَةٍ فَلا سَمْعَ ولا طَاعَةَ »**(1) وقال : **« لا طَاعَةَ لمخْلوقٍ فى مَعصيَةِ الخالقِ »**(2) .

٥ - عدم الخروج عليه :

فإن من حق ولى الأمر المسلم على رعيته ألا ينزعوا يدًا من الطاعة ، وألا يخرجوا عليه ، فإن النبى ﷺ قد بايع أصحابه على أن لا ينازعوا الأمر أهله ، إلا أن يروا كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان .

والخروج على الحكام هو أساس الفتن والبلايا فى هذه الأمة وإلى قيام الساعة .

لذا فإنه لا يجوز للرعية الخروج على الراعى المسلم ، ولا تفريق جماعة المسلمين، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

قال الشيخ العلامة محمد بن عثيمين حفظه الله : أما حقوق الولاة على رعيتهم فهى : النصح والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة ، بسلوك أقرب الطرق إلى توجيههم وإرشادهم وأن لا يتخذ من خطئهم - إذا أخطئوا - وهم مُعَرَّضون للخطأ كغيرهم من بنى آدم ، لكن لا يتخذ من هذا الخطأ سلمًا للقدح فيهم ونشر عيوبهم بين الناس ، فإن هذا يوجب التنفير عنهم وكراهيتهم وكراهية ما يقومون به من أعمال وإن كانت حقًا ويوجب بالتالى التمرد عليهم وعدم السمع والطاعة ، وفى ذلك تفكيك المجتمع وحدوث الفوضى والفساد .

ومن حقوق الولاة على رعيتهم السمع والطاعة بامتثال ما أمروا به وترك ما نهوا عنه ، ما لم يكن فى ذلك مخالفة لشريعة الله ، فإن كان فى ذلك مخالفة لشريعة الله فلا سمع لهم ولا طاعة **« لا طَاعَةَ لمخْلوقٍ فى مَعصيَةِ الخالقِ »** .

وقال ﷺ : **« السَّمْعُ والطاعةُ عَلَى المرْءِ المسْلمِ فيمَا أحَبَّ وكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ**

(1) متفق عليه .
(2) مسند الإمام أحمد .

بمعصيَةٍ فإذَا أُمِرَ بمعصيَةٍ فلا سَمْعَ ولا طَاعَةَ » ، وقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه : بايعنا رسولَ الله ﷺ علَى السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا وأن لا ننازع الأمر أهله ، قال : **إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان** (1) .

أيها الأخ المسلم : إن من طاعة ولاة الأمور التى أمر الله بها أن يتمشى المؤمن على أنظمة حكومته المرسومة إذا لم تخالف الشريعة ، فمتى تمشى على ذلك كان مطيعًا لله ورسوله ومثابًا على عمله ، ومن خالف ذلك كان عاصيًا لله ورسوله وآثمًا بذلك .

ثانيًا : حقوق الرعية على الراعي :

إن للرعية على الراعى حقوقًا كثيرةً جدًا ، والله تعالى سائله عنها يوم القيامة ، فإن الولاية تكليف وابتلاء وليست تشريفًا بحال ، فمن هذه الحقوق :

١ - أن يحكم فيهم بما أنزل الله تعالى :

فيقيم فيهم حدود الله ، ولا يستبدلها بغيرها ، قال تعالى : **﴿ وأنِ احْكُم بينَهُم بما أنزلَ اللهُ ولا تَتَّبِعْ أهْوَاءهُمْ ﴾**(2).

وقال عز وجل : **﴿ فاحكم بينهُمْ بما أنزلَ اللهُ ﴾**(3).

فمن حكم فى رعيته بغير ما أنزل الله - تعالى - فقد خان أمانة الله رسوله وخان المؤمنين .

٢ - أن يعدل بينهم :

فيجب على الراعى أن يعدل بين رعيته ، ولا يفضل منهم أحدًا لقرابة أو غيرها بل يكون الكل سواء عنده ، قال ﷺ : **« لَوْ أنَّ فاطمَةَ بنتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لقَطَعْتُ يَدَهَا »**(4) ومن لم يُسَاوِ بين رعيته فقد خان الأمانة وغشَّ الرعية .

(1) رواه مسلم .
(2) المائدة : ٤٩ .
(3) المائدة : ٤٨ .
(4) أخرجه البخاري .

٣ - رحمتهم والشفقة عليهم :

فيجب عليه أن يرحمهم وأن يعطف عـليهم ، ولا يشق عليهم ، فإن النبى ﷺ قال : « **اللهُمَّ مَن ولِىَ مِنْ أَمْـرِ أُمَّتى شيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فارفُقْ بِـه ، وَمَن وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتى شَيْئًا فَشَقَّ عليهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْه** » [(١)] .

٤ - أن يحمى صورة الإسلام والمسلمين :

وهذا كذلك من حقوق الرعية على الراعـى ، أن يحمى بلادهم ودينهم من مكائد عدوهم الـكافر المنافـق ، وأن يقيم عَلَـم الجهاد ، ويباشـر الغزو وانتداب المجـاهدين للجـهاد فى سبـيل الله ، وإدخال الـناس فى دين اللـه أفواجًا ، والـدفاع عن أرض الإسلام ، وأعراض المسلمين .

٥ - إظهار شعائر الإسلام فيهم :

وهذا من حق الرعيـة على الراعى كذلك ، أن يظهر فيهـم شعائر الإسلام ، من الحج والعمرة والأذان ، والجمـعة والجماعة ، والعيدين ، والحجـاب ، وغير ذلك من شعائر الإسلام الظاهرة ، والتى يجب المحافظة عـليها حماية وصيانة لشعار الإسلام ، كما يجب عليه محاربة كل ما ينافى هذه الشعائر ، من شعارات وأفعال وغيرها .

أما حقوق الـرعية على ولاتهم فـالمسئولية كبيـرة والأمر خطير ، فليـس المقصود بالولاية بسط السلطة ونيل المرتبة ، وإنما المقصود بـها تحمل مسئولية عظيمة تتركز على إقامة الحق بين الخلق بنصر دين الله وإصلاح عباد الله دينيّاً ودنيويّاً .

فيجب على الولاة صـغاراً أو كباراً إخلاص النية لله سبحانـه ، والاستعانة به فى جميع أمورهم على ما حملهم من هذه الأمانـة ، وعليهم أن يطبقوا أحكامه - سبحانه وتعالى - بحسب استطاعتهم ، على الشـريف والوضيع والقريب والبعيد ، لا يحابوا

(١) رواه مسلم

شريفًا لـشرفه ولا قريبًا لقربه ، متـمشين فى ذلك على ما رسم لهـم نبيهم ﷺ ، حيث قال معلنًا ومُقْسـمًا ، وهو البار الصادق بدون قسم : « **لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّد سَرَقَتْ لَـقَطَعتُ يَـدَهَا** »[(١)] فمن قـام بذلك من ولاة الأمور ، الصـغير أو الكبـير كانَ مطيعًا للـه ورسـوله ، مؤديًا لأمانته نائـلاً ثواب الله ورضا الخلق عليه فـإن الله يحب المقسطين قال النبى ﷺ : « **إنَّ المُقْسطِينَ عندَ الله عَلَى مَنَابرَ مِنْ نُور عَن يمِينِ الرَّحْمَن وكلتَـا يَدَيْه يمِينٌ ، الذينَ يَـعْدلُونَ فى حُكْـمهمْ وأهْلِيهـمْ ومَا وَلُوا** »[(٢)] . وقال : « **أَهْلُ الجنة ثلاثٌ : ذُو سُلطَان مُقْسطٌ مُوفقٌ ، ورَجُلٌ رحيمٌ رَقيقُ القَلْبِ لكلِّ ذى قُرْبَى مُسْلِم، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيَالٍ** » [(٣)] .

فاتقوا الله أيها المسلمون من ولاة ورعية ، وقـوموا بما أوجب الله عليكم ليستتب الأمن ويحصل التآلف ، فـإن تفرطوا يسلط الله بعضكم علـى بعض ، فتُسلّط الولاة على الرعيـة بالظلم وإهمال الحقوق ، وتُسَـلَّط الرعية على الولاة بالمخالـفة والفوضى والاعتزاز بالرأى ، فلا ينضبط الناس ولا يصلح لهم حال .

فإذا قام كل من الراعى والـرعية بأداء ما عليه من حقوق للطـرف الآخر ، فحينئذ ينصلح حال المسلمين وتنتفى بوادر الشر والاختلاف والتفرق ، ويزداد ترابط الأمة على كافـة المستويـات ، أسأل الله أن يـوفق كلاً إلى مـا فيه رضاه ، وإلـى ما فيه صـالح الإسلام والمسلمين .

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) سبق تخريجه

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

الفصل الثالث

نظرات وتأملات فى الدعوة إلى العقيدة

المبحث الأول : المراد بأهل السنة والجماعة .

المبحث الثانى : خصائص أهل السنة والجماعة .

المبحث الثالث : السنة وسط بين الإفراط والتفريط .

المبحث الرابع : وجوب اتباع عقيدة السلف ومنهجهم .

المبحث الخامس : تبرئة السلف من عقائد الخلف .

المبحث السادس : الأدب مع الرسول - ﷺ - .

المبحث السابع : اتباع الرسول ﷺ علامة محبته .

المبحث الثامن : نواقض العقيدة السلفية .

المبحث الأول

المراد بأهل السنة والجماعة وصفاتهم

من الواجب على المسلم أن يكون على مذهب أهل السنة ومنهجهم فى كل الأمور ، وأنا أتكلم حول هذا الموضوع بإيجاز فأقول مستعينًا بالله :

أولاً : مصطلح أهل السنة والجماعة مصطلح قديم ، ويقصد به المتمسكون بسنة النبى - ﷺ - وأصحابه وتابعيهم ، المتمسكون بما كان عليه جماعة المسلمين فى الصدر الأول ، المجتنبون للشاذ من الآراء والأهواء ، الملازمون للجماعة البعيدون عن الفرقة .

ثانياً : أصل مصطلح عقيدة السلف :

جاء هذا المصطلح من خلال الأحاديث التى تحض على اتباع السنة والتمسك بها ، والأمر بلزوم الجماعة وترك التفرق والاختلاف، فمن ذلك قوله ﷺ : **«افْتَرَقَت اليهُودُ والنَّصارى عَلَى إحْدَى وسَبْعينَ أو ثنتيْن وسَبْعينَ فرْقَة ، كُلُّهَا فى النَّار ، وسَتفترق أُمَّتى على ثَلاث وسَبْعينَ فرْقَة ، كُلُّهَا فى النَّارَ إلا وَاحدَة ، وهى الجمَاعةُ»** وفى لفظ: « **مَن كَانَ عَلَى مثْل مَا أنَا عَلَيْه وأصْحَابى** »[1] فهذا أصل هذه التسمية، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾ قال: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف[2] .

وقد استعمل هذا المصلح عند السلف حيث كانوا يدونون ما ينقلونه عن عقائد أهل السنة تحت اسم (السنة) كالإمام أحمد وابنه عبد الله وابن أبى عاصم والخلال وغيرهم كثير ، والحاصل أن هذا المصطلح (أهل السنة والجماعة) قد استعمله السلف كثيراً بعد ظهور أهل البدع ليتميزوا عن غيرهم ، وليعرفوا من بينهم .

(١) أخرجه الترمذي والطبراني .
(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص ٧ - ٥ .

ثالثاً : أسماء أهل السنة وأصلها :

هناك أسماء أخرى لأهل السنة والجماعة ، ولكل منها دليله ، فمن ذلك مثلا :

١ - الفرقة الناجية :

وذلك استنباطـًا من قوله - ﷺ - : « **وستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلا واحدةً** »[1] فلهذا سميت بالفرقة الناجية .

٢ - الطائفة المنصورة :

وذلك استنباطـًا من قوله - ﷺ - : « **لاَ تزالُ طَائفَةٌ من أُمّتي ظاهرين عَلَى الحقّ - وفى لفظ : عَلَى الحقّ مَنصُورِينَ - لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهَمْ وَلا مَنْ خَذَلَهُم حَتَّى يأتىَ أمْرُ الله وهُمْ عَلَى ذَلكَ** »[2] .

٣ - السلف الصالح :

وذلك لأنهم سلفٌ لنا متقدمون علينا موسومون بالصلاح ، وذلك من قوله - ﷺ - : « **خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** »[3] وغير ذلك .

رابعاً : هل هناك ضرورة للتسمي باسم أهل السنة ؟ .

كان الناس أمة واحدة ، ثم فشا فيهم الشرك فأرسل الله - تعالى - الرسل مبشرين ومنذرين فمن أطاعهم واتبعهم استحق اسم الإسلام ، ومن عصاهم وخالفهم استحق اسم الكفر ، فمن هنا انقسم الناس إلى مسلم وكافر .

ثم بعد ذلك انقسم أهل الإسلام ما بين متبع للسنة قائل بها ، ومخالف لها معاند ، فكما تمايز أهل الإسلام عن أهل الأديان الأخرى ، كذلك تمايز أهل السنة عن غيرهم من أهل البدع والمذاهب الأخرى ، فأطلقوا على أنفسهم هذا الاسم ليتميزوا به عن غيرهم ، ولكى يُعرفوا باتباعهم للسنة وأخذهم بها .

(١) سبق تخريجه . (٢) أخرجاه في الصحيحين . (٣) رواه مسلم .

وأما الشق الثانى وهو أن إطلاق هذا الاسم قد يساعد على التفرق فالجواب هو : لا ، لأن هذا الاسم يدل على ما يجب أن يتجمع عليه الناس ويجتمعوا حوله ويتألفوا على أساسه ، ألا وهو سنة النبى - ﷺ - فمن رضى بالسنة وقال بها واتبعها وقَبِل أن ينسب إليها فهو منا ونحن منه ، وكلنا إخوة فى الله وفى سنة النبى - ﷺ - مهما كان العدد قليلاً ، فالجماعة ما كان على الحق ولو كنت وحدك .

ومن لم يرض باسم السنة ولم يقبل أن ينسب إليها فليس منا ولسنا منه ، ولا حاجة لنا به ، مهما كان عددهم كبيراً عظيمًا فإنهم لا خير فيهم .

خامساً : شروط كون الرجل من أهل السنة :

يقال للرجل : إنه من أهل السنة والجماعة إذا أخذ بأصول أهل السنة وقال بها ، ومنها :

١ - توحيد الله تعالى فى ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وصرف العبادة له دون غيره ظاهراً وباطنًا .

٢ - تجريد الاتباع للنبى ﷺ وحده ، فى كل أحواله وأموره والأخذ بسنته ظاهراً وباطنًا .

٣ - اتباع سبيل المؤمنين السابقين : من الصحابة والتابعين ، الذين قال فيهم ﷺ عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى .

٤ - سلامة القلب لأصحاب النبى ﷺ : فلا يقدح فى أحد منهم ، أو ينتقصه أو يذكره بسوء أو يكون فى قلبه غل لأحد منهم ، فإن ذلك ليس من سيماء المؤمنين .

٥ - الاعتراف بفضل الصحابة : وخصوصًا الخلفاء الأربعة ، وعدم القدح فى خلافة أى منهم وتقديمهم على غيرهم ، والإقرار بما صح من فضائلهم ، ومن قدح فيهم أو غمزهم أو ذكرهم بسوء فهو أضل من حمار أهله .

٦ - محبة أزواج النبى - ﷺ - وآل بيته : وتـوليهم ، وعدم الإساءة إليهم أو القدح فيهم ، وتبرئة أزواجه من كل عيب ونـقص وتهمة ، فهن الطاهرات المؤمنات ، وخصوصًا عائـشة وخديجة ، والإقرار بأنهم أزواجه - ﷺ - فـى الجنة ، وكذلك محبة آل بيته ، وتعـظيمهم لقرابتهم له - ﷺ - وذلك مع اعتـقاد عدم عصمتهم ، فهم بشر أولاً وآخراً .

٧ - عدم التكفير بالمعصية : سواء كانـت كبيرة أو صغيرة ، فهم لا يكفرون أحدًا من أهل الإسلام بذنب ما لم يستحله ، سواء كان كبيرة أو صغيرة ، ويسمون مرتكب الكبيرة فاسقًا ناقص الإيمان ، لكنهم يـقولون : هو تحت مشيئة الله - تعالى - إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه بذنوبه ولم يخلد فى النار .

٨ - عدم الشهادة لمعين بالجنة أو النار : إلا من شهد له القرآن والسنة ، غير أنهم يفرحون للمحسن ويرجون له ، ويخافون على المسىء ولا يقنطونه من رحمة الله تعالى.

٩ - يقـولون بأن الإيمـان يزيد بالطـاعـة وينـقـص بالمعصـية : كما قـال تعـالى : ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾[1] فزيادته بالبر والطاعات ونقصانه بالسيئات والمعاصى ، ولا يقولـون كالمرجئـة : لا يضر مع الإيمـان ذنب لمن عملـه ، بل يرون الذنـوب تضر أصحابها ، فهم يخشون عليهم من ذنوبهم ، وهم يقولون : إن الإيمان قول وعمل .

١٠ - عدم الخروج علـى الولاة ولزوم الجماعة : وكـذلك الصلاة والجهاد مـعهم والدعاء لهم ، وعدم شق عصا الطاعة وتفريق الجماعة ، إلا أن يكون كفر بواح عندنا من الله فيه برهان ، يرون طاعتهم فى المعروف وإن جاروا .

وغير ذلـك من أصولهم وخصـائصهم التـى اختصوا بهـا عن سـائر أهـــل البدع والأهواء .

(١) المدثر : ٣١ .

سادسًا : وسطية أهل السنة بين سائر الفرق :

إن أهل السنة والجماعة وسط فى كل أصولهم بين أهل الغلو والتطرف والإفراط ، وبين أهل التقصير والتحليل والتفريط ، فهم وسط بين طرفى نقيض ، ومن ذلك :

١ - فى مسألة الصفات الإلهية :

هم وسط بين المعطلة الجهمية النفاة الذين نفوا صفات الله - عز وجل - أو أوّلوها بما يخرجها عن حقيـقتها ، وبين أهل التشبيه الذين غلوا فى الإثـبات حتى شبهوا الله تعالـى بخلقه ، أمـا أهل السنة والجـماعة فإنهـم أثبتوا للـه كل ما ثبت مـن الأسماء والصـفات مـع التنزيه عن المشابهـة لخلقه ، وتـفـويض علم كيفـية ذلك إليـه تعـالـى ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1] .

٢ - فى مسألة الإيمان :

هم وسط بين الذين قالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب وهم المرجئة ، وبين الوعيدية الذين نفوا اسم الإيمان بفعل المعاصى ، لـكنهم - أى أهل السنة - جعلوا الإيمان قولاً وعملاً ، ولا ينتفى الإيمـان إلا بانتفاء جميع أعماله ، ولا يرتـفع اسم الايمان الواجب بالمعاصى ما لم يستحلها ، بل ينقص من كماله بحسب ذلك .

٣ - فى مسألة القدر :

هم وسط بين الجـبرية الذين يرون أن الـعبد لا مشيئـة له أصلاً وأنه مجبـور على أعماله وبـين أهل القدر الذين جـعلوا العبد خـالقًا لفعل نـفسه ، أما أهل السـنة فقد جعلوا للعبد مشيئة واختياراً وإرادة ، لكنها داخلة فى مشيئة الله تعالى وإرادته ، ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[2] .

٤ - فى مسألة الصحابة :

هم وسط بين الذيـن غلوا فى شأن بعض الصـحابة ورفعوهم إلى مرتـبة الألوهية كما فعلت الباطنية مع على بن أبى طالب رضي الله عنه ، وبين الناصبة الذين كفروهم وحطوا

(١) الشورى : ١١ .

(٢) التكوير : ٢٩

من شأنهم ، بل إن أهل السنة يحبونهم جميعاً ويتولونهم ، ولا يرون عصمة أحد منهم أو يرفعونه فوق منزلته التى يستحق .

٥ - فى مسألة حب النبى صلى الله عليه وسلم :

يحبون النبى - ﷺ - ويعظمونه ويرون ذلك دينًا وإيمانًا لكنهم لا يؤلهونه ولا يعبدونه من دون الله ، فهم وسط بين أهل الغلو الذين أسبغوا عليه - ﷺ - صفات الألوهية كالصوفية ونحوهم وبين أولئك الذين أعرضوا عن سنته وحطوا من شأنها وقدموا على حبه حب الدنيا وأهلها ، بل إن أهل السنة يقدمون محبته على كل محبة واتباعه على كل اتباع ويرون اتباع سنته دينًا واجبًا عليهم .

سابعًا : من محاسن الأعمال والأخلاق عند أهل السنة :

إن أهل السنة والجماعة - رحمهم الله تعالى - عون إلى كل خير ، فمن ذلك : الأمر بالصدق وحفظ الأمانة وغض البصر وبر الوالدين وصلة الأرحام وحفظ الفرج ، وأكل الحلال ، والتعفف عن الحرام ، وحفظ اللسان والجوارح كلها ، ويرون الإحسان إلى اليتامى والجار والضيف ، والرفق بالضعفاء والمساكين والأزواج والأولاد .

ويرون سلامة الصدر للمؤمنين والنصح لهم ، وعلى رأسهم الأئمة والولاة ، ولزوم الجماعة والمحافظة على الصلوات الخمس وصوم رمضان والحج وأداء الزكاة والجهاد فى سبيل الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وهم كذلك ينهون عن كل منكر وشر ، ومن ذلك الكذب والخيانة والعقوق والسرقة وشرب الخمر والزنا والحلف الكاذب ، والغش فى البيع والشراء ، والغيبة والنميمة ، وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام وإيذاء المسلمين ، والغل فى الصدور لهم ، وترك النصحية لهم ، والغلظة على المؤمنين ، وإطلاق البصر فى الحرام وغير ذلك مما حرمه الله تعالى ورسوله - ﷺ - ونهى عنه .

وفى الختام نسأل الله - تعالى - أن يوفقنا جميعًا لنكون من أهل السنة والجماعة، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقًا ، والحمد لله رب العالمين .

المبحث الثانى
خصائص أهل السنة

لقد اقتضت سنةُ الله تعالى فى خلقه ، أن بعث الرسل مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وقضى أن من أطاعهم دخل الجنة . وأحرز نفسه عذاب الله تعالى وغضبه ، ومن عصاهم فقد استوجب دخول النار ، وعرض نفسه الله وعقابه ، وجعل خاتمهم وآخرهم وأفضلهم محمداً ﷺ ، وأنزل عليه خير كتاب وأفضله ، وجعل طاعته سبيل النجاة ، ومعصيته طريق الخذلان والبوار وما قبضه إليه حتى أقام به الملة العوجاء ، وشرح له صدره ، ورفع له ذكره ، وبصَّر به من العمى ، وكان فيما أوحى إليه التحذير من الاختلاف فى الدين ، فقال - تعالى - فى كتابه الكريم : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « تبيض وجوهُ أهل السنة والائتلاف ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة »[2] .

وقد دب الخلاف فى الأمة بعد وفاة النبى ﷺ ، وتطور الأمر حتى ظهرت طوائف خالفت فى مسائل من أصول الدين ، وهلك فى ذلك الكثير من الناس حيث اتبعوا الشيطان ، واتبعوا الأهواء والآراء الباطلة ، وأعرضوا عن هدى الله ورسوله ﷺ .

غير أن حكمة الله - تعالى - قد اقتضت أن يظل الحق واضحًا جليّاً ، فبقيت طائفة من هذه الأمة متمسكة بالنبع الصافى ، بالكتاب والسنة ، تنهل منهما ، وتقتبس

(١) آل عمران : ١٠٥-١٠٧ .

(٢) أخرجه ابن كثير ج١ / ص ٥٠٧ . .

منهما فى كل أمور حياتها فاستحقت هذه الطائفة إطلاق كل اسم محمود عليها ، وأحب هذه الأسماء وأشهرها اسم أهل السنة والجماعة ، لأنهم هم المتمسكون بسنة النبى ﷺ ، وهم الجماعة المعتصمون بحبل الله تعالى ، البعيدون عن التفرق فى أودية الأهواء .

ولهذا فقد كان أكثر السلف إذا صنفوا فى بيان عقائد السلف الصالح وما هم عليه فى مسائل أصول الدين ، أطلقوا على مصنفاتهم اسم السنة ، كالإمام أحمد وابنه عبد الله ، والخلال ابن أبى عاصم ، واللالكائى ، وغيرهم :

من أسمائهم أيضًا الفرقة الناجية، وهى المذكورة فى قوله ﷺ : « **إنَّ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الكتَاب قَد افْتَرَقُوا عَلَى ثنتَيْنِ وَسَبْعِينَ فرْقَةً ، وإنَّ أُمَّتِى سَتَفْتَرِقُ على ثَلاث وسَبْعِينَ فرْقَةً ، كُلُّهَا فِى النَّار إلا وَاحِدَةً ، قيلَ : مَن هُمْ يَا رَسُولَ الله ؟ قال : مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِى . وفى لفظ : وَهِىَ الجمَاعَةُ** » [1]، أو كما قال.

أيضا هم الطائفة المنصورة المذكورة فى قوله - ﷺ - : « **لا تزالُ طائفةٌ مِنْ أُمَّتِى ظَاهِرِينَ عَلَى الحقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأتِى أَمْرُ الله وَهُمْ عَلَى ذلكَ** »[2] .

ولأهل السنة والجماعة صفات وخصائص تميزوا بها عن غيرهم ، يجدر بكل مسلم أن يتعرف عليها وأن يتصف بها حتى يكون منهم إن شاء الله تعالى ، فمن هذه الخصائص .

١ - أنهم يقدمون النقل على العقل :

فهم يعتمدون النقل ، أى الكتاب والسنة أساسًا فى التلقى والاستدلال ، فكل العقائد الصحيحة السليمة الصافية يتلقونها من الكتاب والسنة ، ويستدلون على صحتها بالكتاب والسنة ، وأما العقل والفطرة وغير ذلك ، فكله تابع للكتاب والسنة،

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه

شاهد على صدقهما ، لا يعارضهما بحال ، وإن بدا تعارض بين نص شرعى وبين مقتضى العقل ، فإما أن يكون النص غير ثابت ، أو إن ثبت النص فإنهم يتهمون العقل ويرون أن النقل فوق مستوى النقد ، ما دام قد ثبت عن الصادق المصدوق - ﷺ - ويرون أن صحيح المنقول لا يعارض صريح المعقول أبدًا ، وهما بهذا يختلفون عن أهل البدع الذين يقدمون العقل على النقل ، وإما أن يردوا النص الشرعى إذا خالف عقولهم وأهواءهم ، وإما أن يؤولوه بخلاف حقيقته ، ويجعلون العقل حاكمًا على الشرع الكريم ، وهذه بدعة خطيرة جداً أدت بطوائف من أهلها إلى المروق من الإسلام بالكلية .

٢ - أنهم وسط فى كل الأمور بين أهل الضلال من أهل الإفراط أو التفريط ، فمثلاً :

أ - فى مسائل الأسماء والصفات الإلهية :

هم وسط بين النفاة ، الذين نفوا أسماء الله وصفاته بالكلية ، أو أثبتوا بعضها ونفوا بعضها ، أو أثبتوها لكنهم نفوا معانيها ، وأوَّلُوها بما يخرجها عن حقيقة معانيها اللائقة بها ، وبين أهل التشبيه الذين أثبتوا الأسماء والصفات لكنهم شبهوها بصفات المخلوقين ، فجعلوا الخالق كالمخلوق ، لهذا كانوا أشبه باليهود الذين شبهوا الخالق بالمخلوق ونسبوا صفات النقص إلى الله تعالى ، أما أهل السنة والجماعة فإنهم أثبتوا لله - تعالى - كل ما جاء فى الكتاب والسنة الصحيحة من الأسماء والصفات الإلهية، وأثبتوا بها جميع المعانى الحقيقية اللائقة بها ، مع تنزيه الله - تعالى - عن مشابهة الخلق ، وعدم تصور كيفية معينة لهذه الصفات ، بل فوَّضوا علم الكيفية إلى الله تعالى ، ورائدهم فى ذلك قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾[1] فأول الآية نفى للمثلية والمشابهة ، وآخرها إثبات لحقيقة الأسماء والصفات .

(١) الشورى : ١١

ب – فى مسألة القدر :

هم وسط بين القدرية الذين قالوا بأن الله لا يعلم الجزئيات ، وأنه لا يخلق أفعال العباد ، ولا يعلمها حتى تكون ، وأن الإنسان خالق فعل نفسه ، وبين الجبرية الذين قالوا بأن العبد كالريشة فى مهب الريح ، وأنه مجبور على فعل الشر ولا اختيار له فى ذلك ، أما أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون للعبد مشيئة واختياراً وإرادة ، لكنها مخلوقة لله – تعالى– داخلة فى إرادته ، فلا مشيئة للعبد إلا ما شاء الله له ، ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[1] ويقولون بأن الله – تعالى– هو خالق أفعال العباد من خير وشر ، لحكمة بالغة قضاها ، كما قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[2] لكنه – تعالى – يحب الخير ويرضاه ويأمر به ، ويكره الشر ولا يرضاه ولا يأمر به شرعًا .

ج – فى مسألة الإيمان :

هم وسط بين الوعيدية الخوارج الذين يخرجون مرتكب الكبيرة بل والعاصى من الإيمان ، ويحكمون له بالخلود فى النار ، وبين المرجئة الذين يقولون : لا يضر مع الإيمان ذنب ولا معصية ، ويقول بعضهم بأن الإيمان مجرد الإقرار باللسان فقط ، بل وذهب الغلاة منهم ، إلى أن الإيمان هو مجرد معرفة الرب تعالى حتى من غير إقرار به ، أما أهل السنة والجماعة فالإيمان عندهم تصديق بالقلب وقول باللسان ، وعمل بالجوارح والأركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصى ، ومرتكب الكبيرة عندهم فاسق ناقص الإيمان لكنه ما زال مسلمًا ، ما لم يستحل المعصية ، وأمره فى الآخرة إلى الله – تعالى – إن شاء عاقبه ، وإن شاء غفر له وتجاوز عنه .

د – فى مسألة الصحابة :

هم وسط بين الذين غلوا فى بعض الصحابة حتى رفعوهم إلى منزلة الألوهية بل والربوبية كما فعلت الروافض مع على بن أبى طالب رضي الله عنه وبين الذين حطوا من شأنه وشأن بعض الصحابة وانتقصوا منهم كالنواصب وغيرهم ، لكن أهل السنة والجماعة

(١) التكوير : ٢٩ . (٢) الصافات : ٩٦ .

عرفوا قدر الصحابة فاحترموهم وأحبوهم ووالوهم ، لكنهم لم يغلوا فى أحد منهم ولم يرفعوهم فوق المنزلة التى يستحقونها ، والتى أنزلهم الله تعالى إياها .

هـ – فى مسألة كرامات الأولياء :

هم وسط بين الذين أنكروها ونفوها بالكلية ، وبين الذين بالغوا فيها وفى شأن الصالحين حتى رفعوا بعضهم إلى منزلة الربوبية والعياذ بالله ، لكن أهل السنة والجماعة أثبتوا هذه الكرامات للصالحين الأتقياء ، على ما ورد فى الكتاب والسنة ، من غير أن يرفعوا أحدًا منهم فوق المنزلة التى يستحقها .

و – فى مسألة تعظيم النبى – ﷺ – :

هم وسط بين الذين غلوا فى شأنه – ﷺ – حتى أسبغوا عليه صفات الألوهية والربوبية ، وبين أهل الجفاء الذين لم يعرفوا له – ﷺ – منزلته ، فردوا كلامه وسنته ، وقدموا عليهما الأهواء والآراء ، وتقليد أهل الشرق والغرب فضلوا ضلالاً مبينًا ، أما أهل السنة والجماعة فإنهم أحبوه – ﷺ – وعظموه فلبوا أمره واجتنبوا نهيه وصدقوا خبره ، من غير أن يرفعوه فوق المنزلة التى أنزله الله – تعالى – إياها .

٣ – ليس لهم إمام معظم إلا النبى – ﷺ – :

فهو الوحيد الذى يؤخذ بأمره ولا يرد شىء من كلامه ، فأمره معظم ، ونهيه معظم ، وخبره مصدق ، وأما غيره – ﷺ – فإنه يؤخذ من قوله ويترك ، كما قال الإمام مالك – رحمه الله تعالى –: « كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر» يعنى النبى – ﷺ – فكل شخص غير النبى – ﷺ – إذا وافق قوله قول النبى ﷺ ساغ الأخذ به ، وإن خالفه رددناه ولا كرامة .

٤ – عصمة الله – تعالى – لهم من تكفير بعضهم بعضًا :

فأهل السنة والجماعة لا يكفر بعضهم بعضًا ، ولا يتبرأ بعضهم من بعض ، وهذا من فضل الله تعالى عليهم ، وأما أهل البدع فإنهم يتبرأ بعضهم من بعض ، ويكفر بعضهم بعضًا ، ويلعن بعضهم بعضًا .

٥ - رفضهم للتأويل :

فإن التأويل قد يراد به حقيقة ما يئول إليه الشيء ، وقد يراد به تفسير الشيء وقد يراد به صرف اللفظ عن حقيقة معناه إلى معنى آخر بدون قرينة موجبة لذلك ، ولما انتشر هذا النوع من التأويل بين أهل البدع من المتكلمين وغيرهم ، رفضه أهل السنة ، لأنه جَوْرٌ على نصوص الكتاب والسنة ، وصرف لهما عن حقائقهما ، وقول على الله تعالى بغير علم ، وبغير الحق .

٦ - اتباع آثار رسول الله - ﷺ - وأصحابه ظاهرًا وباطنًا :

فأهل السنة والجماعة متبعون لرسول الله - ﷺ - وأصحابه السابقين الأولين ظاهراً وباطنًا ، ويرون ذلك ديناً يتعبدون به لله عز وجل ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الذى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فى التَّوْرَاةِ والإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ التى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(1) وكما قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(2) .

٧ - إنهم يفهمون الدين فهما شاملاً ويرون أنه صالح لكل زمان ومكان :

فالدين عند أهل السنة والجماعة هو ذلك المنهج الربانى الذى ينتظم أمور الحياة كلها ، فهو الذى ينظم العلاقة بين العبد وربه ويبين للعبد ما يجب عليه لله تعالى ، وما يحرم ، وبه يعرف كيف يؤدى حق الله - تعالى - بالعبادة ، وهو ذلك المنهج الذى ينظم علاقة العبد بأهله وأقاربه وجيرانه والناس أجمعين ، فيحدد حقوقهم بعضهم على بعض ، والواجب على بعضهم تجاه الآخرين من غير أن يهمل فى شىء

(1) الأعراف : ١٥٧ .

(2) التوبة : ١٠٠ .

من ذلك ، وهو ذلك المنهج الذى ينظم علاقة الحاكم بالمحكوم والمحكوم بالحاكم ، ويحدد الأسس التى ينبغى أن يقام عليها الحكم ، ومبادئ القضاء ، وأصول السياسة الداخلية والخارجية ، وهو المنهج الذى يهدف إلى تنظيم حياة الناس فى كل مجالاتها فهو نظام شامل لكل نواحى الحياة ، وهو صالح لكل زمان ومكان منذ أن بعث الله نبيه - ﷺ - وحتى تقوم الساعة .

٨ - إنهم يرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضًا واجبًا عليهم :

باليد واللسان والقلب ، كل على حسب طاقته ويرَوْنَ ذلك فرضا ماضيا إلى يوم القيامة ، كما قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(1) .

٩ - الحج والجهاد مع أولياء الأمور وترك الخروج عليهم :

فأهل السنة يرون الحج والجهاد مع الأمراء ، البر منهم والفاجر ، ولا يخرجون عليهم ، ولا ينزعون يداً من طاعتهم ، ما لم يؤمروا بمعصية الله تعالى ، فحينئذ لا سمع ولا طاعة ، وكذلك فهم يرون ملازمة الجمعة والجماعة فى المساجد ، ويحذرون من مفارقة الجماعة .

ولهم خصائص أخرى غير ما ذكر ، وإن كانت هذه هى أبرز الخصائص ، والتى ينبغى أن يتعرف عليها كل مسلم ، حتى يميز بين الحق والباطل ، وحتى يعرف أهل السنة بوضوح ويقتدى بهم ليلحق بركب الصالحين ، من الصحابة والتابعين ، وأتباعهم ، أهل القرون الثلاثة المفضلة ، فهذا هو سبيل النجاة ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

(1) آل عمران : ١٠٤ .

المبحث الثالث

السنة النبوية

وسط بين الإفراط والتفريط

فإن سنة النبى ﷺ إنما هى وحىٌ من الله تعالى ، وهى شقيقة القرآن ، وقد أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الذينَ آمنوا أَطيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرسُولَ وأُولِى الأَمْرِ مِنكُمْ فَإن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ والرَّسُولِ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾(١) وقال عز من قائل : ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الكَافِرِينَ** ﴾(٢) ورتَّب الهداية على طاعة النبى ﷺ فقال : ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾(٣) ، وجعل طاعته ﷺ من محبة الله تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رحِيمٌ** ﴾(٤) وبين ﷺ أن طاعته هى طريق الجنة فقال : « **كُلُّ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلا مَنْ أَبَى ! قَالُوا : وَمَنْ يَأْبى يَا رَسُولَ الله ؟ قال : مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى** »(٥) ، وغيره ، والنصوص فى فضل السنة ووجوب اتباعها لا تكاد تحصى من الكتاب والسنة ، وأما من أقوال السلف والأئمة فهى كثيرة أيضًا ، وتكاد تجل عن الحصر ، وسيأتى سياق بعضها إن شاء الله - تعالى - فيما يأتى .

هذا وقد انقسم المسلمون فى زماننا هذا تجاه سنة النبى ﷺ إلى ثلاثة أقسام :

(١) النساء : ٥٩ . (٢) آل عمران : ٣٢ . (٣) النور : ٥٤ .
(٤) آل عمران : ٣١ . (٥) رواه البخارى .

الأول : أهل التفريط والجفاء .

والثانى : أهل الغلو والإفراط .

والثالث : أهل الوسطية والاستقامة على السنة النبوية الصحيحة ، وهم أهل الحق حقاً .

وسنتكلم عن هذه الأقسام الثلاثة بشىء من التفصيل ، فنقول وبالله التوفيق :

القسم الأول

أهل التفريط والجفاء

وقبل أن نشرع فى الكلام عنهم ، نذكر حقيقة معنى التفريط ، والتفريط لغةً هو: التقصير وإزالة الشىء عن مكانه .

قال ابن فارس : « وكذلك التفريط وهو التقصير ، لأنه إذا قصر فيه فقد قعد به عن رتبته التى هى له » (١) .

وقال الجوهرى : « فرط فى الأمر فَرْطًا : أى قصر فيه ، وضيعه حتى فات ، وكذلك التفريط » (٢) .

وقال ابن منظور : « وفرَّط فى الشىء وفَرَطه : ضيَّعه وقدَّم العجز فيه » (٣) .

وأما الجفاء ، فقد قال ابن فارس : « الجيم والفاء والحرف المعتلُّ (جَفَو) يدل على أصل واحد : نُبوُّ الشىء عن الشىء ، ومن ذلك جفوتُ الرجل أجفوه ، وجفا السرجُ عن ظهر الفرس ، وأجفيته أنا ، وكذلك كل شىء إذا لم يلزم شيئًا يقال : جفا عنه يجفو ، والجفاء خلاف البر . . » (٤) .

فمن هذا يتضح لنا أن هناك تلازمًا بين معنى التفريط والجفاء ، فإنهما سويّاً يقصد بهما البعد عن الشىء وتضييعه والإعراض عنه ، وهذا هو فعلاً معنى التفريط فى السنة والجفاء فيها ، فإن أهل الجفاء والتفريط قومٌ فرطوا فى اتباع السنة ، ولم

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٠) . (٢) الصحاح (٣/ ١١٤٨).
(٣) لسان العرب (٧/ ٣٧٠). (٤) معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٦٥ ، ٤٦٦).

يروا بأسًا بمخالفتها والإعراض عنها وتركها فضيعوا هذه السنة ، سواء ما كان منها فى أبواب العقائد وأصول الدين ، أو ما كان منها فى باب المعاملات ، أو ما كان فى باب الأحكام ، أو ما كان فى باب العبادات والشعائر أو ما كان فى باب الأدب والتهذيب .

وهكذا اندرست عندهم معالم السنة ، وسلكوا طريق الضالين المضلين من المتقدمين مخالفى السنة ومن المتكلمين ، ومقلدة الفقهاء ، وغيرهم .

فإن المتكلمين قد ردوا من السنة ما كان من أحاديث الآحاد ، بزعم أنه ظنىٌّ لا يفيد العلم القطعى ، وكذا ردوا من السنة ما كان يخالف العقل - بزعمهم - حتى ولو كان صحيحًا ثابتًا ، ولم يتهموا عقولهم حيث عجزت عن إدراك معانى النصوص على حقيقتها لما طبعَ الله على قلوبهم وأضلَّهم على علم ، فضلُّوا بذلك وأضلوا كثيرًا ، وضلوا عن سواء السبيل . وبعض مقلدة الفقهاء كان جافيًا فى حق سنة النبى ﷺ ، فقدَّم عليها آراء الرجال وأقوال أئمته حتى قال بعضهم : « كل حديث يخالف قول إمامنا ، فهو إما منسوخ أو مؤول » فجعلوا أقوال الأئمة حاكمة على سنة النبى ﷺ ، مع أن السنة حاكمة على قول كل أحد غير النبى ﷺ ، ونعرف مدى اتباع الرجل للحق وموافقته له بمدى اتباعه للسنة ، وملازمته لها .

وهؤلاء الأئمة الذين تعصبت لهم أتباعهم ، وقدموا كلامهم على كلام النبى ﷺ ، كلهم قد صرح بأن مذهبه هو اتباع السنة ، وكلهم قال : « ما صح من الحديث فهو مذهبى » ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: « يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول لكم : قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر، قال عمر؟!!».

وغاب عن هؤلاء أن الله - عز وجل - قد أوجب عليهم طاعة رسوله ﷺ فيما يأمر به وينهى عنه ، وجعل ذلك من طاعته سبحانه فقال : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾ وهؤلاء المفرطون المجانبون للسنة أضروا بالإسلام وبدعوته إضرارًا بالغًا ، وشوهوا تعاليمه ، وظلموا أنفسهم بتقديم العقل والرأى والهوى على السنة المطهرة .

وقد وقعوا فى خطأ خطير ، وشر مستطير حيث أعطوا لأنفسهم هذا الحق فى مخالفة السنة . وقد قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١) .

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، لما سُئِلَ عن الفتنة فى الآية قال : « أتدرى ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا ردَّ بعض قول النبى ﷺ أن يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك » .

وقال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى : « أجمع المسلمون على أنه لا يحل لمسلم استبانت له سنةٌ من سنن النبى ﷺ أن يدعها لقول أحد من الناس » .

وقال الإمام مالك رحمه الله : « كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر» وأشار إلى قبر النبى ﷺ .

فهذا القسم الأول من أقسام الناس تجاه سنة النبى ﷺ ، قسمُ المفرطين المضيعين للسنة ، ويستوى فى ذلك تضييعها اتباعًا للشهوات أو اتباعًا للشبهات ، مع أن النوع الثانى أخطر ولا شك .

وكل من فرَّط فى السنة وجفاها ، فإنه على شفا خطر جسيم ، سواءً كان تفريطه ناتجا عن خلل فى التصور ، أو عن خلل فى السلوك .

وينبغى الحذرُ كل الحذر من هذا القسم من الناس . والبعد عنهم ، وهجرانهم إذا أصروا على ما هم عليه ، ويجبُ كذلك مجادلتهم بالتى هى أحسن إذا أمكنه ذلك ، فإن رجعوا إلى الحق فبها ونعمت ، وإلا فهم أعداءُ السنة ، وينبغى معاداتهم لله وفى الله .

* * *

(١) النور : ٦٣ .

القسم الثاني

أهل الغلو والإفراط

ونبتدئ كذلك بتعريف الغلو والإفراط .

أما الغلو فإنه لغةً : مجاوزة الحد .

قال ابن فارس : « الغين واللام والحرف المعتل (غلو) أصلٌ صحيحٌ يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر . يقال : غلا السعر يغلو غلاءً . وذلك ارتفاعه . وغلا الرجل في الأمر غلواً ، إذا جاوز حدَّه ، وغلا بسهمه غلواً . إذا رمى به سهمًا أقصى غايته » (١) .

وقال الجوهري : « وغلا في الأمر يغلو غلواً ، أي : جاوز فيه الحدَّ » (٢) .

وقال ابن منظور : « وغلا في الدين والأمر يغلو غلواً : جاوز حدَّه ، وفي التنزيل : ﴿ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ (٣) .

ولقد ورد الغلو في الشرع بنفس معنى مجاوزة الحد ، فقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إلا الْحَقَّ ﴾(٤).

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ (٥)

فنهاهم عن تجاوز الحد في اتباع الحق وتعظيم عيسى - عليه السلام - حتى يرفعوه إلى منزلة فوق التي أنزلهُ الله إياها .

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٨٧ ، ٣٨٨) .
(٢) الصحاح (٦/٢٤٤٨).
(٣) لسان العرب (١٥/١٣٢).
(٤) النساء : ١٧١ .
(٥) المائدة : ٧٧ .

وقد حذَّر النبي ﷺ من الغلو في الدين وتجاوز الحد فقال ﷺ : « **يا أيها الناسُ إياكُمْ والغُلُو فإنَّه أهلكَ مَن كَانَ قبلَكُم الغُلو فِي الدينِ** » (١) ، والغلو في الدين هو التشدد ومجاوزة الحد .

وقريبٌ من معنى الغلو معنى الإفراط ، فإنه أيضًا بمعنى التقدم ومجاوزة الحد في الأمر .

قال ابن فارس : « الفاء والراء والطاء أصلٌ صحيحٌ يدل على إزالة الشيء عن مكانه وتنحيته عنه . . . إلى أن قال : ثم يقال : أفرط إذا تجاوز الحدَّ في الأمر ، يقولون : إياك والفرط : أي لا تجاوز القدر وهذا هو القياس ، لأنه إذا جاوز القدر فقد أزال الشيء عن وجهته » (٢) .

وقال الجوهري : « وأفرط في الأمر : أي جاوز فيه الحدَّ » (٣) .

وقال ابن منظور : « والإفراط : الإعجالُ والتقدم ، وأفرط في الأمر ، أسرف . والإفراط : الزيادة على ما أُمِرْتَ » (٤) .

من هنا يتضح لنا الموافقة بين لفظي الغلو والإفراط ، فكلاهما هو مجاوزة الحد ، والزيادة على الأمر بما يصرف الشيء عن وجهته ، وهذا نفس المعنى الشرعي لهما .

وكما قلنا فإن أهل الغلو والإفراط هم الطرف الذي يقابل أهل التفريط والجفاء ، فأولئك هم المقصرون في اتباع الأمر المنحرفون عنه ، وهؤلاء المذكورون هم الزائدون على ما أُمروا به من شرع الله تعالى .

وكما سبق الحديثُ والآيتان في التحذير من الغلو والنهي عنه ، وكذلك فإن النبي

(١) صحيح ابن ماجه (٢/١٧٧) .
(٢) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٠) .
(٣) الصحاح (٣/١١٤٨) .
(٤) لسان العرب (٧/٣٦٩) .

ﷺ قال : « هَلَكَ المتنطِّعُونَ » ثلاثاً [1] . قال العلماء : هم المتشددون فى غير موضع التشدد .

فكما أن أهل التفريط والجفاء على شفا الهلكة ، فكذلك أهلُ الغلو والإفراط على شفا الهلكة أيضًا .

فالأولون لم يفعلوا ما أمروا به ، والآخرون زادوا عما أُمروا به ، وكلا الفريقين مجانبٌ لسنة المصطفى ﷺ ، وكثيرٌ من الطوائف أهل الضلال قد ضلوا من جهة الغلو ، فالسبئية الذين غَلَوا فى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - وزعموا فيه الألوهية ، كانوا من أهل الغلو ولاشك ، وكذلك الوعيدية الخوارج فإنهم أهل غلو ولا شك ، هذا مع العلم أن الخوارج هم أول فرق الضلالة ظهورًا فى الإسلام .

والنبى ﷺ قد حرص على إبعاد أى مظهر للغلو والقضاء عليه ، فإنه لما أتى إلى بيته ثلاثة نفر من أصحابه وسألوا عن عبادته ، فكأنهم تقالُّوها - أى رأوها قليلة- فقال الأول : أما أنا فأصومُ الدهر لا أفطر ، وقال الثانى : وأما أنا فأقوم الدهر لا أفتر ، وقال الثالث : وأما أنا فلا آكل اللحم ولا أتزوج النساء . فلما أُخبِرَ النبى ﷺ بخبرهم دعاهم فقال : « **أما أنَا فَأَصُومُ وأفْطُرُ ، وأَقُومُ وأَنَامُ ، وآكلُ اللَّحْمَ وأتزوجُ النِّسَاءَ ، فَمَن رَغِبَ عَن سُنَّتِى فَلَيْسَ مِنِّى** »[2] .

فهذا تحذير شديد منه ﷺ لأهل الغلو بأنه ﷺ برىءٌ من طريقتهم ومنهجهم ، ويستوى فى ذلك الغلو فى الاعتقادات والغلو فى الأعمال ، مع خطورة الأول ، وهذا الغلو يؤدى إلى تبديل شرع الله تعالى ، واتباع الهوى ، واتخاذه مشرِّعًا من دون الله تعالى .

لهذا فالواجب على كل أحد أن يحذر من الإفراط والتفريط ، والغلو والجفاء ، فكل ذلك من أسباب دخول النار ، والواجب على المسلم أن يتجنب كل ما يؤدى به إلى النار ، أو يفسد عمله وآخرته .

(1) رواه مسلم (2) رواه البخاري ومسلم .

القسم الثالث

أهل السنة والطريقة الوسط

وبين هذين الفريقين وذينك الطرفين يأتى الفريق الثالثُ من الناس ، وهم أهل السنة والجماعة ، الوسطُ بين هذه الطرق ، وهذا يجرُّنا إلى الكلام عن هذا الصنف ، وعن معنى الوسط ، فأقول ومن الله تعالى العون والتوفيق .

وأبتدئ بالكلام عن معنى الوسط فأقول :

الوسطية فى اللغة من (وَسَطَ) ومادة وسط تدل على معانٍ متقاربة .

قال ابن فارس : « الواو والسين والطاء بناءٌ صحيح يدل على العدل والنصف ، وأعْدَلُ الشىء أوسطه ووسطه » [1] .

وأما الوَسْط بسكون السين فإنه ظرف بمعنى بين ، يقال : جلست وسْط القوم ، أى : بينهم .

وتأتى كذلك لمعانٍ متقاربة ، فهى بمعنى الأفضل والخيار والأجود ، وهي اسم لما بين طرفى الشىء وهو منه ، وتأتى بمعنى العَدْل ، والشىء بين الجيد والردىء ، وكل هذه المعانى متقاربة ، ويستفاد منها أن الوسطية ، هى العدالة والخيرة والتوسط بين الإفراط والتفريط .

وهذه المعانى هى التى يدور حولها وبينها معنى الوسطية فى لسان الشرع .

قال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [2]. ومعنى الوسط هنا ، أى العدل ، كما ورد فى البخارى. وقيل : الخيار والأجود .

وفسرها ابن جرير بأنها الوسط بن الإفراط والتفريط

(1) مقاييس اللغة (6/108) . (2) البقرة : 143 .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴾ [١] ، ومعناه هنا أعدلهم وأخيرهم .

وقال النبى ﷺ فى شأن الفردوس من الجنة . قال: « فإنَّهُ أَوْسَطُ الجنَّة .. »[٢] .

قال ابن حجر فى شرح الحديث : المراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل .

وقال أبو بكر - رضى الله عنه - يوم السقيفة فى تفضيل قريش : « هم أوسط العرب نسبًا ودارًا » [٣] ، أى خيرهم ، فمن كل هذا يتضح أن خير الطرق وأعدلها هى طريقة أهل السنة والجماعة ، فهم خير الفرق وأعدلها ، وهم شامةٌ فى أهل الإسلام ، كأهل الإسلام فى الأديان وأكثر .

بل قال بعض السلف : « أهل السنة فى أهل الإسلام أعزُّ من أهل الإسلام فى سائر الأديان » .

فأهل السنة قد هداهم الله - تعالى - إلى المنهج الوسط لما اختلف الناس فيه ، كما قال تعالى : ﴿ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٤] .

والسنة تطلق ويراد بها معان كثيرة ، فقد يراد بها مجرد الطريق والمنهاج ، وقد يقصد بها طريقة النبى ﷺ ، وقد يراد بها المندوب دون الواجب كما هو إطلاق الفقهاء ، وغير ذلك . لكننا نعنى تلك الطائفة التى تمسكت بما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه وتابعوهم بإحسان فوفقهم الله - تعالى - إلى إصابة الحق والسداد ، فصاروا خير فرق أهل الإسلام وأعدلهم وأشرفهم ، بل هم الفرقة الناجية التى ثبتت فى شأنها الأحاديث عن رسول الله ﷺ ، ومن عداهم فإنما هم فرق الضلالة ، والدعاة على أبواب جهنم مَنْ أجابهم إليها قذفوه فيها ، كما ثبت وصفهم بذلك فى حديث حذيفة رضي الله عنه عند البخارى وغيره ، وأهل السنة شهداء على فرق الإسلام كما أن أهل الإسلام شهداء على غيرهم من الفرق .

(١) القلم : ٢٨ .
(٢) رواه البخارى (٢٧٩٠) .
(٣) رواه البخارى (٦٨٣٠)
(٤) البقرة : ١١٣ .

وأهل السنة وسطٌ بين أهل الإسلام فى كل شىء كما سنرى :

١ - فهم فى باب أسماء الله وصفاته وسط بين الجهمية النفاة ، والمشبهة الغلاة ، لم ينفوا عن الله ما سمى أو وصف به نفسه ، أو أثبت له رسوله ﷺ ، ولم يشبهوا الله تعالى بخلقه ، بل جمعوا بين الإثبات والتنزيه فهم وسط فى هذا الباب ، بل هم خيرُ الفرق وأعدلها وأتبعها للحق .

٢ - وهم وسط فى باب الإيمان بين المرجئة الذين يؤخرون العمل عن الإيمان ، ويرون أن المعاصى لا تضر مع الإيمان ، وبين الوعيدية من الخوارج ونحوهم الذين يكفرون المسلم بالمعاصى ، ويحكمون له بالخلود فى النار ، وللأسف فما زالت لهم بقيةٌ فى زماننا ، وما زال هناك من يحيى سنتهم ، ويسير على منوالهم فى بلاد المسلمين فى زماننا ، فهذه البدع لم تندثر كما يظن البعض ، وإنما هى موجودة ولها أذيالٌ ودعاةٌ فى كل زمان ومكان .

٣ - وهم وسط فى باب الصحابة بين الروافض الذين غَلَوا فى حب علىّ بن أبى طالب - رضى الله عنه - وآل البيت ، وكفّروا عامة الصحابة إلا قليلاً ، وبين النواصب الذين يتبرءون من آل البيت ، ويسبونهم .

٤ - وهم وسطٌ فى باب القدر بين الجبرية الذين نفوا إرادة العبد بالكلية، وجعلوه مكرهًا على المعصية، فنسبوا الله - تعالى - إلى الظلم ، وبين القدرية الذين جعلوا للعبد إرادة مستقلة عن إرادة الله وجعلوه خالق فعل نفسه ، لكن أهل السنة هُدُوا للحق وكانوا وسطاً فأثبتوا للعبد إرادة واختياراً غير أنها داخلةٌ فى إرادة الله تعالى.

٥ - وهم وسط كذلك فى باب الأولياء بين أهل الغلو من المتصوفة ونحوهم الذين غَلَوا فى الأولياء ورفعوهم إلى منزلة الألوهية ، بل والربوبية ، وبين من ينتقصونهم ويحقرونهم ويستطيلون عليهم .

أعود وأقول : إن سنة النبى ﷺ كانت وسطًا فى كل شىء ، فى الاعتقادات والأفعال ، فالنبى ﷺ كان بشراً ، عبداً رسولاً ، يأكل كما يأكل العبد ، ويشرب

كما يشرب العبد وينام كما ينام العبد ، يتبلغ من الطعام باليسير ، ويعيش الشهرين لا يتزود إلا بالتمر والماء .

وكان يتزوج ويتسرَّى ويـنجب ويمازح أصحابه ويجالسهم ، ومـع هذا كان بالليل يقوم حتى تـتفطر قدماه من طـول القيام ، يبكى حتـى تخضـل لحيته وتـقطر دموعه على الأرض ، وكان عند الجهاد فى أول الصفوف ، يحتمى به أصحابه من الأعداء ، ويتترسون به ﷺ ، وكان يذكر الله على كل أحيانه .

وكان يأمر أصحـابه بالتيسير على الـناس ، والتبشير ، ويغضـب أشد الغضب إذا رأى منهم التعسير على الناس وفتنتهم فى دينهم ، ومع كل هذا فقد كان لا يتهاون فى حدود الله تعالى ، بل يغضب أشد الغضب إذا انتهكت حرمات الله تعالى ، فينتقم لله عز وجل ، ويحذِّرُ الناس من التهاون فى أمور الدين والتساهل فيها .

فقد كان ﷺ وسطًا فى كل شىء ، تجلـت فيه عظمة الرسول الإنسان ، الذى عرف باع الناس ، وطاقاتـهم ، وأتاهم بشريعة سمحة ، ليس فيـها تشديد ولا غلو ، ولا يكلفون فيها فوق طاقتهم ، كما قال تعالى .

وهكذا كان أصـحابه ﷺ اقتفوا أثره ﷺ ، واقتـدوا بسنته ، ثم التـابعون من بعدهـم ، وهكذا تابعـوهم بإحسان إلى يـوم القيامة ، عـصمهم الله - تعـالى - من الوقوع فى الغـواية ، وسلوك طرق الضلالة ، فـكانوا حقاً الفرقة الناجية ، والجماعة الوسط التى قامت بالسنة ودعت إليها .

فالواجب على كل مسلم قرأ هذه المقالة ، أن يوطِّن نفسه على لزوم السنة دائمًا ، والبعد عن البدع وأهلها واجتنابهم والتحذير منهم ، وأن يحذَرَ الوقوع فى البدع والضلالات سواءً كانت من جهة الإفراط والغلو ، والتشـدد فى الدين ، أم كانت من جهة التفريط والجفاء والتهاون بأمـور الدين ، فكل هذا من طرق الضلالة ، ومهـما كَثُرَ الدعاة إلى البدع ، وتسلحوا بالشبهات والحجج فإن الحق واضح ، وحجتهم داحضة عند ربهم .

فالاستمـساك عبادَ الله بالسـنة ، وبهدى السلف الـصالح فى الاعتقـادات والعمل

والسلـوك والأخلاق ، فقد كان خيـر القرون وأفضل الأجيـال ، وكانوا على الطـريقة الوسط ، وعلى الصراط المستقيم ، والحذر الحذر من كل ناعق وداع إلى خلاف السنة ، من أهل الغلو أو أهل الجفاء .

وتذكروا دائمًا قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾[1] .

قال الإمام الأوزاعـى رحمه الله تعـالى : « عليـك بآثار مَنْ سلـفَ وإن رفضك الناسُ ، وإياك وآراء الرجال ، وإن زخرفوه لك بالقول » .

وقال أيضًـا : « عليك بطـرق الهدى ولا يضرنَّك قـلة السالكـين ، وإياك وطرق الضلالة ولا يغرنَّك كثرة الهالكين » .

وفى الختام أسأل الله - تعالى - أن يجعلنـى وإياكم من الأمة الوسط ، أهل السنة والجماعة ، وأن يلهمنى وإياكم رشدنا ، ويجعلنـا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أقول قولى هـذا وأستغفر الله لى ولكـم . وصلى الله وسلـم وبارك على نبينـا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

(١) النساء : ١١٥

المبحث الرابع

وجوب اتباع عقيدة السلف ومذهبهم

فإن السلف الصالح هم أسبق الناس إلى الخير ، وأقلهم تكلفًا ، وأعمقهم فهمًا ، وأعلمهم بالكتاب والسنة ، هم الذين ساسوا الدنيا بالدين ، رضى الله عنهم ، وأمرنا باتباعهم ، ومن المعلوم أن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها ، وهم سلفنا الصالح ، لذلك كان هذا الموضوع ، فأقول مستعينا بالله :

أولاً : من هم السلف ؟

السلف : هم الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة والذين اتبعوا طريقهم ، كالأئمة الأربعة : أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وغيرهم من أئمة الدين والهدى .

ثانياً : السلف كانوا على عقيدة واحدة :

لم يكن بين السلف - ولله الحمد - نزاع فى مسائل أصول الدين ، بل هم متفقون فى منهج التلقى ، والإيمان بكل ما ورد فى الكتاب والسنة الصحيحة من مسائل العقيدة ، فهم متبعون لأصحاب النبى ﷺ حيث لم يسأل أحد منهم عن كيفية أسماء الله وصفاته ، وهم الذين سألوا عن اليتامى والأنفال والأهلة والخمر والميسر والحيض ، وغيرها من الأمور التى لا تدنو مرتبة العلم بها من مرتبة العلم بأصول الدين وهو معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ، ولو أنهم جهلوا معانيها أو مستهم ريبة فى شأنها لسألوا رسول الله ﷺ ، ولا يسوغ أن نتصور أنهم سألوا عن الفروع كما سبق ولم يسألوا عن الأصول التى لا يفقهون معناها ، ولكنهم فى الحقيقة قد فهموا هذه المعانى على وجهها الصحيح لكنهم فهموا كذلك التنزيه ، تنزيه الله تعالى عن الشبيه والمثيل ، ولم يروا تعارضًا بين إثبات معنى الاسم والصفة وبين تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه .

ثالثًا : لماذا عقيدة السلف ؟

لقد ذهبت الأهواء بالناس كل مذهب ، وتفرقوا فى دينهم ، ودخل عليهم كثير من البدع والعقائد الفاسدة ، ولكن لا يعصم من هذا كله إلا التمسك بعقيدة الكتاب والسنة ، عقيدة السلف الصالح ، من الصحابة والتابعين ، أهل السنة والجماعة ، الفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة ، وذلك لما يلى :

الأول : أن الله تعالى شهد لهم برضوانه هم ومن اتبعهم فقال : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾[1] فدل بذلك على صحة عقيدتهم ومنهجهم .

الثانى : أن الله تعالى توعد بالعذاب من اتبع غير سبيل السلف الصالح فقال : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾[2] فدل بذلك على أنهم كانوا على الحق .

الثالث : أن النبى ﷺ أمر بالأخذ بسنة أصحابه فقال : « **فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة** »[3] .

وقد كان الصحابة والتابعون أسبق الناس إلى كل خير ، وأشدهم اتباعًا للسنة وأبعدهم عن التكلف والابتداع فى الدين ، فلذا وجب على مريد الحق أن يسلك سبيلهم ، وينهج منهجهم ، حتى يلحق بهم .

لذلك فإنا نقول : إن العقيدة السلفية هى الحق ، وكل ما خالفها ، فهو باطل ، نعوذ بالله من الخذلان واتباع الهوى ، ونسأله التوفيق لما يحب ويرضى .

---

(١) التوبة : ١٠٠ .
(٢) النساء : ١١٥ .
(٣) رواه أبو داود وغيره

رابعاً : القرآن والسنة بيان لكل شىء :

ولقد قال تعالى فى حق رسوله ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾[1] فدلت هذه الآية على أن الله تعالى بين للناس على لسان رسوله ﷺ كل ما يحتاجون إلى بيانه من مسائل أصول الدين وفروعه فى الأحكام والشرائع والآداب وغيرها ، ولم يتركهم – سبحانه وتعالى – لأهوائهم وآرائهم أو لأقيستهم وتوهماتهم ، بل بين لهم كل ذلك بياناً لا يسع أحداً جهله وذلك تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [2] .

خامساً : شبهات لبعض المخالفين لعقيدة السلف :

وقد زعم بعض الناس أن أدلة القرآن خطابية تثير العاطفة ، ولكن لا تقنع العقل ، وأنها لا تفيد يقينًا ، ولا تفيد حصول الطمأنينة ، فابتدعوا لذلك استدلالات أخرى تخالف طريقة القرآن ، فلذلك قدموا العقل على النقل ، لأن أدلة النقل – بزعمهم – ظنية ، وأما أدلة العقل فإنها – بزعمهم – قطعية ، وهذا يلزم منه الكفر الصريح بكثير من الآيات القرآنية ، والكفر بأن محمداً ﷺ بين الآيات وعلم الحكمة والكتاب ، وأن ما جاء به يزكى القلب والنفس والعقل ، وكل هذا أدى بهم إلى هجر القرآن ، ونبذ السنة وتمجيد البدعة ، ولاشك أن هذا من أشد البدع فتنة ، وفتكاً باليقين ، وزعم الذين ابتدعوا ذلك المنهج ، أن تعلم هذه الطريقة هو أول واجب على المكلف ، فقالوا بأن أول واجب على المكلف القصد إلى النظر أو الشك ، وزعموا أن من لم ينتهج هذه الطريقة فليس بمؤمن ، وهذا ما حدا ببعض غلاتهم إلى أن كفَّروا عوام المسلمين لعدم سلوكهم هذه الطريقة فى الاستدلال .

(١) الجمعة : ٢ .   (٢) النساء : ١٦٥

واستطاعوا أن يسيطروا على عقول الكثير من الناس بسحر دعواهم ، التى يزعمون فيها أنهم على عقيدة أهل السنة والجماعة ، واستطاعت كتب متأخرى أهل الكلام أن تستحوذ على عقول كثير من المنتسبين إلى العلم ، حتى ساد القول : (إن العدول عن مذهب الأشعرى ولو فى قيد شبر كُفر ، ومباينته ولو فى شىء نزر ضلال وخُسر) .

فجثم على صدور وقلوب أجيال ، خلال قرون متطاولة ، وحرم على طلبة العلم أن يستقوا عقائدهم من القرآن والسنة ، وبلغت الصفاقة والوقاحة بأولئك إلى أن قالوا : (طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم) ويكفينا مقولتهم هذه دليلاً على مباينتهم لمنهج السلف وعدولهم عنه .

والحقيقة أننى أعجب من أولئك الذين يدعون الإسلام ، وهم يزعمون أن فن الكلام أسلم وأحكم وأعلم وأعلى من كلام الله تعالى .

بل إنهم جعلوا من كلام الرازى والآمدى والغزالى والنسفى والإيجى والماتريدى وغيرهم من أساطين الكلام ، جعلوا من كلام هؤلاء حاكمًا على كلام الله ، بل لا أدرى كيف ساغ لهم أن يجعلوا العقل وهو المخلوق القاصر ، جعلوه قيمًا على الله تعالى وأسمائه وصفاته ؟.

سادساً : نصيحة باتباع منهج السلف :

فى الحقيقة فأنا أوجه هنا سؤالاً لكل من سوَّغوا الانحراف عن عقيدة السلف ومنهجهم وهو : هل مَنَّ الله علينا بنعمة العقل لكى نتخذه وسيلة إلى سب الله تعالى وشتمه والتطاول على مقامه الجليل ، ثم أى فرق بين ما دعا إليه هؤلاء وبين ما عليه إبليس حينما دعاه الله إلى السجود لآدم فأبى واستكبر وكان من الكافرين ؟.

لقد آن الأوان لأولئك كى يرجعوا إلى الطريق القويم ، ويسلكوا الصراط المستقيم ، الذى سلكه سلفنا الصالح فى الدعوة إلى الله ، فهدوا بالقرآن العرب والعجم ، ووجدوا له آلاف الأنصار المؤمنين به ، المقاتلين فى سبيل إعلائه ، وذلك من بين أهل الملل المختلفة ، والثقافات المتباينة .

فإن السلف الصالح قد نجحوا فى الدعوة إلى القرآن ، ليس بين العرب فقط ، ولكن بين غيرهم كذلك من أهل اللغات والثقافات الأخرى ، بما أصبح مثلاً يحتذى ، ونموذجاً لا يدرك ، وأساسًا لكل انتصار ، ولا يقولن أحد : إن طريقة السلف لا تصلح لهذا الزمان ، زمان الحضارة والتقدم ، ولا تهدى إلى الغاية، إن من يقول بهذا القول يجب عليه أن يقر بالحقيقة التى حاول هو خنقها حتى لا تنفضح ، ولكنها تقهره ، وهذه الحقيقة مضمونها أنه لا يؤمن بالقرآن ، ولا بمن أنزل القرآن .

آن الأوان لكى نقاوم التيار الجارف من أمواج البدع والإلحاد ، نقاومه بجيش مدرع ومسلح بأسلحة القرآن ، من عقائده وبراهينه واستدلالاته ، فبهذا الجيش القوى نستطيع أن نفتك بكل بدعة وخرافة ، بل سوف تنفتح قلوب الخلق جميعًا للإسلام ، على اختلاف أماكنهم ولغاتهم وثقافتهم .

إننا غداً موقوفون بين يدى الله - سبحانه وتعالى - وإنه - سبحانه وتعالى - سائلنا عما قضينا به لأنفسنا وللناس فى أمور العقائد والإيمان ، وهل اتبعنا طريقة الرسول وأهل الإيمان ، أم سلكنا طريقة إبليس وأهل الشك والنكران والطغيان من أهل هذه البدع .

إن الأمر جد خطير ، وإن وراءنا يوم عظيم الهول ، فالبدار البدار ، والرجوع

الرجوع إلى الله قبل فوات الأوان ، وقبل أن يقول القائل : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾[1] فيقال له : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[2] وحتى لا يذاد المبتدع عن حوض النبى - ﷺ - ويقال له : « سُحْقًا لمن بَدَّلَ بَعْدِى » .

وفق الله الجميع لما فيه رضاه وجعلنا دعاة إلى الخير هادين مهديين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

* * *

(١) المؤمنون : ٩٩ .
(٢) المؤمنون : ١٠٠

المبحث الخامس

تبرئة السلف من عقائد الخلف

فقد ظهر عند المتأخرين كلام غريب مذموم ، انتقصوا فيه من مقادير السلف الصالح رضى الله عنهم واشتهرت عندهم مقالات يفضلون فيها مذهب الخلف على مذهب السلف ، ويرمون السلف بالتقصير والقصور ، أو ينسبون إليهم عقائد ، هم منها براء ، كعقيدة التفويض وغيره . لذا فقد رأيت أن أتناول بالكلام هذا الجانب ، فأقول وبالله التوفيق :

أولاً : من هم السلف ؟

السَّلَفُ لغةً : كل من تقدَّم غيره ، فهو له سلف .

واصطلاحاً : هم أهل القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، الذين قال فيهم النبى ﷺ : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِى ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُم » (١) ، وهم خير القرون على الإطلاق بشهادة النبى ﷺ لهم بذلك .

ثانيًا : من هم الخَلَف ؟

لغة : هم من خلفوا غيرهم ، فكل من خلف غيره فهو له خلف .

واصطلاحًا : هم من أتى بعد أهل القرون الثلاثة المفضلة .

ثالثًا : من هم السلفيون ؟

لقد شاع مصطلح (السلفية والسلفيون) فى زماننا وانتشر ، حتى صار يرمز إلى فئة معينة من الناس ، وطائفة من الطوائف ، وهم المنتسبون فى مسائل أصول الدين وفروعه إلى السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم .

(١) فى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه .

فكل من عُرِفَ باتباع الكتاب والسنة ، والأخذ بمذهب السلف الصالح رضى الله عنهم ، من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين ، ولم يعرف عنه تظاهر ببدعة فى الدين ، أو مخالفة لمنهج السلف فهو سلفىٌّ مستحق لهذا الاسم .

رابعاً : من هم الخَلْف ؟

تقدم بيان معنى الخَلَف بفتح اللام ، وأما الخَلْف بسكونها فإنهم فئة من الخلف انحرفوا عن مذهب السلف وخالفوهم ، فهم خَلَف لأنهم جاءوا من بعد السلف ولم يتبعوهم وخالفوهم فى المنهج والمعتقد وهم خَلْف لأنهم اقتصروا على الانحراف عن منهج السلف .

وكلمة الخلْف بسكون اللام لم تأت فى القرآن إلا فى معرض الذم ، قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِن بعْدِهِمْ خَلْفٌ أضاعُوا الصَّلاة واتَّبعُوا الشَّهَوات ﴾(١) .

وقال عز وجل : ﴿ فَخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يأخذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى ﴾(٢) .

لذا فقد تبين أن الخلْف بسكون اللام لا يقصد بها إلا الخلف باعتبار المعنى السيء .

خامسًا : فضل السلف :

كان السلف – رحمهم الله تعالى – سباقين إلى كل خير ، متفقهين فى دين الله ، حافظين لكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، عاملين بهما ، وقد مدحهم الله تعالى بقوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ الله والذينَ مَعَهُ أشدَّاءُ عَلَى الكُفَّار رُحَمَاءُ بينَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن الله ورِضْوَانًا سيمَاهُمْ فى وُجُوهِهِم مِّنْ أثَرِ السُّجُود ﴾(١) .

(١) مريم : ٥٩ .
(٢) الأعراف : ١٦٩ .
(٣) الفتح : ٢٩ .

وقد أمر ﷺ باتباع سنة الخلفاء من أصحابه فقال : « .... **فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِن بَعْدِي ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذ ، وإيَّاكُمْ ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ** » (١) .

فتبين بهذا المدح لهم والأمر باتباعهم أنهم كانوا على الحق المبين ، وأن طريقهم هو الصراط المستقيم ، وأن الانحراف عن منهجهم هو السبيل إلى دركات الجحيم ، قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى ويَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ وسَاءَتْ مَصِيراً** ﴾ (٢) .

سادساً : دعاوى باطلة عند الخلف :

انتشر بين الخلف مقالات باطلة عن السلف ، منها قولهم : « طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم » وهذه كلمة باطلة أريد بها باطل ، ويلزم منها أمور خطيرة ، منها :

١ - أن النبى ﷺ قد قصَّر فى بلاغ الرسالة لأنه لم يعلم أصحابه .

٢ - القدح فى الصحابة ورميهم بأنهم حملة أسفار ليس عندهم علم ولا استنباط .

٣ - تفضيل الخلف على السلف بأنهم أعلم منهم .

وغير ذلك من اللوازم الخطيرة لهذه المقالة السيئة .

أضف إلى ذلك أنها مقالة متناقضة فى نفسها ، فكيف يكون منهج السلف أسلم وهم أقل علماً من الخلف - على حد زعم هؤلاء - بينما السلامة تستلزم العلم والحكمة ، وكيف يسلم الإنسان بغير العلم ؟ .

والذى دفعهم إلى هذه المقالة هو ظنهم أن السلف قد انتهجوا منهج التفويض فى أسماء الله تعالى وصفاته ، بمعنى رد العلم إلى الله تعالى فيها ، وعدم اعتقاد شىء

(١) أخرجه النسائى وغيره بسند صحيح .

(٢) النساء : ١١٥ .

معين فيها ، ولا حتى الظاهر منها ، ونسبوا هذا الاعتقاد إلى السلف فجزموا بأنهم مفوضة ، حتى قال الرازى فى بيان مذهب التفويض :

« حاصل هذا المذهب : أن هذه المتشابهات - يعنى نصوص الصفات - يجب القطع فيها بأن مراد الله تعالى منها شىء غير ظواهرها ، ثم يجب تفويض معناها إلى الله تعالى ، ولا يجوز الخوض فى تفسيرها . . . » (١) هـ .

ثم إنه نسب هذا المذهب إلى السلف ، وسيأتى بيان بطلان هذه النسبة .

قال الغزالى : اعلم أن الحق الصحيح الذى لا مراء فيه عند أهل البصائر ، هو مذهب السلف ، أعنى الصحابة والتابعين - رضى الله عنهم أجمعين - ثم قال : حقيقة مذهب السلف - وهو الحق عندنا - أن كل من بلغه حديث من هذه الأخبار من عوام الخلف يجب عليه سبعة أمور ، التقديس ، ثم التصديق ، ثم الاعتراف بالعجز ، ثم السكوت ، ثم الكف ، ثم الإمساك ، ثم التسليم لأهل المعرفة ، إلى أن قال : « والاعتراف بالعجز : أن يقر أن معرفة مراده ليس على قدر طاقته ، وأن ذلك ليس من شأنه ، وحرفته . . . » (٢) إلى آخر ما قال .

فأنت ترى أنه قرر أن المراد من نصوص الصفات غير معلوم ، وهذا هو التفويض ، افترى فنسبه إلى السلف ، وأنت على موعد ببيان بطلان هذه النسبة ، كما سيأتى قريبًا .

ومن قرر هذا المذهب أيضًا ابن الجوزى ، كما فى صيد الخاطر له (٣) ، ونسبه إلى السلف أيضًا الشهرستانى (٤) .

(١) أساس التقديس (ص ٢٣٦) ، بتصرف يسير .

(٢) عن كتابه : إلجام العوام بواسطة نقل السفارينى فى لوامع الأنوار (ص ٢٦٢ ج ١) .

(٣) انظر : صيد الخاطر (ص ٩٦ - ٩٧) .

(٤) علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين (ص ٧٥) .

وأهل التفويض هم أهل التجهيل ، وإنما سموهم ذلك لنسبتهم السلف إلى الجهل بمعانى نصوص الصفات ، بل نسبوا الرسول ﷺ إلى ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم فى هذا الباب على سبيل الاستقامة ، وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف ، أهل التخييل ، وأهل التأويل ، وأهل التجهيل . . . إلى أن قال :

وأما الصنف الثالث ، وهم أهل التجهيل ، فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف يقولون: إن الرسول ﷺ لم يعرف معانى ما أنزل الله إليه من آيات الصفات ولا جبريل يعرف معانى الآيات ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك ، وكذلك قولهم فى أحاديث الصفات : إن معناها لا يعلمه إلا الله ، مع أن الرسول تكلم بها ابتداء . . »[١] إلى آخر ما قاله - رحمه الله - .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « والصنف الثالث أصحاب التجهيل ، الذين قالوا : نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ، ولا يدرى ما أراد الله ورسوله منها ، لكن نقرؤها ألفاظاً لا معانى لها ، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله ، وهى عندنا بمنزلة ﴿ **كهيعص** ﴾ [مريم:١]. و ﴿ **حم عسق** ﴾ [الشورى:١، ٢] ، و ﴿ **المص** ﴾ [الأعراف: ١]. فلو ورد علينا منها ما ورد ، لم نعتقد فيها تمثيلاً ، ولا تشبيهاً ، ولم نعرف معناه ، وننكر على من تأوله ، ونكل علمه إلى الله تعالى . وظن هؤلاء أن هذه طريقة السلف ، وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات ، ولا يفهمون معنى قوله: ﴿ **لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ [ص:٧٥] ، وقوله : ﴿ **وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [الزمر: ٦٧] ، وقوله : ﴿ **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾ [طه: ٥] ، وأمثال ذلك من نصوص الصفات »[٢] اهـ . وهو كلام نفيس فى شرح مذهب المفوضة ، وواضح كل الوضوح .

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٣١ - ٣٤).
(٢) مختصر الصواعق (١/ ٨١ ، ٨٢).

وما نقل عن بعض السلف كمالك بن أنس - رحمه الله تعالى - وغيره من قولهم : « الاستواء معلوم والكيف مجهول » فإنه لا يفهم منه تفويض العلم معنى الاستواء ، فإن الاستواء معلوم فى لغة العرب وعند السلف ، وهو العلو والاستقرار والارتفاع ، وإنما التفويض فى العلم بالكيفية فقط ، إذ لا تدرك حقيقتها بالرأى والعقل ، وأما حقيقة المعنى فالعلم به ممكن بمقتضى اللغة العربية ، التى نزل بها القرآن ، والقول بعقيدة التفويض ونسبته إلى السلف كذب وافتراء ، وهو مصادم لبيان القرآن كما فى قوله تعالى : ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ** ﴾[١] وقدح فى تبليغ الرسول ﷺ الدين ، قال تعالى: ﴿ **فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ﴾[٢] .

من هنا يتبين أن نسبة التفويض إلى السلف باطلة لا أساس لها من الصحة ، وكذلك فإن السلف أبرياء من مذهب التأويل الذى سلكه المتأخرون وقصدوه من خلال كلمتهم (وطريقة الخلف أعلم وأحكم) وهى فى الحقيقة أجهل وأضل .

فإن التأويل عند السلف يقصد به أحد أمرين :

الأول : عاقبة الشيء وما يئول إليه .

الثانى : التفسير وبيان معنى الكلام ، ولهذا سمى الطبرى تفسيره المشهور : (جامع البيان فى تأويل آى القرآن) .

أما معنى التأويل عند المتأخرين ، وهو صرف اللفظ عن المعنى الحقيقى الراجح لمعنى مرجوح لقرينة ، فهذا اصطلاح بعض المتأخرين لم يكن معروفًا عند السلف ، بل نشأ بين المتأخرين من بعض أهل الفقه والأصول وتسرب منهم إلى القواميس اللغوية المتأخرة ، فنقله ابن منظور (ت ٧١١) حكى هذا المعنى عن ابن الأثير والزبيدى فى تاج العروس يحكى هذا عن ابن الكمال وابن الجوزى ، كما وجد هذا الكلام مستعملاً بكثرة فى كتب المتأخرين من علماء أهل الكلام ، كما استعمله الغزالى

(١) القصص : ٢ . (٢) المائدة : ٩٢ .

فى (إلجام العوام) وابن رشد فى (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) ولم يذكر ذلك أحد من القدماء من المفسرين وغيرهم .

وانظر لسان العرب (١٣/ ٣٤) وتاج العروس (٧/ ٣١٥) والنهاية فى غريب الحديث (١/ ٢٨٠) وإلجام العوام (ص ٧٣) وفصل المقال (ص ١٩-٢٠) وابن تيمية وقضية التأويل (ص٤٥-٤٦) مما سبق يتبين براءة السلف من كل من التفويض والتأويل .

ومما ينبغى التنبه له أن أهل التأويل المذموم لم يقتصروا على تأويل الصفات فقط ، بل وامتد هذا التأويل إلى مسائل فى الأحكام ، وإلى أمور اليوم الآخر وغيرها ، فثبت بذلك أن أهل التأويل أهل ضلال وتضليل .

نسأل الله تعالى أن يحفظنا وجميع المسلمين على عقيدة السلف الصالح عقيدة ، العلم بالله وأسمائه وصفاته ، وتفويض علم الكيفية إليه عز وجل . والحمد لله رب العالمين .

* * *

المبحث السادس

الأدب مع رسول الله ﷺ

فإن من الواجب على كل مسلم أن يتأدب مع رسول الله ﷺ ، فإن هذا مما أوجبه الله تعالى على أهل الإسلام وافترضه عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

وكما قال تعالى: ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا.. ﴾(٢).

وهناك صور للأدب مع رسول الله ﷺ أوجزُها فيما يلى لكى يعلمها المسلم ويلزمها ، فتكون برهانًا على صدق محبته وصحة اتباعه للنبى ﷺ ، فأقول وبالله التوفيق : إن صور الأدب معه ﷺ كثيرة جداً ، منها :

أولاً : محبته - ﷺ - :

وهذا من أعظم الأدب معه- عليه الصلاة والسلام- فمحبته واجبة على كل مسلم ، وقد قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه لما قال له : « **يا رسُولَ الله لأنتَ أحَبُّ إلىَّ من كُلِّ شَىْءٍ إلا من نفْسي . فقال له : لا يا عُمَر ! حَتَّى أكونَ أحَبَّ إليكَ من نَفسكَ . فقَال عُمَر : فوالله لأنتَ أحَبُّ إلىَّ منْ نَفْسي . فقالَ لَهُ : الآنَ يا عُمَر** » (٣) ولهذا

(١) الحجرات : ١ - ٥ (٢) النور : ٦٣ . (٣) رواه البخاري وغيره

قال : « لا يؤمنَنَّ أحَدُكُم حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْه مِن ولَدِه ووَالِدِه والنَّاسِ أجْمَعِين »(١) .

فلا بد من تمكن محبته ﷺ فى القلب ، وهذا من مقتضيات الإيمان بالله تعالى ونبيه ﷺ ، غير أنه لا يجوز الغلو فى هذه المحبة بحيث تحمل على الوقوع فى مخالفة أمره ﷺ كما سيأتى الكلام عن ذلك إن شاء الله .

ثانياً : عدم الغلو فيه ﷺ :

وذلك لأن بعض الناس يغلو فى محبة النبى ﷺ ، فيحمله هذا الغلو على رفع النبى ﷺ إلى فوقة المنزلة التى أنزله الله إياها بل ورفعه إلى مصاف الألوهية ، بل والربوبية ، كما قال القائل :

يا أكرم الخلق ما لى مَنْ ألوذُ به ... سواك عند نزول الحادث العمم

إلى أن قال :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فإن هذا الغلو فى محبته - ﷺ - والذى أوقع فى إشراكه - ﷺ - مع الله تعالى فى علم الغيب ، وفى الملك والتصرف فى الكون وغير ذلك ، أقول : أين هذا من قوله : « **لا تَطْرُونِى كَمَا أطْرَتِ النَّصَارَى ابنَ مَرْيَمَ ، إنما أنَا عَبْدٌ فقُولُوا عَبْدُ الله ورَسُولُه** »(٢) . فينبغى التفطن لهذا الأمر ، وهو الموازنة بين المحبة وبين عدم الغلو ، فإن الغلو فى الحقيقة يتعارض مع المحبة ، وهذا لمن تفطن لهذا الأمر والله المستعان .

(١) رواه البخاري وغيره .
(٢) أخرجاه في الصحيحين

ثالثا : محبة الصحابة وآل البيت :

فإن من الأدب مع النبى ﷺ محبة أصحابه وآل بيته ، فمن أحبهم فبحب رسول الله ﷺ أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضه أبغضهم ، وكذا الترضى عنهم والترحم عليهم وعدم سب أحد منهم أو الوقوع فيه ، فهذا من محبته ﷺ .

رابعاً : الصلاة عليه ﷺ :

وهذا من أعظم الأدب معه - عليه الصلاة والسلام - أن يصلى المرء عليه كلما ذُكر أمامه ، قال تعالى: ﴿ **إنَّ الله وملائكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الذينَ آمنُوا صَلُّوا عَلَيْه وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾(١) والبخيل فعلاً من ذُكر عنده النبى ﷺ فلم يُصَلِّ عليه ، وهو مستحق للخيبة والخسران ، كما فى الحديث أن جبريل - عليه السلام - قال للنبى ﷺ : « **خَابَ وخَسِرَ مَن ذُكِرتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ ، قُلْ آمين ، فقال - عليه الصلاة والسلام - : آمين** » .

خامساً : اتباعه ﷺ :

والتأسى بسنته وعدم الإعراض عنها ، فإن الإعراض عن طاعته عليه الصلاة والسلام سوء أدب معه ، واتباعه وطاعته فرض حتم على المسلم كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّون اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾(٢) .

وجعل تعالى اتباع نبيه ﷺ عنوان الهداية وسببها فقال عز وجل : ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ ويدخل فى اتباعه طاعته فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع .

(١) الأحزاب : ٥٦
(٢) آل عمران : ٣١

سادساً : تصديقه ﷺ فيما أخبر :

وهذا من أعظم الأدب معه ، أن يصدق المرء بـأنه رسول من عند الله حقاً ، وهذا من لوازم شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ وقد أمّنه الله تعالى على خبـر السماء ، فوجب عـلينا تصديـقه فيما يخـبر به عن الله تعالـى ، وهذا من شروط الإيمان ، وأما تكذيبه عمدًا مع العلم ، فإنه كفر ناقل عن الملة ولا شك .

وهناك كلام مهم لابن القيم- رحمه الله تعالى- حول الأدب مع النبى - ﷺ - رأيت أن أنقله بكامله لما له من قيمة عالية ، ومعان جميلة ، قال - رحمه الله تعالى - فى مدارج السالكين (٢/ ٣٨٧) :

« وأما الأدب مع الرسول ﷺ فالقرآن مملوء به .

فرأس الأدب معه : كمال التسليم له ، والانقياد له ولأمره ، وتلقى خبره بالقبول والتصديق ، دون أن يحملـه معارضة خيال باطل يسميه معقـولاً ، أو يحمله شبهة أو شكاً ، أو يقدم عليه آراء الرجال ، وزبالات أذهانهم ، فـيوحده بالتحكيم والتسليم ، والانقياد والإذعان ، كما وحد المرسِل - سبحانه وتعالى - بالعبادة والخضوع ، والذل والإنابة والتوكل .

فهما توحيدان : لا نجاة للعبد من عـذاب الله إلا بهما : توحيد المرسل ، وتوحيد متابعة الرسـول ﷺ . فلا يحاكم إلى غيره ، ولا يرضى بحـكم غيره ، ولا يوقف تنفذ أمـره ، وتصديق خبره ، على عرضـة قول شيخه وإمامه وذوى مذهبـه وطائفته ومن يعظمه فإن أذنوا له نفذه وقبـل خبره ، وإلا فإن طلب السلامة : أعرض عن أمره وخبره وفوضه إليهم وإلا حرفه عن مواضعـه ، وسمى تحريفه تأويلاً وحملاً ، فقال : نؤوله ونحمله .

فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب عـلى الإطلاق - ما خلا الشرك بالله - خير له من أن يلقاه بهذه الحال .

ولقد خـاطبت يومـًا بعض أكابـر هؤلاء فقلت لـه : سألتك بـالله : لو قدر أن الرسول ﷺ حى بين أظهرنا ، وقد واجهنا بكلامه وخطابه أكان فرضاً علينا أن نتبعه من غير أن نعرضه على رأى غيره وكلامه ومذهبه ، أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعـقولهم ؟ فقال : بل كان الغرض المبادرة إلـى الامتثال من غير التفـات إلى سواه ، فقلت : فـما الذى نسخ هـذا الغرض عنا ؟ وبأى شـىء نُسخ ؟ فوضع أصبعه فى فيه ، وبقى باهتًا ومتحيرًا ما نطق بكلمة .

هذا أدب الخـواص معه لا مـخالفـة أمره والشـرك به ، ورفع الأصـوات وإزعاج الأعضاء بالصلاة عليـه والتسليم وعزل كلامه عن اليقين وأن يسـتفاد منه معرفة الله أو يتلـقى منه أحكـامه ، بل المعول فـى باب معرفة الله عـلى العقول المـنهوكة المتـحيرة المتناقضـة ، وفى الأحكام على تقليد الـرجـال وآرائها ، والقرآن والسنة إنمـا نقرؤهما تبركًـا ، لا أنا نتلقـى منهما أصـول الدين وفروعه ، ومـن طلب ذلك ورامه عـاديناه وسعينا فى قطع دابره ، واستئصال شأفته ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ * حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لا تُنصَرُونَ * قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ * أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾ (١) .

والناصـح لنـفسـه العامل على نجاتهـا يتدبر هذه الآيات حق تدبرها ويـتأملها حق

---

(١) المؤمنون : ٦٣-٦٤ . .

تأملها ، وينزلهـا على الواقع فيرى العجب ، ولا يظنها اختصـت بقوم كانوا فبانوا ، وإياك أعنى واسمعى يا جارة ، والله المستعان » .

ومن الأدب مع الـرسول ﷺ أن لا يتقدم بـين يديه بأمـر ولا نهى ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾(1) وهذا باق إلى يوم القيامة ولا ينسخ ، والتقدم بين يدى سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه فى حياتـه ، ولا فرق بينهما عند ذى عقل سليم . . . ومن الأدب معه : أن لا تـرفع الأصوات فوق صـوته ، فإنه سبـب لحبوط الأعمـال ، فما الظن بـرفع الآراء ونتائج الأفـكار على سنـته وما جاء به ؟ أتـرى ذلك موجبًا لـقبول الأعمال ، ورفع الصوت فوق صوته موجب لحبطهما ؟.

ومن الأدب معه : أن لا يجعل دعاءه كـدعاء غيره قال تعالى : ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾(2) وفيه قولان للمفسرين .

الأول منهمـا : أنكم لا تدعونه باسـمه كما يدعو بعـضكم بعضًا بـل قولوا : يا رسول الله، يا نبى الله ، فعلى هذا المصدر مضاف إلى المفعول ، أى دعاءكم الرسول .

الثانى أن المعنى : لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضًا ، إن شاء أجاب وإن شاء ترك ، بل إذا دعاكـم لم يكن لكم بُد من إجابته ولم يسعكم التخـلف عنها البتة ، فعلى هذا المصدر مضاف إلى الفاعل : أى دعاءه إياكم .

ومن الأدب معه : أنهم إذا كـانوا معه على أمر جامع ، من خـطبة أو جهاد ، أو رباط – لم يذهب أحد منهم مذهباً فى حاجـته حتى يستأذنه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ (3) فإذا كان هذا مذهباً مقيداً بحاجة عارضة ، لم يوسع لهم فيه إلا بإذنه

(1) الحجرات : 1
(2) النور : 63 .
(3) النور : 63 .

فكيف بمذهـب مطلق فى تفاصيل الـدين : أصوله وفروعه ، دقيقه ، وجـليله ؟ هل يشرع الذهاب إليه بدون استئذانه ؟ ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (1).

ومن الأدب معه : أن لا يستـشكل قوله بل تستشكـل الآراء لقوله ، ولا يعارض نصه بقيـاس بل تهدر الأقيسة وتبقى نـصوصه ، ولا يحرف كلامه عن حقيـقته لخيال يسميه أصحابه معقولاً . نعم هـو مجهول ، وعن الصواب معزول ، ولا يوقف قبول ما جاء به ﷺ عـلى موافقة أحد ، فـكل هذا من قلة الأدب مـعه ﷺ وهو عين الجرأة » اهـ .

وفى الختام فإننى أذكر كل المسلمـين بوجوب التأدب معه ﷺ ومراعاة حرمته ، وحفظ حقوقه ، وأن يقدم التأدب معه على الـتأدب مع سواه . وفق الله الجميع لما فيه رضاه وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

(1) الأنبياء : 7 .

المبحث السابع

اتباع الرسول ﷺ علامة على محبته

فإن كثيرًا من المسلمين قد غلب عليهم الجهل بدينهم ، وبحقيقة الإيمان الذى هو أوجب ما أوجبه الله عليهم ، وهو سبب نجاتهم فى الدنيا والآخرة ، فجهلوا مقتضيات هذا الإيمان والتى من أهمها وأخطرها شأنًا اتباع النبى - ﷺ - وتقديم قوله على قول كل أحد .

لذلك فقد رأيت أن أشير إلى هذا الموضوع باختصار ، فأقول وبالله التوفيق :

أولا - طاعة الرسول - ﷺ - من طاعة الله تعالى :

لقد بين - سبحانه وتعالى - فى كتابه الكريم وجوب طاعة نبيه - ﷺ - وأمر بهذا ، وجعل طاعته - ﷺ - من طاعته تعالى ، وتوعد من عصى أمره ﷺ بالخزى والعقوبة والعذاب ، فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿قُلْ أَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الكَافِرِينَ﴾[1] ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[2] وقال - عز وجل - : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُم وإن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ومَا عَلَى الرَّسُولِ إلا البَلاغُ المبينُ﴾[3] وبين ﷺ أن طاعته سبب فى دخول الجنة ، وأن معصيته سبب فى دخول النار، فقال عليه الصلاة والسلام: «كُلُّ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلا مَنْ أَبَى . قَالُوا : وَمَنْ يَأْبَى يَا رسُولَ الله ؟ قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الجنةَ ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى»[4] .

(١) سورة آل عمران الآية (٣٢)
(٢) سورة النساء الآية (٨٠) .
(٣) سورة النور الآية (٥٤) .
(٤) رواه البخاري وغيره .

وبهذا يتضح أن طاعة الرسول ﷺ واجبة أعظم الوجوب ، وأنها من طاعة الله - تعالى - وأن معصيته محرمة ، بل هى سبيل الفتنة والشرك ، قال تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أمره أن تُصِيبَهُمْ فِتنةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ﴾[1] .

ثانيا : وجوب تقديم قوله - ﷺ - على قول غيره :

من المعلوم بداهة من الدين أنه يجب تقديم قول الله ورسوله على كل قول ، وعدم معارضة قول الله ورسوله بقول أحد كائنًا من كان لهذا قال تعالى : ﴿يَا أَيهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بينَ يَدَى الله وَرَسُوله واتَّقُوا اللهَ إنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يَا أيهَا الذينَ آمنُوا لا تَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىِّ وَلا تَجهَرُوا لهُ بالقَوْلِ كجَهْرِ بعضكُمْ لبعْض أن تَحبَطَ أعْمَالُكُم وأنتُمْ لا تَشْعُرُونَ . إنَّ الذينَ يَغُضُّونَ أصْوَاتَهُمْ عندَ رَسُولِ اللهِ أولئكَ الذينَ امتحَنَ اللهُ قلوبَهُمْ للتقوَى لهُم مَّغْفرَةٌ وأجْرٌ عَظِيم﴾[2] .

فهذه الآيات توضح أن تقديم قول الله ورسوله على كل قول واجب على المسلم، بل هو من أعظم الواجبات المتحتمة عليه ، كذلك تبين حرمة تقديم قول غير الله ورسوله على قول الله ورسوله ، فإن هذا فى معنى رفع الصوت على النبى ﷺ ، وتبين الآيات وجوب الاستسلام لأمره ﷺ وحكمه.

أما الذين يقدمون قول فلان وفلان ورأى فلان وفلان على قوله ﷺ وحكمه، فإنهم جديرون باسم الضلالة ومستحقون للخسران المبين ، بل هم على شفا جرف هار يخشى عليهم أن ينهار بهم فى نار جهنم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول لكم : قال رسول الله ﷺ وتقولون : قال أبو بكر وقال عمر» .

يقصد رحمه الله - أنه لا يجوز معارضة قوله ﷺ بقول غيره كائنًا من كان ،

(١) سورة النور الآية (٦٣) .
(٢) سورة الحجرات الآيات (١ -٣)

ولو كان أجل أصحاب النبى ﷺ ، وإلا فأصحاب النبى ﷺ لا يتصور منهم معارضة قوله ﷺ عمدًا وعن قصد .

لذلك فإن من الواجب على المسلم ألا يقدم على قول رسول الله ﷺ قول أحد ، فإن قوله ﷺ إنما هو نقل عن الله تعالى ، فهو لا يأتى بشىء من عنده ، بل هو مبلغ عن الله – تعالى – كما قال – عز وجل – فى وصفه : **﴿وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى﴾**[1] .

ثالثًا : محبته ﷺ تقتضى طاعته :

لقد بين الله – سبحانه وتعالى – أن محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ، تقتضى ضرورة طاعة الله ورسوله ، واتباع أمر الله ورسوله ، وبيان أن هذا الاتباع وهذه الطاعة من لوازم المحبة ، فقال – سبحانه وتعالى – مخاطبًا نبيه ﷺ آمرًا إياه أن يخاطب الناس بهذا الخطاب : **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾**[2] .

فبينت هذه الآية الكريمة أن اتباع النبى ﷺ هو عنوان محبته ، ودليلها وبرهانها، قال الحسن رحمه الله : «زعم قوم أنهم يحبون الله – تعالى – فابتلاهم الله بهذه الآية» يعنى أنهم إذا كانوا صادقين فى دعوى المحبة لله ورسوله فإنهم سيبادرون إلى اتباع أمر الله ورسوله ، فيكون هذا الاتباع منهم دليلاً على المحبة ، وأما إذا عصوا الله ورسوله ، ولم يتبعوا أمره فسوف يتبين مدى كذبهم فى دعواهم هذه المحبة .

وقد قال الشاعر :

تعصى الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعَمْرى فى القياس بديعُ

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

---

(١) سورة النجم الآيتان (٣ ، ٤) .

(٢) سورة آل عمران الآية (٣١) .

فطاعة المحبوب ، والسعى فى طلب رضاه ، عنوان الصدق فى المحبة ، وصدق من قال :

وكل يدعى وصلاً لليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

وذلك لأنه لا يتصور بمن يحب الله ورسوله أن يستديم على معصية أمر الله ورسوله ﷺ .

فهذه مسألة مهمة جداً يجب على كل من يحب الله ورسوله أن يتفطن إليها وينتبه إليها .

رابعًا : مظاهر انحراف عند بعض مدعى محبة الرسول – ﷺ – :

لقد ذهب كل المنتسبين إلى الإسلام إلى ادعاء محبة النبى ﷺ ، والتمسح بهذه الدعوى ، لكن الكثيرين منهم لم يقدموا برهاناً على هذه الدعوى ، **فاكتفى** الكثيرون منهم بمجرد ادعاء هذه المحبة باللسان ، أو كتابة المقالات حول محبته ﷺ ، وعمل القصائد والمدائح فى مدحه ﷺ ، وذكر مناقبه وصفاته ومغازيه ، **فمن ذلك** ما مدح به البوصيرى النبى ﷺ فى بردته المعروفة حيث قال :

يا أكرم الخلق ما لى من ألوذ به ... سواك عند نزول الحادث العمم

وقوله :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فكيف تستقيم دعوى محبته ﷺ مع هذا الغلو فى شأنه ﷺ ورفعه فوق منزلته التى أنزله الله إياها .

ومن المظاهر الكاذبة لمحبته ﷺ ما يفعله كثير من المتصوفة وغيرهم من الاحتفال بمولد النبى ﷺ ، وبإقامة الحفلات لذلك ، لكنهم بالمقابل لا يعرفون شيئًا من سننه ﷺ ، ولا يقتدون به فى ما كان عليه ﷺ ، فهم لو كانوا صادقين فى

محبته ﷺ لاتبعوه واهتدوا بسننه ، أما عمل القصائد فى مدحه ﷺ ، أو الاحتفال بمولده ، ثم مخالفة أمره وهجر سننه ، والإعراض عن شريعته ، فإن هذا من التناقض الغريب ، ولذا فإن دعوى هؤلاء أنهم يحبونه ﷺ هى دعوى كاذبة ليس عليها دليل وبرهان ، بل إن واقع حالهم يكذبها ويشهد بضدها .

وفى الختام فإننى أوصى نفسى وجميع المسلمين ، ولا سيما العاملين فى مجال الدعوة الإسلامية وطلب العلم بأن يجتهدوا فى اتباع سنة النبى ﷺ والعمل على إحيائها بين الناس والتأسى به ﷺ ، فهذا فعلاً هو التعبير العملى والبرهان على صدق محبته ﷺ ، وهو الدليل على محبة الله تعالى ، وعلى تمكنها من القلب ، والله الموفق ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

المبحث الثامن
نواقض العقيدة السلفية

فهذه قوادح للعقيدة تذهب بأصل العقيدة أو كمالها .

فكما أن للصلاة والوضوء والصوم وغيرها من العبادات نواقض تبطلها ، فكذلك للعقيدة مبطلات تنقضها أو تنقص من كمالها ، وهى الآتى :

الناقض الأول
الكفــــر

(أ) تعريفه .

(ب) أنواعه .

(ج) أمثلة على ألفاظ وأفعال ، هى من الكفر .

(أ) تعريفه :

الكفر لغة : التغطية والستر .

الكفرشرعًا : ضد الإيمان - فإن الكفر عدم الإيمان .

(ب) أنواعه :

الكفر نوعان :

النوع الأول : كفر أكبر يخرج من الملة وهو موجب للخلود فى النار ، وهو خمسة أقسام :

القسم الأول : كفر التكذيب :

وهو الإخبار عن الحق بخلاف الواقع أو ادعاء أن الرسول ﷺ جاء بخلاف الحق ، ويدل عليه قوله سبحانه : **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾** (١).

(١) العنكبوت : ٦٨ .

القسم الثانى : كفر إباء واستكبار مع التصديق :

ذلك بأن يقر بما جاء به الرسول لكنه يرفض اتباعه استكبارًا وبطرًا واحتقارًا للحق وأهله ، قال تـعالى : **﴿وإذْ قُلْنَا للـمَلائكَـة اسْجُـدُوا لآدَمَ فَسَجَـدُوا إلا إبليـسَ أبى واستكبرَ وكان منَ الكَافِرينَ﴾** [1] .

القسم الثالث : كفر الشك :

وهو التردد فى اتبـاع الحق أو التردد فى الجزم بأنه حق ، فمـن تردد فى اتباع ما جاء به الرسـول أو جوز أن يكون الحق خلافه ، فـقد كفر كفر شك وظـن . والدليل قوله تعالى : **﴿ودخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَـالمٌ لنفْسه قَالَ مَا أظُنُّ أن تَبـيد هَذه أبَدًا . ومَا أظُنُّ السَّاعَةَ قائمـةً ولئن رُّددْتُّ إلَى ربِّـى لأجدَنَّ خيرًا مـنْهَا مُنـقَلَبًا . قـالَ لَهُ صَاحبُـهُ وهُوَ يُحَاوِرُهُ أكفرتَ بالذى خلقكَ مِن ترابٍ ثم مـن نطفةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً . لَكنَّا هُوَ اللهُ رَبِّى وَلا أشْرِكُ بربِّي أحدًا﴾** [2] .

القسم الرابع : كفر الإعراض :

وهو ترك الحق لا يـتعلمه ولا يعمـل به ، سواء كان أقوالا أو أفعـالا أو اعتقادًا جملة وتفصيلا . يقول تعالى : **﴿والذينَ كَفَرُوا عَمَّا أنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾** [3] .

فمن أعرض عمـا جاء به الرسول ﷺ من ربه بالقول ، كـأن يقول : لا أتبع ولا حاجة لى فى ذلك ، فهو كافر كفر إعراض .

القسم الخامس : كفر نفاق :

وهو إظهار مـتابعة ما جاء به الرسـول ﷺ مع رفضه وجحده بالـقلب ، قال سبحانه : **﴿ذلكَ بأنهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ على قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾** [4] .

---

(١) البقرة : ٣٤ .
(٢) الكهف : ٣٥-٣٨
(٣) الأحقاف : ٣ .
(٤) المنافقون : ٣ .

النوع الثانى : كفر أصغر لا يخرج من الملة ، وهى الذنوب التى وردت تسميتها فى الكـتاب والسنة كفـرًا ، وهى لا تصل إلى حـد الكفر الأكبـر ، مثل كفر النـعمة المذكور فى قوله تعالى : **﴿وضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْـمَئِنَّةً يَأتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فكَفَرَتْ بأنعم الله﴾** [1] .

ومثل الحلف بـغير الله ، قال ﷺ : **«مَنْ حَلَـفَ بغَيْرِ الله فَقَدْ كَـفَرَ أوْ أشْرَكَ»** رواه الترمذى وحسنه وصححه الحاكم .

(ج) أمثلة على ألفاظ وأفعال ، هى من الكفر :

أولاً : أمثلة على ألفاظ الكفر :

١ - سب الله تعالى ، أو سب دين الإسلام ، أو سب الملائكة أو أحدهم .

٢ - سب النبى ﷺ أو سب أحد الرسل .

٣ - الاستهزاء والسخرية بالله وملائكته أو رسله أو الدين .

٤ - من قال : أنا لا أخاف الله ، أو : أنا لا أحب الله تعالى .

٥ - من قال : إن بعض الناس يمكنه التصرف فى الكون كله أو بعضه .

ثانيًا : أمثلة على أفعال الكفر :

١ - السجود لغير الله .

٢ - الذبح لغير الله من صنم أو ولى صالح تعظيمًا له .

٣ - إلقاء المصحف وما فيه ذكر الله فى أماكن القذارة عمدًا وهو يعلم .

٤ - الحكم بغير ما أنزل الله تعالى معتقدًا جواز ذلك .

٥ - عمل السحر وتعلمه وتعليمه معتقداً جوازه .

* * *

---

(١) النحل : ١١٢ .

الناقض الثانى
النفـــاق

(أ) تعريفه .

(ب) أنواعه .

(ج) أمثلة على النفاق الاعتقادى والعملى .

(د) أثر النفاق على الفرد والمجتمع .

(أ) تعريفه :

النفـاق هو إظهار الإسـلام والخير وإبطال الـكفر والشر ، وعـلى ذلك نبـه الله تعالى: ﴿إِنَّ المنافقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ (١) .

أى الخارجون من الـشرع ، وجعل الله المنافـقين أشَرَّ من الكافـرين فقال : ﴿إِنَّ المنافقِين فِى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾(٢) .

(بَ) أنواع النفاق :

النفاق نوعان :

النوع الأول : النفاق الاعتقادى :

وهو النفاق الأكبر الذى يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر ، وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية وصاحبه فى الدرك الأسفل من النار .

النوع الثانى : النفاق العملى :

وهو عمل شىء من أعمال المنافقين التى لا تصل إلى الكفر ، مع بقاء الإيمان فى القلب ، وهذا لا يخرج من الملة ، ولكنه وسـيلة إلى ذلك ، وصاحبه يكون فيه إيمان مع بعض من خصال النفاق .

(١) التوبة : ٦٧ .

(٢) النساء : ١٤٥ .

(ج) أمثلة على النفاق الاعتقادى والعملى :

أولاً : أمثلة على النفاق الاعتقادى :

١ - أن يقول قـائل : أنا لا أصدق مـا أخبر به الـرسول عن كذا وكـذا من أمور الدين .

٢ - أن يكره الإنسان شيئًا مما جاء به الرسـول - عليه الصلاة والسلام - كالصيام أو الصلاة أو الحج أو زكاة المال .

٣ - أن يفرح الشخص بهزيمة المسلمين من المشركين فى معركة معينة .

٤ - أن يحزن الشخص عند انتصار المسلمين على المشركين .

ثانيًا : أمثلة على النفاق العملى :

١ - أن يعد الإنسان بشىء وفى نيته عدم الوفاء بهذا الوعد .

٢ - أن يحدث الإنسان ويكذب فى حديثه .

٣ - أن يؤتمـن الإنسان علـى شىء فيـخون الأمانـة، والدليل عـلى ذلك قـوله ﷺ : «آيةُ المنَافِقِ ثَلاثٌ : إذا حَدَّثَ كَذَبَ وإذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وإذا اؤْتُمِنَ خَانَ» (١) .

(د) أثر النفاقَ على الفرد والمجتمع :

إن للنفاق بنوعيه آثار سيئة وخطيرة جداً على الفرد والمجتمع ، فمن هذه الآثار:

١ - خروج الإنسان من الإسلام إذا كان نفاقه اعتقادياً ، ودخوله النار مع ثبوت أشد العذاب فى حقه ، كما قال تعالى: ﴿إِن المنافقِينَ فِى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ولَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾(٢) .

٢ - انتشار العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع .

٣ - ضعف المجتمع وتفسخه ، وعدم قدرته على مقاومة الأخطار المحيطة به .

* * *

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرها .

(٢) النساء : ١٤٥ .

الناقض الثالث
الشـــــرك

(أ) تعريفه .
(ب) لماذ ندرس الشرك؟ .
(ج) سبب وقوع الشرك .
(د) هل يقع الشرك فى هذه الأمة ؟ .
(هـ) أنواع الشرك .
(و) النوع الأول : الشرك الأكبر .
(ز) النوع الثانى : الشرك الأصغر .
(ح) الآثار السيئة للشرك على الفرد والمجتمع .

(أ) تعريفه :

الشرك هو مساواة المخلوق بالخالق فى ربـوبيته أو صفاته ، أو صرف العبادة إلى غيره .

(ب) لماذا ندرس الشرك ؟

ندرس الشرك ونتعرف عليه لعدة أسباب هى كما يلى :

١ - أن الشرك هو أعظم ذنب يقع من الإنسان وسبب للخلود فى النار .

٢ - أن التوحيد هو حق الله تعالى الواجب لـه ، ولهذا كان الشرك ظلمًا ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] .

(ج) سبب وقوع الشرك :

سبب وقوع الشرك فى بنى آدم عمومًا هو الغلو فى الصالحين ، كما قال تعالى : ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[2] .

(١) لقمان : ١٣ .
(٢) نوح: ٢٣ .

من هذا يتضـح أن من أخطر الأمور على التـوحيد الغلو فى شأن الـصالحين من الموتى .

(د) هل يقع الشرك فى هذه الأمة ؟

من غير شك أنه قـد وقع بالفعل فى هذه الأمة أنواع من الشـرك ، منها ما وقع منذ قرون وما زال موجودًا كالإشراك بالصالحين ، وصرف العبادة لهم والنذر والعكوف عند قبورهم من دون الله .

وقد ثبت عن النبى ﷺ الخبر بأن الشرك يقع فى هذه الأمة ، حتى فى أوضح صوره ، وهى عبـادة الأصنام ، فقد ورد عنـه ﷺ قوله : «لا تَقُـومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مَنْ أُمَّتِى بالمُشركين ، وحَتَّى تَعْبُدَ الأوْثَانَ ...»[1] .

(هـ) أنواع الشرك :

ينقسم الشرك إلى نوعين : أكبر ، وأصغر :

١ - الشرك الأكبر :

وهو الذى لا يغفره الله تعالى أبدًا كما قال تعالى : ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾[2] .

٢ - الشرك الأصغر :

وهو دون الشرك الأكبر ، كالرياء ونحوه ، وسيأتى الكلام عنه .

(و) النوع الأول من الشرك ، وهو الشرك الأكبر :

معنـاه : صرف شىء من العـبادة لغير الله ، كالخـوف من غير الله واعتـقاد أنه مالك للنفع والضر ، ومحبته كمحبة الله تعالى ، والذبح له وتعظيمه كتعظيم الله ، أو دعاء غير الله مع الله ، أو طاعته كطاعة الله تعالى ، أو قصد غير الله بأصل العمل .

(١) أخرجه الترمذى وأبو داود وابن ماجه والحاكم
(٢) المائدة : ٧٢ .

(ز) النوع الثانى من أنواع الشرك :

شرك أصغر لا يخرج من الملة لكنه ينقض التوحيد وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وذلك مثل دخول الرياء على العبادة أو الحلف بغير الله من غير تعظيم له ، أو تعليق التمائم ونحو ذلك .

(ح) الآثار السيئة للشرك على الفرد والمجتمع كثيرة ، منها :

١ - تعبيد الناس بعضهم لبعض من دون الله .

٢ - انتشار البدع والخرافات بين الناس .

٣ - أن الإنسان المشرك يتسبب بشركه هذا فى إحباط جميع عمله ، واستحقاقه للخلود فى النار .

٤ - أن المجتمع الذى ينتشر فيه الشرك يمتلئ بالفواحش والمعاصى ويشيع فيه الوهن والضعف النفسى والروحى نتيجة للتوكل على غير الله - تعالى - وطلب العون منه إلى غير ذلك من الآثار الكثيرة السيئة .

الكلام على صور من الأعمال الشركية الموجودة فى بعض المجتمعات :

١ - الرقى .

٢ - التمائم .

٣ - التبرك بالشجر والحجر ونحوهما .

٤ - ادعاء علم الغيب .

٥ - السحر .

٦ - الكهانة والعرافة .

٧ - التنجيم .

٨ - تعظيم الأضرحة والمزارات والتقرب إليها بالقرابين والنذور .

١ - الرقـــى :

(أ) معنى الرقية :

الرقى : جمع رقية ، وهى العوذة التى يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات ، وتسمى العزائم .

(ب) أنواعها وحكم كل نوع :

النوع الأول : الرقى المشروعة :

وهى ما كانت خالية من الشرك بأن يقرأ على المريض شىء من القرآن أو يعوذ بأسماء الله وصفاته فهذا مباح ، لأن النبى ﷺ قد رقى وأمر بالرقى وأجازها .

شروط الرقية الشرعية :

إن للرقية المشروعة شروطًا ذكرها أهل العلم ينبغى العلم بها والاهتمام والعمل على توفيرها عند الرقية . وهى أن تكون بالكتاب والسنة وباللغة العربية مع اعتقاد أن الله هو المؤثر .

كيفيتها :

أن يقرأ الآيات القرآنية أو الأدعية النبوية الواردة وينفث على المريض كما جاء فى حديث عائشة رضي الله عنها : «أن النبى ﷺ كان يقول للمريض : «**بِسْمِ الله تُرْبَةُ أرضِنَا بريقَةِ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بإذنِ ربنَا**»[1] .

النوع الثانى : الرقى الممنوعة :

وهى ما اشتملت على الشرك ، والتى يستعان فيها بغير الله من دعاء غير الله ، كالرقى بأسماء الجن أو بأسماء الملائكة والأنبياء والصالحين ، فهذا دعاء لغير الله وهو شرك أكبر .

(١) متفق عليه .

٢ - التمـــائم :

(أ) معناها : هى جمع تميمة وهى : ما يعلق بأعناق الصبيان لدفع العين ، وقد يعلق على الكبار من الرجال والنساء .

(ب) أنواعها وحكم كل نوع :

النوع الأول :

ما كان من القرآن ، بأن يكتب آيات من القرآن ، ويعلقها للاستشفاء بها ، فهذا النوع قد اختـلف العلماء فى حكـم تعليقه على قـولين ، والصحيح المنع لـعموم قوله ﷺ : «**إنَّ الرُّقَى والـتَّمَائِمَ والتِّـوَلَةَ شِرْكٌ**»(١) والتولة : شىء يصنـعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته.

النوع الثانى :

وهو ما كان من غيـر القرآن مما يعلق على الأشخاص ، كـالخرز والعظام والودع والخيوط والنعال والمسامير وأسماء الشيـاطين والجن والطلاسم ، فهذا محرم قطعًا وهو من الشـرك ، وقد يكون من الـشرك الأصغر ، وقد يـكون من الشرك الأكـبر ، وفى الحديث : «**مَنْ تعلَّقَ شَيْئًا وُكِّلَ إليْه**» (٢) .

(ج) موقف المسلم من الرقى والتمائم الشركية :

بعد أن أوضـحنا أن من الـرقى والتمائـم ما هو شرك ، يجـب علينـا أن نعرف موقف المسلم من هذه الأشياء ، لأنه من الواجب على المسلم المحافظة على عقيدته مما يفسدها أو يخل بها ، فلا يتعـاطى ما لا يجوز من الأدوية ، ولا يذهب إلى المخرفين والمشعوذين ليتعالج عندهم من الأمراض . لأنـهم يمرضون قلبه وعقيدته ، ومن توكل على الله كفاه ، فيجب التحذير منهم .

(١) حديث صحيح ، رواه أبو داود وابن مـاجه والحاكم ، والبغوى فى شرح السنة ، وانظر كلام الألبـانى فى الصحيحة ج١ حديث ٣٣١ .

(٢) حديث حسن ، رواه أحمد والترمذى والحاكم .

٣ - التبرك بالشجر والحجر ونحوهما :

(أ) معنى التبرك :

هو طلب البركة ، وهى ثبوت الخير فـى الشىء وزيادته ، ويكون ممن يملك ذلك ويقدر عليه ، وهو الله سبحانه .

(ب) حكم التبرك :

التبرك بالأماكن والآثار والأحجار والأشخاص أحياء وأمواتا لا يجوز .

وذلك لأن الصحابة لـما مروا بشجرة يتبرك بها الـكفار ويعلقون عليهـا أسلحتهم يسمونها ذات أنواط قالوا : يا رسول الله اجـعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . قال : «**الله أكبرُ ! إنَّهَا السُّنَنُ ، قلتم - والذى نفسى بيَدِه كَمَا قَالَتْ بَنُو إسْرَائيلَ لموسَى: اجْعَل لنَا إلهًا كمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**» (١) .

٤ - ادعاء علم الغيب :

(أ) المراد بالغيب :

هو ما غاب عن الناس من الأمور المستقبـلية والماضية وما لا يرونه ، وقد اختص الله بعلمه، قال تعالى : ﴿**قُل لا يَعْلَمُ مَن فى السَّمَوات والأَرْضِ الغَيْبَ إلا الله**﴾(٢) .

(ب) حكم ادعاء علم الغيب :

من ادعى علم الغيب بأى وسيلة من الوسـائل غير من استثناه الله من رسله فهو كاذب كافر .

(ج) صور ادعاء علم الغيب :

ادعاء الغيب قد يكون بواسطة صور متنوعة منها :

(١) رواه الترمذى وعبد الرازق وغيرهما من حديث أبى واقد الليثى ، وهو حديث صحيح .

(٢) سورة النمل : ٦٥ .

١ - قراءة الكف أو الفنجان بعد الشرب منه .

٢ - الكهانة ، وهى ادعاء علم الغيب وسيأتى الكلام عنها .

٣ - السِّحْر .

٤ - التنجيم .

وادعاء علم الغيب له صور أخرى .

٥ - السحـــر :

(أ) تعريف السحر :

هو عزائم وعقـد ينفث فيها ، ورقى وكـلام يتكلم به وأدوية وتدخـينات . وله حقيقة . ومـنه ما يؤثر فى القلـب والأبدان فيمرض ويقتل ويـفرق بين المرء وزوجه ، وتأثيره بإذن الله الكونى القدرى .

ولهذا قرنه الشارع بالشرك، حيث يقول النبى ﷺ : **«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الموبِقَات ، قَالُوا : وما هن ؟ قال : الإِشْرَاكُ بالله ... والسِّحْر»**[١] .

(ب) حكم السحر :

السحر كفر وشـرك يناقض العقيدة ويجب قـتل متعاطيه ، كما قتـل جماعة من أكابر الصحابة ﷺ السحرة .

ومما يدل على أن السحر كفر قول الله تعالى : **﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾** [٢] .

٦ - الكهانة والعرافة :

(أ) تعريف الكهانة والعرافة :

هما ادعاء علم الغيب ومعرفة الأمور الغائبة ، كالإخبار بما سيقع فى الأرض وما

(١) رواه البخارى ومسلم

(٢) البقرة: ١٠٢.

سيحصـل ، وعن مكان الشىء المـفقود ، وذلك عن طريـق استخدام الشيـاطين الذين يسترقون السمع من السماء ، كما قال تعالى : **﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾** [١] .

(ب) حكم الكهانة والعرافة :

تعاطى الـكهانة والعرافـة وإتيان الكاهن والعـراف حرام جداً وتصديقـهم كفر ، وذلك لأن الله - سبحانه وتعـالى - هو المنفرد بعلم الغيب ، فمـن ادعى مشاركته فى شىء من ذلك بكهانة أو غيرها أو صدَّقَ من يدعـى ذلك فقد جعل لله شريكًا فيما هو من خصائصه ، فعن أبـى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : **«من أَتَى كَاهِنًا أو عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ فَقَدْ كَفَرَ بما أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»**[٢] .

٧ - التنجيم :

(أ) تعريف التنجيم :

هو الاستدلال بأحوال النجوم على الحوادث الأرضية ، فيقولون : من تزوج فى نجم كذا وكذا حصل له كذا وكذا .

(ب) حكم المنجمين ومن يأتيهم :

قد يذهـب بعض الجهـال وضعاف الإيمان إلى هـؤلاء المنجمين فـيسألونـهم عن مستقـبل حياتهم وما يـجرى عليهم فيـه وعن زواجهم وغير ذلك ، ومـن ادعى علم الغيب أو صدَّق من يدعيـه فهو مشرك كافر ، وذلك للحديث السابـق فى التحذير من إتيان الكهنة والعرافين ، وكذلك الحديث القدسى : **«أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِى مُؤْمِنٌ بِى وكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله ورَحْمَتِه فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بى كافرٌ بالكَوَاكِب ، وأما من قال: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِى مُؤْمِنٌ بالكَوَاكِب»** [٣] .

(١) الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٢) حديث صحيح ، رواه أحمد والحاكم .

(٣) البخارى ومسلم .

٨ - تعظيم الأضرحة والمزارات والتقرب إليها بالقرابين والنذور :

تمهيد :

إن زيارة القبور قد تكون مشروعة وقد تكون محرمة ممنوعة ، فمن زار القبور بغرض الدعاء والاستغفار للموتى المسلمين أو الاعتبار بذكر الموت فهذه زيارة محمودة مشروعة ، وقد أذن النبى ﷺ للمسلمين فيها ، بل وكان يفعلها ﷺ كثيراً .

وأما الزيارة الممنوعة فهي أن يشد المسلم الرحال لأجل زيارة القبور ، لورود النهى عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة .

وكذلك زيارة القبور بغرض التبرك بها والدعاء للنفس عندها والطواف بها وغير ذلك من ذرائع الشرك .

(أ) معنى الأضرحة والمزارات والقرابين والنذور :

الأضرحة : هى القبور التى يعظمها الجهال .

المزارات : هى ما يزار من القبور والأمكنة والآثار ونحو ذلك بقصد التعبد .

القرابين : جمع قربان ، وهو ما يتقرب به من النذور والذبائح والأطعمة .

النذور : جمع نذر ، وهو ما يلزم الإنسان به نفسه من أنواع القربان .

(ب) حكم تعظيم الأضرحة والمزارات والتقرب إليها :

إن هذا الفعل محرم غاية التحريم ، وهو إشراك بالله تعالى ؛ لأنه صرف للعبادة لغير الله ، فلا ينبغى التقرب بشيء من العبادة لغيره .

ولهذا فقد نهى ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور ،فقال ﷺ : **«لَعَنَ الله اليَهُودَ والنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أنبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**[1] ، يحذر مما صنعوا .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

وقد وقع كثير من المسلمين فى أكثر البلدان الإسلامية فى هذه المخالفة الخطيرة ، فعظموا الأضرحة وقبور الصالحين ، فوقعوا فى الشرك الأكبر حيث أشركوا مع الله آلهة أخرى ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(ج) بعض الآثار الخطيرة لهذه البدع :

١ - شيوع الخزعبلات والخرافات والأفكار الرديئة .

٢ - انتشار الشرك بالله تعالى .

٣ - أكل أموال الناس بالباطل ، وذلك من جهة السدنة والحجبة القائمين على خدمة الأضرحة ونحوهم .

٤ - صد الناس عن سبيل الله تعالى .

هذا من أهم ما يقدح فى التوحيد ويناقضه ، والله أسأل أن يجنبنا ما يقدح ويذهب بعقيدة التوحيد ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

الفصل الرابع
تأملات ونظرات فى أعمال أهل البدع

المبحث الأول : البدعة تناقض عقيدة التوحيد .
المبحث الثانى : أثر البدعة فى الانحراف العقدى والانحطاط الاجتماعى .
المبحث الثالث : بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان .
المبحث الرابع : بدع تقع فى شهر رمضان .
المبحث الخامس : بدع فى صلاة التراويح .
المبحث السادس : بيان السنن والمبتدعات المتعلقة بعيد الفطر وشهر شوال .
المبحث السابع : البدع فى يوم الجمعة .
المبحث الثامن : مفاهيم خاطئة حول الأولياء .
المبحث التاسع : هل للأولياء تصرف فى الكون ؟ .
المبحث العاشر : دعاة التصوف .

المبحث الأول

البدع فى الدين تناقض عقيدة التوحيد

فإن النبى ﷺ قد بلَّغ أمته كل ما أوحاه الله تعالى إليه، فأكمل الله لهم الدين، وأتم عليهم النعمة ، ولم تعد بالناس حاجة إلى الابتداع فى دين الله تعالى ، ولهذا فقد حذَّر النبى ﷺ من البدع فى الدين بكل صورها ، فقال ﷺ مقرراً حكمًا عاماً مطلقًا : «**فإنَّ كُلَّ بدْعَة ضَلالَةٌ**» فثبت بهذا النص أنه ليست هناك بدعة غير ضلالة، بل كل ما كان بدعة فهو ضلالة ، والمقصود هنا البدعة الدينية ، سواء كانت فى العقائد ، أم فى العبادات ، أم فى غيرها.

وليس المقصود البدع فى العادات وغيرها مما يشمل الاختراعات التى جدَّت فى حياة الناس ، فإنها لا ينطبق عليها ذلك الحكم ، بل منها النافع ومنها الضار ، وإنما الكلام عن البدع الدينية .

وللأسف فإن كثيراً من أهل الأهواء ، أو الجهَّال من العامة وغيرهم ، يزعمون أنه ليست كل بدعة ضلالة ، وأن هناك بدعًا حسنة ، ويستدلون بقول عمر رضي الله عنه لمَّا رأى الصحابة اجتمعوا على إمام واحد فى قيام رمضان ، فقال : «نعمت البدعة هذه» فقالوا: إن هذا صريح من عمر فى أن هناك بدعًا حسنة ، وغاب عنهم أمور حول هذا الموضوع ، تكفى للرد عليهم ، وهأنذا أسوق تلك الأمور التى تكفى للدلالة على أن كل بدعة فى الدين سيئة وضلالة ، وأنه ليست هناك بدعة حسنة ، وأنه لا يجوز الابتداع فى الدين أبدًا فأقول :

١ - ورد النهى عن البدع عاماً لا يستثنى منه شىء ، والتحذير منها مطلقًا لا يخرج منه شىء فقال ﷺ : «**فإنَّ كُلَّ بدْعَة ضَلالَةٌ**» وقال مبطلاً جميع ما ابتدعه الناس فى دينهم : «**مَنْ أحْدَثَ فِى أمْرِنَا هَذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» وقال : «**مَنْ عَمِلَ**

عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» وليس من الأدب مع رسول الله ﷺ أن يقال بعد هذا الكلام : إن هناك بدعًا شرعية حسنة .

٢ - حذَّر السلف من البدع تحذيرًا عامًا كذلك ، فقال ابن مسعود ﷺ : «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم» وقال ابن عباس ﷺ : «عليكم بالاستقامة والأثر ، وإياكم والبدع» وقال ابن عمر ﷺ : «كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة» وقال الإمام مالك بن أنس : «من ابتدع في الإسلام بدعة ، ويراها حسنة ، فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة ؛ لأن الله يقول : **﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾**[1] فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها» وقال الشافعي رحمه الله : «من استحسن فقد شرع» فاستحسان البدعة تشريع من النفس والهوى وليس من عند الله تعالى ، وقد قال عز وجل : **﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾**[2] .

فهذا قليل من كثير مما ورد عن السلف في التحذير من البدع ووجوب ردها ، ولم تظهر بدعة دينية في عهد السلف إلا قامت طائفة منهم تردها وتدفعها ، وتوضح سنة النبي ﷺ للناس ، ولم نسمع أحدًا منهم يجادل ويقول : هذه بدعة حسنة فلا يجب ردها .

٣ - البدعة لا تقوم إلا على حساب سنة تركت مكانها ، أي هجرها الناس واستبدلوا بها تلك البدعة ، ولنا أن نتخيل ماذا يحدث لو كثرت البدع وطغت على السنن، ألا يصبح الدين والشرع دينًا وشرعًا غير ما جاء به الرسول ﷺ .

٤ - إن الابتداع في الدين معناه أن المبتدع قد وجد خللاً في الدين ، من نقص يستدعي الزيادة ، أو زيادة تستوجب الحذف ، وهذا أمر خطير جدًا ، فإنه استدراك

---

(١) المائدة : ٣ . (٢) الشورى : ٢١ .

على الله تعالى في شرعه ، ومن اعتقد جواز ذلك فهو كافر بالله تعالى ، والدين كامل لا يحتاج إلى تعديل بحال من الأحوال ، كما قال تعالى : **﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾**[1] وإلا فلو كان المبتدع لا يعتقد ذلك فكيف يسوغ لنفسه الابتداع في الدين ؟ .

٥ - قول عمر بن الخطاب ﷺ : «نعمت البدعة هذه» لا يقصد بها البدعة الشرعية وإنما اللغوية ، ولم يستحسن عمر بدعة دينية ، ويدل على ذلك أن عمر ﷺ كان من أبعد الناس عن البدع ، بل كان شديدًا جدًا على أي مبتدع ، شديدًا في إنكاره عليهم ، فلا يتصور مع ذلك أن يستحسن عمر بدعة فيها مخالفة لسنة النبي ﷺ ، وكذلك فإن الاجتماع في قيام رمضان على إمام واحد ، ليس بدعة ، بل قد ثبت من فعله ﷺ ، فإنه ﷺ قد صلى بالناس جماعة في قيام رمضان ، ثم لما كثر عددهم واجتمعوا خشي أن تفرض عليهم ، أو أن يظنوا وجوبها ، وذلك لأن زمانه كان زمان تشريع ، فلما توفي ﷺ وزال الخوف من ذلك اللبس رجع الحال إلى الجواز الذي دل عليه فعل النبي ﷺ أولاً ، وليس هناك نسخ .

فإن قيل : كيف سماها عمر بدعة ولها أصل في الدين ؟ قيل : سماها بدعة باعتبار اللغة ، فإنها لغة : ما وقع على غير مثال سابق ، لكنها هكذا تشمل المحمود والمذموم ، وأما باعتبار الشرع فكلها مذمومة ، فقصد عمر المعنى اللغوي ، لأن المداومة عليها لم تقع من فعله ﷺ ، لكن لم ينكر عمر على الصحابة ؛ لأن لهذا القيام الجماعي أصلاً في الدين ، وهو فعله ﷺ ، وهكذا يزول الإشكال حول موضوع هذه الحادثة ، وكلمة عمر المذكورة .

٦ - ردَّ العلماءُ على من قسم البدع إلى واجبة ومستحبة وجائزة ومكروهة ومحرمة ، فقال الشاطبي رحمه الله : «هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي ، بل هو في نفسه متدافع ، لأنه من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل

---

(١) المائدة : ٣ .

شرعى لا من نصوص الشرع ولا من قواعده ، إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثَمَّ بدعة ، ولكان العمل داخلاً فى عموم الأعمال المأمور بها شرعًا أو المخير فيها» وقال الهيثمى : «البدعة الشرعية هى ما لم يقم دليل شرعى على أنه واجب أو مستحب ، فإن قام عليه دليل لا يسمى بدعة شرعية سواءً أَفُعِلَ فى عهده ﷺ أم لا . . . إلى أن قال : وقول عمر ﷺ فى صلاة التراويح : (نعمت البدعة هى) أراد البدعة اللغوية وهو ما فُعِل على غير مثال كما قال تعالى ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾[1] وليست بدعة شرعية ، فإن البدعة الشرعية ضلالة كما قال رسول الله ﷺ ، ومن قسمها من العلماء إلى حسن وغير حسن فإنما قسم البدعة اللغوية ، ومن قال : بدعة ضلالة فمعناه ، البدعة الشرعية» اهـ .

والحاصل أن كل بدعة فى الدين ضلالة وسيئة ، وأنه لا خير إلا فى اتباع سنة النبى المعصوم ﷺ الذى ﴿مَا ينطِقُ عَنِ الهَوَى . إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2] وأنه يجب الحذر من البدع فى الدين والتحذير منها ، ولزوم السنة كما جاءت من غير تعديل ولا تبديل ولا استحسان ، وأسأل الله العصمة من الغى والزيغ والضلالات والبدع ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

(١) الأحقاف : ٩ .
(٢) النجم : ٣-٤ .

المبحث الثانى
أثر البدعة فى الانحراف العقدى والانحطاط الاجتماعى

فإن الابتداع فى الدين من أخطر الأمور ، وأشدها ضررًا على الفرد والمجتمع فى كل النواحى ، ولا سيمًا فى الانحراف العقدى والانحطاط الاجتماعى ، وسأحاول بإذن الله – تعالى – تناول هذا الموضوع بإيجاز ، فأقول وبالله التوفيق :

أولا – تعريف البدعة :

البدعة لغة مأخوذة من البدع ، وهو الاختراع على غير مثال سابق ، ومنه قوله تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾[1] أى مخترعها على غير مثال سابق ، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾[2] أى لست أول من جاء برسالة للبشر من عند الله تعالى ، بل سبقنى رسل كثيرون .

يقال : ابتدع فلان بدعة يعنى ابتدأ طريقة لم يسبق إليها .

وأما البدعة اصطلاحًا فهى : طريقة فى الدين مخترعة تضاهى المشروعة يقصد بها التقرب إلى الله تعالى :

ومن هنا يتضح أن البدعة هى كل ما ليس له أصل فى دين الله عز وجل

ثانيًا – أنواع البدعة وحكمها :

البدع نوعان – **الأول** : ابتداع فى العادات ، كالمخترعات الحديثة ونحوها ، فهذا أصله الإباحة ؛ لأن الأصل فى العادات الإباحة إلا بنص .

والثانى : ابتداع فى الدين ، سواء فى العقائد أو فى العبادات أو غيرها ، وهذا

(١) سورة البقرة ، الآية (١١٣) .
(٢) سورة الأحقاف ، الآية (٩) .

النوع أصله المنع وحكمه التحريم ؛ لأن العبادات مبناها على التوقيف ، ولهذا فقد حكم ﷺ بأن كل البدع ضلالات ، وبين أن الإحداث فى الدين يترقب عليه بطلان العمل كلية فقال : «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١) وفى رواية : «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيس عَلَيْه أَمْرُنَا فهُوَ رَدٌّ»(٢) .

ثالثا - أنواع الابتداع فى الدين :

الأول : بدعة قولية اعتقادية ، وذلك من جنس بدع الجهمية والمعتزلة والمتكلمين وغيرهم .

الثانى : بدعة فى العبادات ، وهذا النوع أقسام :

١ - ما يكون فى أصل العبادة ، وذلك بأن يحدث عبادة ليس لها أصل فى الشرع من صلاة وصيام وغيره ، وكذلك الأعياد غير المشروعة كالموالد ونحوها .

٢ - ما يكون زائداً على العبادة المشروعة، كما لو زاد شيئًا فى الصلوات المشروعة.

٣ - ما يكون فى صفة العبادة ، وذلك بأدائها على وجه مخالف للشرع ، كأداء الأذكار بشكل جماعى ونحو ذلك .

٤ - ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع ، كتخصيص النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام ، فأصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بهذا الوقت ليس عليه دليل من الشرع .

رابعًا - بعض مظاهر البدع الدينية وأثرها فى الانحراف العقدى والانحطاط الاجتماعى :

إن البدع قد كثرت وتعددت صورها فى حياة المسلمين ، بل وفى كل مجالات حياتهم تقريبًا ، وتسربت إلى غالب الأمور الدينية بدع كثيرة كان لها أبلغ الأثر فى

(١) البخارى ومسلم عن عائشة .
(٢) مسلم عن عائشة .

انحراف عقائد كثير من المسلمين ، كما كان لها أثر واضح فى الانحطاط الاجتماعى والسلوكى ، وهذه أمثلة توضح هذا الكلام ، فمنها :

١ - بدعة الجهمية وغيرهم من الفرق الضالة :

لقد ظهر فى أواخر عهد الصحابة أناس تكلموا فى مسائل من مسائل أصول الدين كالقدر وغيره ، وذلك بخلاف مقتضى نصوص الكتاب والسنة التى حددت ما يجب على المسلم اعتقاده فى مثل هذه المسائل ، لذلك ترتب على هذه البدع انحراف فى التصور العقدى ، كظهور القول بالقدر ، وبأن الإنسان خالق فعل نفسه ، والقول بالجبر ، وهو أن الإنسان ليس له إرادة ولا اختيار ، بل هو كالريشة فى مهب الريح ، وظهور بدع القدح فى الصحابة وانتقاصهم والطعن فيهم ، كذلك بدعة تمجيد العقل واعتباره حاكمًا على نصوص الشرع ، ورد النصوص الشرعية التى تخالف العقل من وجهة نظر هؤلاء أصحاب العقول السقيمة المريضة ، وكذلك إنكار عذاب القبر ونعيمه، وإنكار الشفاعة وغير ذلك ، وبدعة الخوارج الذين كفَّروا المسلمين بالذنوب وقاتلوهم واستحلوا دماءهم وأموالهم ، وكذلك ظهور بدع الروافض ، وادعاء وجود قرآن خفى غير القرآن الموجود بين أيدينا ، بل ووجد من يسبغ صفات الألوهية والربوبية على عليٍّ ﷺ وغيره ، إلى غير ذلك من البدع الشنيعة التى ظهرت فى حياة المسلمين ، وقد كان لها أبلغ الأثر كما ذكرنا فى الانحراف العقدى حيث ابتعدت طوائف من المنتسبين للإسلام عن العقيدة الصحيحة السلفية إلى ما يضادها من هذه البدع المنكرة الضالة ، وكان هذا الانحراف العقدى سببًا مباشرًا فى تردى أحوال المسلمين وتسلط الأعداء عليهم وتشرذمهم إلى جماعات متناحرة متنافسة ، وضعف شوكتهم ، وتسلط أعدائهم عليهم كما حدث فى أواخر عهد الأمويين وفى عصر العباسيين ومن بعدهم ، وكذلك فى العصر العثمانى مما أدى إلى سقوط الخلافة الإسلامية فى نهاية الأمر .

وقد كان من نتائج هذا الانحراف العقدى كذلك انحطاط اجتماعى واضح ، فقد

مرَّ بالمسلمين عصور وراء عصور ، وهم فى اختلاف وتناحر ، وتفككت الروابط الاجتماعية ، وانتشر التحلل الأخلاقى نتيجة لهذه البدع التى كما ذكرنا ساهمت فى تشجيع ذلك الانحطاط والتحلل من تعاليم الدين ، فمثلا بدعة القول بالجبر فتحت الباب على مصراعيه لمن أرادوا التحلل من التكاليف الشرعية ومن الحلال والحرام ، كما ورد أن كثيرًا من القائلين بالجبر استحلوا الزنا والخمر وغير ذلك ، بحجة أن إرادة الله - تعالى - قد اقتضت ذلك وأنهم ليس لهم إرادة ولا اختيار ، وأنهم مجبورون على ما يفعلون ، وصاروا أشبه بالبهائم فى استحلالهم للمحرمات ، وعكوفهم على الشهوات بحجة الجبر

٢ - بدعة القاديانية والبهائية والنصيرية :

وهذه من البدع المكفرة التى ظهرت بين المسلمين ووجدت لها أنصارًا فى أماكن عدة من العالم الإسلامى ، وقد ترتب على ظهور هذه البدع انحرافات عقدية خطيرة، منها القول بألوهية ميرزا غلام أحمد القاديانى ، وعبد البهاء ، ومنها ادعاء كتاب مقدس غير القرآن واتخاذ قبلة غير الكعبة ، والحج إلى حيفا أو قاديان بدلاً من مكة المكرمة ، وتقديس رقم (١٩) وغير ذلك ، ومنها القول بأن النساء مشاع ، وبأن البنت والأخت لا تحرم، وترتب على هذا انحطاط خطير، حيث استحل هؤلاء نكاح الأخت والبنت ، والزنا بالمحارم ، وشرب الخمر والحشيش ، واستحلال المحرمات بأنواعها المختلفة فكان فى هذا من الفساد ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

٣ - بدع الصوفية :

وهذه من أخطر البدع التى ظهرت فى المسلمين وشاعت وباضت وفرخت شرقًا وغربًا ، فانتشرت الصوفية فى عامة بلاد المسلمين ، وتعددت طرقها حتى زادت على السبعين طريقة مختلفة ، وكثير منها يضلل الآخرين ، بل وقد يكفرهم ، وظهر فيهم القول بألوهية الحسين ، والسيدة زينب ، والبدوى ، والرفاعى ، والجيلانى ، والدسوقى ، والقناوى ، وغيرهم ، وانتشرت عادة تقديم القرابين لهم والنذور والذبح

لهم ، وإتيان أضرحتهم للطواف بها وطلبت قضاء الحوائج منهم ، من جلب نفع ودفع ضر وشفاء المرضى ، وغير ذلك ، وظهر كذلك عند الصوفية القول بالحلول والاتحاد ، وذلك عند بعض فرقهم وطرقهم ، والقول بالتصرف فى الكون للسادة المشايخ من زعماء الطريقة ، وظهرت بدعة القول برفع التكليف عن الشيخ ، حتى كان من جراء ذلك انحطاط اجتماعى خطير ، إذ وصل الأمر فى بعض البلاد ببعض أتباع هذه الطرق إلى أن يلبى رغبة شيخه فى كل شىء ، حتى ولو طلب الشيخ أن يزنى بزوجة المريد ، بل ووجد من يتبرك بذلك ، ويجبر امرأته على معاشرة الشيخ التماسًا للبركة، وانتشر فيهم شرب الدخان والحشيش ، بل والخمور ، والاختلاط فى حفلات الزار وغيرها وما يكون فيها من حركات عجيبة وأشياء لا تمت للدين بصلة ، وكذلك فقد كان للصوفية أكبر الأثر فى إخماد روح الجهاد عند الأمة والاستسلام للمستعمر الأجنبى ، ولا سيما فى زمن التتار والصليبيين ، فقد دعا الصوفية إلى الاستسلام للواقع وعدم الجهاد وذلك بحجج عجيبة ، مثل القول بأن هؤلاء الأعداء انتقام من الله تعالى من المسلمين ، وبأن السلطان الذى تولى لا يجوز مقاومته حتى ولو كان من التتار أو الصليبيين وغيرهم.

أضف إلى ذلك بدعة الموالد وما يكون فيها ، فقد كانت حركة التصوف والباطنية وراء اختراع وابتداع موالد والاحتفال بها ، بدءًا من الاحتفال بمولد النبى ﷺ ، وحتى الاحتفال بموالد مشايخ الصوفية ، وما أدراك ما يحدث فى هذه الموالد من شرب للخمور والحشيش ، ولعب للميسر واختلاط وتبرج ، وزنا وفجور ، وغير ذلك من مظاهر الانحطاط الخطيرة والحيوانية البهيمية ، فكل هذا من آثار هذه البدع الخطيرة كما ذكرنا ، وكذلك التصديق بالخرافات الخطيرة التى أسبغت على المشايخ ومحاولة تبرير انحرافاتهم الخلقية .

وهناك صور أخرى للبدع التى أثرت فى حياة المسلمين وكانت سببًا فى انحرافهم العقدى وانحطاطهم الاجتماعى ، وليس المقصود الاستيعاب ، إنما المقصود ضرب أمثلة لا الحصر .

وفى الختام فإننى أدعو جميع المسلمين إلى مقاومة ومكافحة البدع فى الدين مهما كان اسمها ونوعها ، وحجمها وتأثيرها ، فكلها ليس لها نتيجة إلا الهزيمة والضعف ، والتفكك والانحلال ، والتفسخ والخراب والضياع فى نهاية المطاف ، فإنه لا صلاح لهذه الأمة إلا بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ والرجوع إلى النبع الصافى الذى فيه خير الدنيا والآخرة ، فبهذا تستعيد الأمة مجدها وتنال رضى ربها ، وتقمع أعداءها ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

المبحث الثالث

بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان

فإن المسلمين لما بعدوا عن دينهم ، وأعرضوا عن سنة نبيهم ﷺ ، ساءت حالهم وشاعت بينهم البدع والخرافات ، التى شملت كثيراً من أحوالهم ومظاهر حياتهم ، فعبدوا الله تعالى على جهل ، وابتدعوا فى دينهم ما لم يأذن به الله تعالى ، من العبادات وغيرها مما لم يشرعه الله تعالى ، ومن ذلك الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، وما أحدثه الناس من البدع والخرافات المتعلقة بهذه الليلة ، مما هو شائع فى كثير من بلاد المسلمين ، واعتمادهم على أحاديث لا تصح فى ذلك الباب اعتمدوا عليها ، وشرعوا منها دينًا لم يأذن به الله تعالى ، ونحن نناقش هذه الأدلة مع بيان بعض البدع والأخطاء التى تتعلق بهذه الليلة مما أحدثه الناس فى دين الله تعالى ، فأقول مستعينًا بالله تعالى :

أولاً - حكم الاحتفال بهذه الليلة وما ورد فيها :

اعتمد المجوّزون للاحتفال بهذه الليلة على أحاديث وردت فى فضلها منها :

(أ) حديث : «إن الله - عزَّ وجَلَّ - ينزلُ إلى سَمَاء الدُّنيَا ليلةَ النِّصْف من شَعْبَان فيغْفِر لأكْثَر من شَعْرِ غَنَم بَنِى كَلْب» (١) .

(ب) حديث : «إنَّ الله - عزَّ وجَل - يَطَّلعُ إلى عبَاده فى ليلَة النِّصْف فيغْفر للمُؤْمنينَ ويُملى للكَافرينَ ويَدَع أهْلَ الحقد لحَقْدهَم حتَّى يَدَعُوه»(٢) .

(جـ) حديث : «إذَا كَانَت ليلةُ النِّصْف من شَعْبَان فَقُومُوا لَيْلَهَا وصُومُوا نَهَارَهَا، فإنَّ اللهَ ينزلُ فيهَا لغُروُب الشَّمْسِ إلى سَمَاء الدنيَا فيقُول ألا منْ مُسْتَغْفِر

(١) وهذا الحديث أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه والدارقطنى وغيرهم ، وضعفه الألبانى كما فى ضعيف الجامع الصغير برقم (١٧٦١) .

(٢) أخرجه البيهقى فى الشعب وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير برقم (١٧٣٩) .

فَأغْفِرَ لَه؟ ألا مِن مُسْتَرْزِقٍ فَأَرزقهُ ؟ ألا مِن مُبْتَلى فأُعَافِيَه ؟ ألا كذا ألا كذا ، حَتَّى يَطلعَ الفَجْرُ» (١).

وهكذا يثبت أن الاحتفال بهذه الليلة وتعظيمها مبنى على أحاديث موضوعة أو ضعيفة ، وأنه لا أصل له فى شرع النبى محمد ﷺ ، وإن استحسنه بعض الناس من التابعين أو من بعدهم فكلهم محجوجون بشرع النبى ﷺ ، ولا مستند لهم فى دعواهم ، وقد أنكر ذلك كثير من أهل العلم من التابعين ومن بعدهم ، وقد قال ابن العربى رحمه الله : «ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يساوى سماعه» .

ومعلوم أنه لا يجوز الابتداع فى الدين والتشريع بغير إذن الله تعالى ، فإن هذا من أخطر الأمور ، وهو مصادمة لشرع الله تعالى ، واعتداء على حقه - عز وجل - فى التشريع .

ثانياً - صور من البدع والأخطاء فى تلك الليلة :

١ - احتفال الناس فى المساجد بإحياء ليلة النصف من شعبان بالصلاة والدعاء عقب صلاة المغرب ، يقرءونه بأصوات مرتفعة بتلقين الإمام ، وإحداثهم أدعية مبتدعة مثل : اللهم يا ذا المن ولا يمن عليه ... إلخ ، وهذا كله بدعة ضلالة ، لم تكن معروفة على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ، إنما حدث الاجتهاد فى العبادة تلك الليلة فى أيام التابعين ، حيث أقره بعضهم وإن خالفهم الأكثرون .

٢ - إحداث صلاة مبتدعة مخصوصة يسمونها : (صلاة الخير) ، وقد أنكرها الأئمة ، قال النووى - رحمه الله تعالى - : «الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب وهى اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب ، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة ، هاتان الصلاتان بدعتان منكرتان ، ولا يغتر بذكرهما فى قوت

(١) اخرجه البيهقى فى الشعب وابن ماجه ، وهو فى ضعيف الجامع برقم (٦٥٢) وحكم عليه بالوضع

القلوب وإحياء علوم الدين ، ولا بالحديث المذكور فيهما ، فإن كل ذلك باطل ولا يغتر ببعض من أشبه عليه حكمهما من الأئمة فصنف ورقات فى استحبابهما فإنه غالط فى ذلك ... إلخ ، وأنكرهما كذلك الطرطوشى والحافظ العراقى وابن تيمية وأبو شامة وغيرهم .

فثبت بذلك أن هذه الصلاة كذلك بدعة ضلالة ، ولا أصل لها فى دين الله تعالى .

قال الطرطوشى عن أبى محمد المقدسى : قال : « لم يكن عندنا ببيت المقدس صلاة الرغائب هذه التى تصلى فى رجب ولا صلاة شعبان ، وأول ما حدثت عندنا (صلاة شعبان) فى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، قدم علينا رجل فى بيت المقدس من نابلس يعرف بابن أبى الحمراء ، وكان حسن التلاوة ، فقام فصلى فى المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان ، فأحرم خلفه رجل ثم انضاف إليهما ثالث ورابع فما ختمها إلا وهو فى جماعة كبيرة ، ثم جاء فى العام القابل فصلى معه خلق كثير ، وشاعت فى المسجد وانتشرت فى المسجد الأقصى وبيوت الناس ومنازلهم ثم استمرت كأنها سنة إلى يومنا هذا » اهـ .

٣ - إيقاد المشاعل والسرج فى المساجد فى تلك الليلة ، وهى بدعة ضلالة كذلك أحدثها بعض المنتسبين للإسلام من ذوى الأصول المجوسية فى العصر العباسى، ويرى بعض العلماء أنهم كان قصدهم تعويد المسلمين على الصلاة فى معابد النار التى يعبدها المجوس .

وهكذا نرى أن كل هذه الأمور لا أساس لها فى دين الإسلام ولا أصل لها فى الشريعة ، والعجب كل العجب من الناس الذين زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ، يجتهدون فى البدعة ويضيعون السنة ، وهى خير لهم ، وفيها الكفاية والغناء فيأتون بأشياء لا تزيدهم إلا بعداً من الله - عز وجل - وما دروا أن الخير كله والفلاح كله فى اتباع سنة النبى - ﷺ - الذى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة

ورضى به للناس الإسلام دينًا ، فنسأل الله العصمة لنا ولجميع المسلمين من البدع وشرها ، ونعوذ بالله من تزيين الشيطان للبدع والضلالات وأن يستحوذ علينا الشيطان بذنوبنا ، إنه جواد كريم ، وأوصى نفسى وجميع المسلمين بلزوم السنة فهى خير سبيل إلى الله - عز وجل - ونيل رضاه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

المبحث الرابع

بدع تقع فى شهر رمضان

إن شهر رمضان هو شهر القرآن ، وهو أعظم شهور العام وأفضلها على الإطلاق، وهو الشهر الذى نزل فيه القرآن ، وفيه ليلة القدر ، وقد كان الواجب على الناس الاستفادة من كل لحظات هذا الشهر ، غير أن أكثر الناس بجهلهم يقعون فى كثير من المنكرات والبدع فى هذا الشهر ، مما قد يفسد صومهم أو يضعف من ثوابهم، بل قد يحبطه ، فمن ذلك :

- ما يكون فى بعض البلدان الإسلامية من تعليق الزينات ، والمصابيح الملونة ، وحمل الصغار للمصابيح الملونة ، وطوافهم بها فى الشوارع وهم يغنون ، ويسمونها «فوانيس رمضان» .
- ازدحام المساجد بالمصلين ، وخصوصًا فى أول الشهر ، ثم يبدءون فى التناقص تدريجيًا وقد يزيدون مرة أخرى فى آخر الشهر ، وهذا الازدحام وارتياد المساجد ، وإن كان شيئًا محمودًا ، لكنه يكون فى رمضان فقط ، ثم ينقص هذا الجمع بعد رمضان ، ويعود الناس إلى سيرتهم الأولى .
- تضييع الأوقات الثمينة ، والتى كان ينبغى استثمارها فى طاعة الله - تعالى - واكتساب مرضاته ، فتجد الأوقات مضيعة فى مشاهدة التلفاز وسماع الإذاعات ، واللغو الذى لا طائل من ورائه والتهاون فى قراءة القرآن ، وفى أداء العبادات ، كل ذلك بحجة الضعف عن العبادة بسبب الصيام .
- ظهور المسابقات الرمضانية فى أجهزة الإعلام ، وكثير منها تكون المواد المقدمة فيها ليس فيها منفعة على الإطلاق .
- الإفراط فى شراء الأطعمة والأشربة ، ووضعها على المائدة ، وبعد ذلك يضيع جزء كبير منها ويكون مصيره سلة القمامة .

● التهاون فى أداء صلاة القيام (التراويح) وتضييعها وما يترتب على ذلك من ضياع الأجر العظيم الذى رصده الله - تعالى - لمن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا حيث يغفر الله - تعالى - له ما تقدم من ذنبه .

● ما يحدث من بعض الأئمة بالإسراع فى القرآن فى الصلاة ، وفى أداء الأركان بما لا يتناسب مع فضيلة الصلاة ، وذلك رغبة فى الانتهاء من الصلاة بسرعة ، ولعدم تنفير العامة والجهال ، فينقرون الصلاة نقراً ، مما يعرض صلاتهم للبطلان ، بل ويعرض صلاة من خلفهم كذلك ، أو على الأقل ينقص من أجرهم ويحرمهم من الثواب الموعود على تلك الصلاة .

● قضاء جزء كبير من الوقت فى تراخٍ وكسل ، وترك للعمل ، وذلك بحجة أن الصيام قد أضعف الجسم وأن قلة الطعام تسببت فى ذلك ، وليس شهر رمضان أبداً وقتاً للكسل ، بل هو وقت الجد والاجتهاد والتشمير .

● تخصيص ليلة معينة بأنها ليلة القدر ، على الرغم من أنها لم تعين فى الشرع، ثم تخصيص تلك الليلة بصلاة معينة دون غيرها من الليالى ، وهذا من البدع المنكرة التى لا أصل لها .

● تسمية الجمعة الأخيرة من رمضان (الجمعة اليتيمة) وتخصيصها بصلاة الفروض الخمسة جملة واحدة ، والبعض يزعم أنها تنوب عن الصلوات التى تركها الإنسان فى حياته ، وتكفر ذنوبه .

● ما يفعله العامة فى بعض البلدان الإسلامية من الأذكار المبتدعة التى يحدثونها فى صلاة التراويح ، فإنهم قد يقولون - جماعة - بعد الركعتين : الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله ، ويترضون عن الصحابة يظنون ذلك حسنًا ، والترضى عن الصحابة وإن كان حسنًا ، لكن الجهال يجعلونه شعاراً لصلاة القيام ، ويخصصونها به ، ومن هنا كان ذلك هو وجه الابتداع فى المسألة .

● تخصيص ليلة العيد بصلاة مائة ركعة يحدثونها معتمدين فى ذلك على حديث موضوع .

● شغل ليلة العيد بشراء الملابس ومشاهدة التلفاز وسماع الأغانى ، أو الذهاب إلى المقابر وكل هذا ليس من السنة فى شىء ، بل هو من المنكرات والبدع .

● تهاون كثير من الناس فى سماع الخطبتين يوم العيد ، فإذا صلى الإمام بادروا بالخروج فوراً ، ولم ينتظروا لسماع الخطبتين اللتين هما المقصود الأعظم من ذلك الجمع ، لما فيهما من الوعظ والتذكير .

● اشتغال بعض الجهال بالذهاب إلى قبور الأولياء والأقارب وغيرهم بعد صلاة العيد ، قبل الرجوع إلى أهليهم ، وهذا كذلك من البدع المنكرة جداً فى دين الإسلام ، وهذا كله من تلبيس الشيطان عليهم بدعوى أن هذه الزيارة من البر والمودة والصلة .

● بدعة ما يسمى حفيظة رمضان ، حيث يكتب بعض الجهال أثناء خطبة الجمعة فى آخر رمضان (لا آلاء إلا آلاؤك محيط علمك كعسهون وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) ويدعون أنها تحفظ من الغرق والحرق والسرقة والعين ، وهذه بدعة منكرة أصلاً أنكرها كثير من العلماء كابن حجر وغيره ، وكذلك فإنه لا يجوز الدعاء والذكر بشىء وكلام غير مفهوم لاحتمال أن يشتمل على كفر وشرك .

● توحيش الخطباء على المنابر حيث يقول بعضهم - وذلك فى بعض البلدان - : لا أوحش الله منك يا رمضان ، لا أوحش الله منك يا شهر القرآن ، يا شهر المفاتيح ، يا شهر التراويح . . . إلخ ، وهذا كله بدعة وضلالة منكرة .

وفى الختام ، فإنه لابد من إظهار سنة النبى - ﷺ - وإنكار هذه البدع والرد على أهلها ، فإن البدع تبديل فى دين الله تعالى ، ولا تقوم البدعة إلا بتضييع السنة ،

ولا يجوز أبدًا التهاون فيها ، لأنها مما يجلب غضب الله - تعالى - وسخطه، ويمحق بركة الشهر وبركة العبادة . وهذه البدع تشريع فى دين الله بغير إذنه ، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ﴾[1] وحذر منها النبى ﷺ بقوله : «وإيَّاكُمْ ومُحْدَثَاتِ الأمُورِ فإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[2] .

فعلى كل مسلم لزوم السنة ، واجتناب البدعة حتى ينال رضا الله - تعالى - وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

(١) الشورى : ٢١ .

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما .

المبحث الخامس

بدع وأخطاء فى صلاة التراويح

فإن صلاة التراويح فى رمضان مما شرعه الله تعالى ، ووعد عليه الأجر الجزيل ، وهى من العبادات التى كثرت البدع فيها ، فرأيت التحذير من تلك البدع والأخطاء ، وبيان السنة فيها ، فأقول مستعينًا بالله تعالى :

١ - صلاة التراويح - قيام رمضان سنة مستحبة مؤكدة ، لقول النبى ﷺ : «مَنْ قامَ رمضَانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ من ذَنْبِه» وكذلك فإنه ﷺ قام هذا الشهر ، وقامه أصحابه فى عهده ومن بعده فرادى وجماعات ، ولم يزل المسلمون عليه وسيظلون إن شاء الله تعالى .

٢ - الاجتماع على إمام واحد - أى القيام جماعة سنة ، لأن النبى ﷺ صلاها بأصحابه جماعة غير أنه لما خشى من أن تفرض عليهم صلى وحده ولم يجمع بهم ، غير أن فعله الأول يدل على الجواز ، ولهذا اجتمع أصحابه من بعده على إمام واحد ولم يروا بذلك بأسًا ، بل جمعهم عُمر على إمام واحد وأقرهم على ذلك .

٣ - فيما يتعلق بصلاة التراويح من جهة العدد ، فالسنة أنها إحدى عشرة ركعة، وذلك لفعل النبى ﷺ ، فإنه لما سئلت عائشة ﵂ : كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ فى رمضان ؟ قالت : «مَا كَانَ يزيدُ فى رَمَضَان وَلا فى غيْره عَلَى إحْدَى عَشْرَةَ ركْعَة ، يُصَلِّى أربعًا فلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنهنَّ وطُولهنَّ ثُمَّ يصَلِّى أَرْبَعًا فلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنهنَّ وطُولهنَّ ، ثُمَّ يُصَلِّى ثَلاثًا ، فقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله : أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ توتر؟ قَالَ : يَا عَائشَةُ إنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَان وَلا ينَامُ قَلْبى»[1] ، وروى الإمام مالك عن السائب بن يزيد قال : «أمر عمر بن الخطاب أبى بن كعب وتميمًا الدارى أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة» الموطأ (١ : ١٠٥) .

(١) متفق عليه .

فهذا فعل النبى ﷺ ، وهذا صنيع عمر بن الخطاب من بعده ، وهذا هو الصواب الذى ينبغى التمسك به ، فإن الروايات التى فيها زيادة على هذا العدد قد قدح فيها كثير من الأئمة .

قال السيوطى فى «المصابيح فى صلاة التراويح» من الفتاوى (٢ : ٧٧) (عن مالك أنه قال : الذى جمع عليه الناس عمر بن الخطاب أحب إلىَّ وهو إحدى عشرة ركعة ، وهى صلاة رسول الله ﷺ ، قيل له : إحدى عشرة ركعة بالوتر ؟ قال : نعم ، وثلاث عشرة قريب ، قال : ولا أدرى من أين أحدث هذا الركوع الكثير) .

وقال ابن العربى فى شرح الترمذى (٤ : ١٩) : «والصحيح أن يصلى إحدى عشرة ركعة ، صلاة النبى ﷺ وقيامه ، فأما غير ذلك من الأعداد فلا أصل له ولا حد فيه ، فإذا لم يكن من بد فى الحد فما كان النبى ﷺ يصلى . . . إلخ» .

وقال الصنعانى فى سبل السلام (١ : ٣٣٧) : «وأما الكمية وهى جعلها عشرين ركعة فليس فيه حديث مرفوع إلا ما رواه عبد بن حميد والطبرانى من طريق أبى شيبة إبراهيم بن عثمان عن الحكم بن مقسم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يصلى فى رمضان عشرين ركعة والوتر .

قال فى سبيل الرشاد : «أبو شيبة ضعفه أحمد وابن معين والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم ، وكذبه شعبة ، وقال ابن معين : ليس بثقة ، وعد هذا الحديث من منكراته» اهـ .

وهكذا كل ما ورد من الأحاديث المرفوعة فى صلاة عشرين ركعة كلها أسانيدها ضعيفة لا تقبل التصحيح ولا التحسين ، ضعفها ابن حجر والنووى والعينى والقارى والذهبى والألبانى وغيرهم .

وكذلك الروايات التى وردت عن الصحابة حول نفس الموضوع كلها ضعيفة ولله الحمد ، فثبت أنه لا ينبغى أبدًا المصير إلى غير فعل النبى ﷺ ، فإنها عبادة مبناها على التوقيف .

٤ - مما أحدث الناس من الأخطاء حول صلاة التراويح التخفيف المفرط فيها ، حتى إن القارئ ليقرأ بالآية الواحدة فقط فى الركعة ، بل وأحيانا يقسمون الآية الطويلة بين ركعتين فيخلون بروح الصلاة وخشوعها ، وترابط الآيات ، ويفوتون المقصود من التدبر والتفكر ، ويخالفون سنة النبى ﷺ وأصحابه .

٥ - من هذه الأخطاء ما يقع من الناس فى بعض البلدان الإسلامية من التسبيح بصوت مرتفع جماعة بعد كل ركعتين والصلاة على النبى ﷺ ، وحتى يستعملون صيغًا منكرة فيها غلو شديد ، كما يقال : الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله وخاتم رسل الله ، وكذلك يترضون على الصحابة واحدًا واحدًا ، أو على الخلفاء الراشدين ونحوهم ، وكل هذه بدع وضلالات لم يشرعها الله تعالى ، كما أن فيها إذهابًا وتضييعًا للخشوع فى الصلاة الذى يجب تحريه والمحافظة عليه .

٦ - ومن هذه الأخطاء اصطحاب الأطفال بكثرة إلى المساجد مما يفوت على الناس الخشوع بما يحدثه الأطفال من الصخب والضجيج فى المسجد ، وهذه المسألة تحتاج إلى توسط ، فإن بعض الناس يجوزون الأمر مطلقًا بغير ضابط ، والبعض يمنعونه مطلقًا محتجين بحديث : «جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ مَجَانِينكم وصِبْيَانَكُمْ» وهو غير صحيح ، والصواب أن أخذ الطفل للمسجد جائز فى الأصل ، فإن النساء كن يصحبن الأطفال فى عهده ﷺ ، بل وكان النبى ﷺ يخفف الصلاة حين يسمع بكاء الصغير رحمة بأمه ، لكن إذا كثر الأطفال فى المسجد بحيث يغلب صخبهم ولعبهم وضجيجهم مما يذهب بخشوع الناس ، ويفوت عليهم المقصود ، بل وبعضهم يلعب بالمصاحف ويكتب على الجدران ، ويخربون الفرش والبسط ونحو ذلك ، فحينئذ ينبغى منعهم تحصيلاً للهدف المرجو ، وهو اجتماع الناس على عبادة الله - تعالى -

فى خشوع ووقار ، إلا أن يتم التشديد عليهم - على الصغار - حول هذه الأمور ، وكذلك لا ينبغى ترك غير المميزين فى وسط الصف هنا وهنا ؛ بل يجعلون على الأطراف أو يجعل لهم صف مستقل ، لأنهم عند بعض العلماء يقطعون الصفوف وهم بمثابة سوارى المسجد عندهم فذلك أولى - والله أعلم .

٧ - الإفراط فى استعمال أدعية غير مأثورة فى القنوت ، وكثير منها لا يكون دعاء بالفعل ، بل هو عبارة عن وصف كامل لأحوال القبور والآخرة وغير ذلك بغرض استبكاء الناس ، ولكنها بهذه الطريقة تخرج عن معنى الدعاء ، وهذا كثير جداً ومتداول ، والبعض يطول فى الدعاء بشكل يشق على كثير من الناس ويظل يتباكى بشكل يظهر فيه التكلف واضحًا ، وكذلك المداومة على القنوت نفسه ليست من السنة، بل إن النبى ﷺ كان - كما قال ابن القيم : «قنت وترك ، وكان تركه القنوت أكثر من فعله» فينبغى التوسط فى كل الأمور ولزوم السنة النبوية الشريفة .

فهذه نظرات فى مسائل تتعلق بصلاة التراويح ، وأسأل الله العصمة من الزلل وأسأله التوفيق لى ولإخوانى المسلمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

المبحث السادس

بيان السنن والمبتدعات المتعلقة بعيد الفطر وشهر شوال

فإن يوم الفطر هو يوم عيد ، وهو من الأعياد التى شرعها الله - عز وجل - لعباده المسلمين ، منها ما يكون فى كل أسبوع ، وهو يوم الجمعة ، ومنها ما يكون مرة فى العام ، فمن ذلك يوم عرفة ، ويوم الأضحى ويوم الفطر ، ويوم الفطر يعقب فريضة عظيمة من أركان الإسلام ألا وهى صوم شهر رمضان الكريم ، غير أن المسلم ينبغى له أن يتعرف على بعض السنن المتعلقة بيوم العيد حتى يلازمها ، وأن يتعرف على بعض البدع والمنكرات حتى يتجنبها . فمن السنن والآداب المتعلقة بذلك اليوم :

- إخراج زكاة الفطر قبل الصلاة ، وذلك حرصًا على جبر خاطر الفقراء فى هذا اليوم ، ولأمره ﷺ بإخراج الزكاة قبل الغدو للصلاة يوم الفطر .
- الاغتسال والتطيب والتسوك ، وذلك حرصاً على طيب رائحة المرء فى ذلك الجمع الطيب وفى هذه المناسبة.
- لبس الجديد من الثياب ، وذلك لإظهار الفرح بالعيد .
- الإفطار ولو على تمرات قبل الذهاب للمصلى ، وذلك لفعله ﷺ فإنه ﷺ كان لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ، وذلك كما أخرجه أحمد وغيره .
- أن يخرج إلى العيد ماشيًا لا راكبًا ، لفعله ﷺ ، إلا إذا كان معذوراً أو كان المكان بعيداً منه بما يشق عليه .
- أن يرفع صوته بالتكبير والتهليل ، فى المساجد والأسواق والطرق وغيرها ، وذلك لفعله ﷺ .
- ألا يصلى إذا أتى المصلى بل يقعد مكبراً ينتظر الصلاة فإن النبى ﷺ كان لا يصلى يوم العيد شيئًا قبل الصلاة .
- وكذلك لا يؤذن قبل الصلاة ، فإن النبى ﷺ كان لا يؤذن له فى العيدين .

- الصلاة قبل الخطبة ، فإنها سنة النبى ﷺ .
- حضور الخطبة ، والإنصات لها ، وتدبر الموعظة .
- الرجوع من طريق آخر غير الذى أتى منه ، وذلك لفعله ﷺ .
- صلة الأرحام فى هذا اليوم ، وذلك بزيارتهم وتهنئتهم وتقديم الهدايا لهم ، وإدخال السرور والبهجة عليهم .
- صيام ست من شوال كما أمر النبى ﷺ لقوله : «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا . . .»
- فكل ما ذكر من الآداب والسنن المتعلقة بالعيد وبشهر شوال ينبغى على المسلم مراعاتها .
- وأما البدع والمنكرات المتعلقة بالعيد وليلته وبشهر شوال فإنها كثيرة ، ونوجز شيئًا منها ، فنقول بعد حمد الله :

* منها تخصيص ليلة العيد بالقيام ، أو صلاة مخصوصة فيها ، مائة ركعة وغير ذلك، وقد ورد فيها حديث ذكر السيوطى وغيره أنه موضوع .
* ترك السنة فى التكبير والتهليل بصوت مرتفع ، والإنكار على من يفعله مع أنه من السنة .
* ترك السنة فى الإفطار قبل الصلاة ، والذهاب لأدائها دون تناول شىء من الطعام، وهذا مخالف للسنة .
* الانصراف بعد الصلاة مباشرة وعدم استماع الخطبة ، فيفوت المقصود الأعظم من العيد ، ويقع المرء فى مخالفة السنة .
* البدء بزيارة القبور عقب الصلاة ، وهذا مخالف للسنة ، ويدعون أنه من المودة ، وهو حزن فى يوم فرح ، وإعراض عن هدى النبى ﷺ .

* زيارة قبور الأولياء الصالحين والتجمع عندها ، وما يقع عندها من المنكرات والبدع والمخالفات .
* تبرج النسوة وخروجهن إلى الطرقات ليفتن الرجال ، وما يؤدى إليه ذلك من الشر والفساد .
* تضييع الأوقات فى اللهو واللغو واستماع الأغانى ومشاهدة الأفلام الماجنة وغير ذلك ، كأنما قد شرع العيد لأجل ذلك كله ، ولم يشرع لعبادة الله - تعالى - وشكر نعمه الجزيلة .
* تسمية الأيام الستة من شوال بالستة البيض ، وهذه التسمية مبتدعة وجهل ، وذلك لأن الأيام البيض هى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر قمرى.
* إن البعض منهم يجعلون لصيام هذه الأيام الستة وقفة وعيدًا ، ويجتمع فيه الرجال والنساء فيتصافحون ويهنئ بعضهم بعضًا ثم يذهبون لأكل الأرز باللبن وغير ذلك.
* إن بعض الجهال يزعمون أن أيام الست لا يصومها إلا من له ذرية ، وأنه إذا صامها ثم تركها يموت عياله ، وهذا جهل فاضح وضلال مبين ، وإنما هو تلبيس من الشيطان الرجيم .

وفى الختام أذكر نفسى وإخوانى المسلمين بوجوب متابعة سنة النبى ﷺ واجتناب البدع والمنكرات وما يخالف السنة ، حتى تكون أيامنا كلها خيرًا وبركة من الله تعالى وحتى ننال الأجر من الله - تعالى - ولا نكتسب فى تلك الأيام الفاضلة ما نحتمل به الإثم والوزر ، وحتى يكتمل انتفاعنا بهذه الأيام .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

المبحث السابع
بدع فى يوم الجمعة

إن صلاة الجمعة من شعائر الإسلام العظيمة والتى ذكرها الله فى كتابه ، وذكرها رسوله -ﷺ- وحثت النصوص الشرعية على وجوب المحافظة عليها والحرص على نيل ثوابها .

فقد قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾(١) .

وقد قال النبى ﷺ «من ترك الجمعة ثلاثًا تهاونًا طبع الله على قلبه»(٢) .

وبين فضلها - صلوات الله وسلامه - عليه حيث قال : «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»(٣) .

وقال أيضًا : «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج لا يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»(٤) .

(١) الجمعة : ٩ - ١٠ .
(٢) رواه أصحاب السنن .
(٣) أخرجاه في الصحيحين .
(٤) رواه البخاري .

ولما ذكر ﷺ يوم الجمعة قال : «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاه إياه»(١) .

وأخبر ﷺ «أنه خير يوم طلعت فيه الشمس ، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط منها ، ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة»(٢) .

فهو يوم عظيم ينبغى تعظيمه والحرص على أداء الصلاة فيه واستماع الخطبة، وينبغى الإكثار من الصلاة على النبى ﷺ لعظم أجرها ، خصوصًا فى ذلك اليوم .

ومما يؤسف له أن كثيراً من الناس فى عالمنا الإسلامى يقعون فى بدع ومنكرات فى ذلك اليوم أذكر منها :

* صلاة أربع ركعات فى ليلة الجمعة يقرأ فى الأولى بيس وفى الثانية بالدخان وفى الثالثة بالسجدة وفى الرابعة بسورة تبارك .

وهذا كله مبنى على حديث ورد فى فضل فعل ذلك وهو حديث موضوع لا يصح الاحتجاج به أبدًا .

* إفراد يوم الجمعة بالصيام ، وقد نهى النبى ﷺ عن ذلك فقال : «.. ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من دون الأيام إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم»(٣) .
* صلاة أربع ركعات عند الدخول للمسجد وقراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ مائتى مرة فيها ، وهو مبنى كذلك على حديث موضوع لا يصح أبدًا .
* رحيل كثير من الناس فى بعض البلدان إلى الأضرحة والمشاهد لصلاة الجمعة فيها، وهذه بدعة شركية .
* اقتصار بعض الأئمة على قراءة جزء من سورتى السجدة والإنسان وخصوصًا الموضع الذى فيه السجدة ، ولم يدروا أن المقصود هو المعانى الموجودة فى السورتين وليس مجرد السجدة بحد ذاتها .

(١) رواه أحمد في السنن وأصحاب السنن .
(٢) رواه أحمد في المسند .
(٣) رواه مسلم .

* صلاة ركعتين عند الأذان ويسمونها السنة القيامية ، وهى بدعة محدثة لا أصل لها فى دين الله - تعالى - ولم يفعلها سلف الأمة الصالحون .
* عدم صلاة تحية المسجد للداخلين ، إذا وجدوا الإمام يخطب أو يصعد وهذا خلاف السنة ، بل عليهم أداء الركعتين مع الإيجاز فيهما .
* قراءة الفاتحة بعد الجمعة وإهداء ثوابها لأحد الأولياء المشهورين أو غيره ، وهى بدعة كذلك .
* قراءة القرآن جهراً من قارئ واحد : حيث يصعد المقرئ على مقعد أو منصة فيقرأ قبل الصلاة والناس يستمعون ويهللون ، وهنا بدعة كبيرة ومخالفة السنة .
* قراءة «قل هو الله أحد» ألف مرة فى يوم الجمعة ، وهذه كذلك بدعة لا أصل لها فى دين الله تعالى .
* التمسح بالخطيب بعد الجمعة وهى كذلك بدعة لا أصل لها .
* الشحاذة على أبواب المساجد يوم الجمعة وهى ممنوعة كذلك .
* اعتماد بعض الخطباء على قطع من الخشب ويسمونها السيوف ، وهذه بدعة وقد كان ﷺ يخطب معتمداً على عصا قبل صنع المنبر .
* مواظبة الكثير منهم فى آخر الخطبة الأولى على حديث «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَن لا ذَنبَ لَه» .
* التزام ختم الخطبة التالية بقول : «اذْكُرُوا الله يَذْكُرْكُمْ» أو «إن الله يأمر بالعدل والإحسان ..» .
* التزام السجع فى الخطب ، رغم نهى النبى ﷺ عن سجع كسجع الكهان .

وغير ذلك من البدع والمنكرات أعاذنا الله وإخواننا المسلمين منها ، والواجب على كافة المسلمين متابعة هدى النبى ﷺ ولزوم سنته ، وهجر البدع وأهلها ، فالله المستعان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

المبحث الثامن

مفاهيم خاطئة حول الأولياء

١ - *الولاية والولى:*

لغة :جاء فى «المعجم الوسيط» (٢ / ١٠٥٨) : (الوَلاية) : القرابة ، يقالُ : القومُ عليه ولاية يد واحدة يَجتمعونَ فى الخير والشرِّ ، و (الوِلاية) : القرابة ، والخطة والإمارة ، والسلطان ، والبلادُ الَّتى يتسلَّط عليها الوالى .

والولىُّ : كلُّ من ولىَ أمرًا أو قامَ به ، والنصير ، والمحبُّ ، والصديقُ ، والحليفُ والصهرُ ، والجارُ ، والمطيعُ ، يقالُ : المؤمنُ ولىُّ اللّهِ . . .إلخ .

يتبيّنَ لنا أنَّ من معانى الولىِّ : المطيع للّه تعالى .

والولاية بهذا الاعتبارِ هى الطاعة والسعى فيما يحبه اللّهُ تعالى ، وهذا معنى موافقٌ لما وَرَدَ فى لسانِ الشرعِ المُطهَّرِ :

قال تعالى : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[(١)] .

فالمتحصلُ لنا من كلِّ ما سبقَ : أنَّ الولىَّ بالمعنى الّذى أشارت إليه الآيةُ هو كل مؤمن تقىّ ، والتقىُّ هو الّذى يؤدى ما افترضَ اللّهُ ، ويجتنبُ ما حرَّمَ اللّهُ -عز وجل- .

٢ - *هل الولاية مكتسبة ؟*

لا شكَّ أنَّ الولايةَ كسبيّة ، وذلكَ لأنَّ الولايةَ يُرادُ بها الطاعة والتقوى ، فهذه أمور كسبيّة ، فباستطاعة الإنسان أن يكتسبَ الطاعةَ والتقوى ، وهكذا يكتسبُ الولايةَ ، وكلَّما ازداد طاعةً وتقوى اكتسبَ مزيداً من الولايةِ ، غير أنَّ المؤمنَ لا يأتى

---

(١) يونس : ٦٢

بالطاعة سعيًا وراءَ اسم الولاية ، ولكنّه يُخلصُ العملَ للّه تعالى ، ويسعى فيما يحبّه ويرضاه ، ويزدادُ دائمًا فى طاعة اللّه ، فحينئذٍ يصبحُ وليّاً للّه ، ويستحقُّ ما رتبه اللّهُ ثوابًا للأولياءِ ، فهم لا خوفٌ عليهم فى الدنيا ، ولا يَحزنونَ فى الآخرةِ .

وممّا يدلُّ على أنَّ الولاية كسبيّةٌ قولُ النبىِّ ﷺ فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلَّ : « ... وما تقرَّبَ عبدى إلىَّ بشىء أحبّ إلىّ ممّا افترضتُه عليه ، ولا يَزالُ عبدى يتقرّبُ إلىّ بالنوافلِ حتّى أحبَّه ، فإذا أحببتُه كنتُ سَمْعَه الّذى يسمَعُ به ، وبَصَرَهُ الّذى يُبصر به، ويَدَهُ التى يَبطشُ بها ، ورجلَه الّتى يمشى بهَا ، ولئن سألَنى لأُعطينّه ، ولئن استعاذَنى لأُعيذنّه»[1] .

فباستطاعة الإنسان أن يكونَ وليّاً لله تعالى إذا شاءَ ، وذلك بسلوكه طريق الطاعة والتقوى والهدى .

٣ - منزلة الأولياء :

إنّ المؤمنينَ الصالحينَ المتقينَ هم أقربُ النـاس إلى اللّه تعالى ، وأحبهم إليه ، ويجبُ على المسلم أن يحبّهم ، لحبِّ اللّه تعالى إيّاهم ، وأن لا يؤذيَهم ، وأن يوقرَهم لتوقيرهم لله تعالى وطاعتهم إياه ، وهؤلاء الأولياء الصالحونَ منهم من لو أقسمَ على اللّه لأبرّه ، وقد يصرفُ اللّهُ تعالى بهم عن الأمةِ من الأذى ما لا يعلمه إلا هو ، وقد يجلَب اللّهُ بهم الخيرَ والنصرَ إلى الأمةِ .

٤ - كرامات الأولياء :

الكراماتُ للأولياء حقٌّ ثابتٌ ، وهى ما يُجريه اللّهُ - تعالى - لهم من خوارقَ للعاداتِ ، تكريمًا لهم وإظهارًا لفضلهم ، دلَّ على ذلكَ الكتابُ والسنّةُ واتفاقُ السلف .

والأصلُ فى إثباتها قولُ اللّه - تعالى - فى حقِّ مريمَ : ﴿كلّما دَخَلَ عليها زكريّا المحرابَ وَجَدَ عندهَا رزقًا قَالَ يا مريمُ أنّى لك هذا قَالَتْ هُوَ من عند الله﴾[2] .

وقد وردَ فى السنةِ ما يُفيدُ ذلك ، كما فى حديثِ أبى هريرةَ - المسمّى حديث

(١) أخرجه البخاريُّ (١١ / ٣٤٨ ، ٣٤٩) .

(٢) آل عمران :٣٧ .

الولىّ - السابق ، وكما وقعَ لعددٍ من الصحابةِ من كرامات ، كوجودِ فاكهةِ الشتاءِ فى الصيفِ وبالعكسِ مع خبيبِ بنِ عدى - رضى اللّهُ عنه - فى حبسه - كما رواه البخاريّ ، وغير ذلك من حوادث قد لا يتسع المقامُ لذكرها .

والسلف يُقرّونَ بوجود هذه الكرامات ولا ينكرونها ، فقد قالَ الإمامُ الطحاوى رحمه اللّهُ فى عقيدة أهل السنّة والجماعة الّتى نَقلها عن الإمامِ أبى حنيفةَ وصاحبيه ، قالَ فى حقِّ الأولياء: «ونؤمنُ بما جاءَ من كراماتهم، وصحّ عن الثقاتِ من رواياتهم»[1] .

٥ - خوارق المُضلين :

لقد ظنَّ بعضُ الجهّالِ أنَّ كلَّ من جرى له شىءٌ من الخوارق فإنّه يكونُ وليّاً للّه تعالى ، بغضِّ النظر عن حاله من حيث الطاعة والمعصية ! وبناءً على ذلك اعتبروا بعضَ الناسِ أولياءَ ، حتّى لو لَم يكونوا من المصلينَ ، ولا من أهل الطاعة بحال ، بل إنَّ بعضَهم لَم يُعرف عنه شىءٌ من العبادة ولا غيرها ، كلُّ هذا لأنّه دَخلَ المسجدَ فبالَ فيه ولم يُصلِّ ! أو لأنّه كانَ يَغتسلُ فى مبولة الحميرِ أو غير ذلك ! أو لأنّه كانَ يخطبُ فى عدةِ أماكن فى وقتٍ واحدٍ يدعو فيها إلى الشركِ ! .

ومن أرادَ المزيدَ من هذه الصورِ ، فليرجع إلى كتاب «طبقات الأولياء» للشعرانى، ففيه النقولُ الموضحةُ لذلك عنهم ، مع إقرارها .

وقد فاتَ هؤلاء الجهال أنَّ هناكَ أولياءَ للرحمنِ ، وأولياءَ للشيطان ، وأنّه لا يميّزُ بينهما إلا باستقصاء حالهما واستقرائه ، فإذا حدثت خارقةٌ لشخص مطيع للّه ، ملتزمٍ بحلاله وحرامه وشرعه ، يحافظُ على العبادة ، استبشرنا وقلنا : لعلّها كرامة له ، وإذا رأينا خارقةً وقعتَ لشخص لا يلتزمُ بشرعِ اللّه ، ولا يَقفُ عندَ حدود اللّه ، ولا يتورّعُ عمّا حرّمَ اللّهُ ، جزمنا بأنه من أولياء الشيطان ، قد عَملَ له هذا الشىءُ لكى يفتن به الناسَ ويضلّهم ويصرفَهم عن طريقِ اللّه تعالى ، وما أحسنَ قولَ من قالَ من السَّلف : «إذا رأيتَ الرَّجلَ يَطيرُ فى الهواءِ ، ويمشى على الماءِ ، وأمرُه يخالفُ الشريعةَ فاعلم أنه شيطان» .

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٤٩٥) .

المبحث التاسع

هل للأولياء تصرف فى الكون أو علم بالغيب ؟

لقد نفى الله – تعالى – عن خلقه كل صورة ممكنة من صور التصرف والملك ، ولا أحد من الخلق يملك ذرة فى هذا الكون ، ولا أحد منهم يشارك الله تعالى فى ملكه ، ولا أحد منهم يساعد الله تعالى فى تصريف شئون الكون ، ولا أحد منهم يملك حتى مجرد الشفاعة بغير إذن الله تعالى ، ولا أحد منهم يعلم الغيب إلا ما أعلمه الله به ، لا ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا ولىّ ولا غير ذلك ، وآيات القرآن مليئة بذلك ، فقد نفى الله تعالى كل هذه الصور فى قوله : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ الله لا يملكون مثقال ذرة فى السمٰوات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئًا وهم يُخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا﴾(٢) .

وقال عزّ وجلّ : ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقًا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾ (٣) .

وقال نافياً علم الغيب عن خلقه : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا . إلا من ارتضى من رسول﴾(٤) ، وقال أيضًا : ﴿قل لا يعلم من فى السمٰوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾(٥) ، ونفى علم الغيب حتى عن رسوله فقال: ﴿قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك﴾ (٦) .

فكل صور الملك والتصرف وعلم الغيب منفية عن الخلق جميعًا ، ليس لأحد منهم شىء من ذلك ، والآيات غير ما سبق كثيرة ، ومن هنا يتبين بطلان تعلق الجهال بالأولياء، وعدم استطاعتهم شيئًا من النفع أو الضر لمن تعلق بهم .

(١) سبأ: ٢٢-٢٣ .
(٢) الفرقان : ٣ .
(٣) العنكبوت : ١٧ .
(٤) الجن: ٢٦-٢٧ .
(٥) النمل : ٦٥ .
(٦) الأنعام : ٥٠ .

صور الغلو فى الأولياء :

لقد غلا الجهال فى الصالحين والأولياء ، ورفعوهم فوق منزلتهم التى أنزلهم الله إياها ، فمن ذلك :

١ – رفعهم إياهم فوق منزلة الأنبياء ، حتى قال قائلهم – وهو ابن عربى – : مقام النبوة فى برزخ ، فويق الرسول ودون الولىّ .

فخالف بذلك ما اتفقت عليه الأمة وأجمعت عليه من تفضيل النبى على الولى بل تفضيل نبى واحد على جميع الأولياء .

قال الإمام الطحاوى – رحمه الله – فى عقيدة أهل السنة والجماعة : «ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء – عليهم السلام – ونقول : نبى واحد أفضل من جميع الأولياء» ، انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٩٣) .

٢ – إسباغ بعض من خصائص الربوبية عليهم : فالأولياء عند هذا الصنف من الناس يعلمون الغيب ، ويتصرفون فى الكون ، فهذا غوث الأغواث ، وهذا قطب الوقت ، وهذا الوتد ، وغير ذلك ، وهم فى زعمهم ذلك يصطدمون مع نصوص الكتاب والسنة التى سبق ذكر بعضها فى المبحث السابق ، ولهذا تراهم ينتظرون منهم جلب النفع ، ودفع الضر ، وكشف الملمات وغير ذلك .

٣ – صرف العبادة إليهم : فهم يدعونهم ، ويستغيثون بهم ، فلا يستجيبون لهم، كما قال تعالى : ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ (١) .

وهم ينذرون لهم ، ويشتكون إليهم ما نزل بهم ، ويرفعون إليهم الحوائج ويتعلقون بهم تعلق العابد بمعبوده ، بل إنهم يهتفون باسمهم فى المصائب ، فيقعون بكل ذلك فى الشرك الأكبر الناقل عن ملة الإسلام .

(١) فاطر : ١٣-١٤ .

٤ – بناء الأضرحة لهم ، واتخاذ المساجد عليهم ، والطواف بها والتمسح ، وإبقاء السرج عليها ، وتعظيمها ، بل والحج إليها عوضًا عن حج بيت الله الحرام ، ويقبلونها وغير ذلك ، فيقعون فى لعنة الله ورسوله حيث قال : «**لعنةُ الله عَلَى اليَهُودِ والنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أنبيائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(١) .

والأحاديث الواردة فى النهى عما سبق ولعن فاعله لا تكاد تحصى .

٥ – نسج أساطير واختلاق الحكايات :

ومرادهم من ذلك ترسيخ مبدأ اللجوء للأولياء عند الضراء ، والاستغاثة بهم بزعم أن فلانًا تعرض لكذا وهتف باسم الولى فنجا ، أو أن فلانًا وقف عند القبر فأخرج الولى يده ومدها إليه ليقبلها وغير ذلك من الأساطير التى ملأت كتبًا كثيرة ولا أصل لها ، وما صح منها فإنما هو تلعب الشياطين بجهال الناس .

٦ – الوقوف موقف العداء من كل من يأمر بالقسط ، ويتوسط فى شأن الأولياء ، فيرمونه بأنه لا يعظم الأولياء ولا يحبهم ، ولا يحب أهل البيت ، ويبغضهم ... إلى آخر هذه الأوصاف ، وينسون أن محبتهم وتعظيمهم لا تكون بعبادتهم من دون الله ، وتأليههم ، وإنما بالتشبه بطاعة المتقين منهم ، والسير على دربهم ، واقتفاء أثرهم ، والاستغفار لهم والترحم عليهم ، وألا نرفعهم فوق منزلتهم التى أنزلهم الله – تعالى – إياها .

٧ – الحلف بهم ، فيقسم الواحد بسيده فلان وسيدته فلانة ، ناسيًا أن الحلف بغير الله – تعالى – شرك ، لأنه تعظيم للمخلوق من دون الله – تعالى – وغير ذلك من الصور ومظاهر الغلو .

وبعدما تقدم فالواجب على كل مسلم أن يتقى الله – تعالى – فى دينه ، وأن يتوسط فى شأن الأولياء فلا يؤذيهم ولا ينتقصهم ولا يسبهم ، بل يحبهم ويواليهم ،

---

(١) أخرجه البخارى (١/٦٣٣) ح ٤٣٥ ، ٤٣٦ فى الصلاة باب (٥٥) ومسلم (١/٣٧٧) ح ٥٣١ فى المساجد باب النهى عن بناء المساجد على القبور ، كلاهم من حديث عبيد الله عن عائشة وابن عباس مرفوعًا .

ولكن من غير غلو ، فلا يصرف لهم العبادة ولا يسبغ عليهم خصائص الربوبية وغير ذلك من مظاهر الشرك .

بل من الواجب أيضًا أن يحرص كل مسلم على أن يكون لله وليًا بملازمة الطاعة، وتحصيل التقوى والبعد عن المحارم حتى ينال تلك المنزلة عند الله تعالى .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

المبحث العاشر

الصوفية وأثرها على المجتمعات الإسلامية

فإن لفظ (الصّوفيــة) و(التّصوّف) من الألفاظ الحادثة التى لم تُـعرف فى الكتاب ولا فى السنة ، وليس لها أصل فيهمــا ، وكل ما ورد فى الشّرع هو كلمة (الزّهد) أو (الورع) . كما قال النبى ﷺ : **«ازْهَدْ فى الدُّنْيَا يُحبّك الله ، وازهَدْ فيمَا عندَ النّاسِ يُحبّكَ النّاسُ»**(١) . وكما فـى قوله ﷺ : **«كُن فِـى الدّنْيَا كـأنّكَ غَرِيبٌ أوْ عَـابِرُ سبيلٍ»**(٢) .

هـذا وقـد ألّف كثـير من الأئمة فى الزّهـد ، منهم الإمــام أحمد بن حنبل ، وعبد الله بن المبارك ، ووكيع بن الجراح ، وهنـاد بن السرى وغيرهــم - رحمهم الله جميعًا - لكنهم حرصوا على التقيّد بالشّرع حتى فى استعمال المصطلح وهو (الزهد)، ولم يستعملوا هذه المصطلحات الحادثة التى لا تخلو من أحد أمرين :

الأول : أن تكون دالة على معانى مخالفة لمـا جاء به الشرع ، فيكفى هذا دليلاً على بطلانها ووجوب اطراحها .

الثانى : أن تكون دالة على مـعانٍ مشروعة ، وفى هذه الحالة فالـواجب تسمية هذه المعانى المـشروعة بالأسماء التى سمـّاها بها الشرع ، ولا داعى لاستـعمال أسماء مجدثة حتى لا تفتح الباب للابتداع فى الدين ، والاستحسان بالرأى والهوى .

هذا وإن آفة التصوّف لما ظهرت وفشت بين المسلمين وعمّت بها البلوى ، تسببت فى أضرار بالغة على المسلمين ، من أهمها :

أولا : أنها ادخـلت على المسـلمين الكثيـر من العقائـد المنحرفة ، والـتصورات الفاسدة والشركية ، بـل وأصبح التصوف هو العباءة التى يرتديهـا كثير من الزّنادقة ، كأهل الحلول والاتحاد ، والقائلين بتناسخ الأرواح ، وغيرهم .

(١) أخرجه ابن ماجه والطبراني والحاكم .   (٢) أخرجه البخاري

ومن المظاهر الشركية التى وقع فيها كثير من المسلمين الجهّال والسُّذّج نتيجة لشيوع فكـرة التصوّف قـصدهم لـقبور وأضرحـة الصالحين وغـيرهم . وصـرف الكثيـر من العبادات إليها ، والتى لا تنبغى أن تُـصرف إلا لله ، كالذّبح لها أو عندها ، والطواف بها ، وطلـب الحوائج منها ، والاستـشفاع بها ، واللـجوء إليها لدفع الـضرّ أو جلب النفع ، وغير ذلك من أنواع العبادات . ويكفـى قول الشعرانى وهو من أئمة الصوفية فى كـتابه الجـوهر والدر : «إن الله تـعالى يـوكل بقبـر الولى مـلكًا يـقضى حـوائج الناس»(١) .

وقول بعض الصوفية : «قبر معروف الكرخى ترياق مجرّب» .

ومما هو شائـع عندهم طلب الإمداد من المـقبورين ، كقولهم : «مـدد يا سيدى أحمد البدوى ، مدد يا حسين ، مدد يا سيـدة ، مدد يا أم هاشم ، مدد يا عبد القادر الجيلانى . . . » إلخ .

كل هذا من الـشركيات الخطيرة الـتى وقع فيها الجهّـال من المسلمين باعـتقادهم التصرف فـى أناس ميتين ، لا حول لهـم ولا قوة ، ولم يكن لهم تـصرّف أصلاً فى حياتهم ، ولا نفع ولا ضرّ ، فكيف بعد موتهم ؟! .

بل ويظن بعـض الجهال أنهم بعد موتهـم أكمل منهم فى حال حـياتهم ، وأقدر على الـتصرف ، كقول الـقائل : «لا خيـر فيمن يحـجب بينه وبـين أحبابه شـبر من التراب» ، يقصد أنه حى فى قبره ، يسمع ويرى ويتصرف ، كما كان فى حال حياته ، وهذا والله هو الضّلال المبين ، والإفك المستبين .

ومما دفع الكثير من شيوخ التصوف إلى الـتلبيس على الجهال فى هذا الباب ، ما نالوه من الحُظوة والكـرامة عند الناس ، سواء فى حال حياتهم بمـا يأتيهم من أموال ، وبما يلـقونه من تعـظيم وتكريم مـن تابعيـهم ، بل إنهم قـد يركعون لهـم ! وكذا ما

(١) كتاب الجوهر والدر ، كما فى كتاب نفحات القرب والاتصال لأحمد الحموى ص ١٣

ينتظرونه بعد موتهم من مظاهر التقديس والعبادة التى تكون عند قبورهم ، فلله الأمر من قبل ومن بعد .

ثانيًا : ومن هذه الأضرار البالغة ما يظهر فى احتفالاتهم وموالدهم من المفاسد الخلقية العظيمة ، كاختلاط الرجال بالنساء ، ورقصهم وغنائهم ، وتبرّج النساء ، وشيوع شرب الحشيش والمخدّرات ، بل والزّنا ، بحيث إن هذه الموالد أصبحت فى كثير من الأحيان بمثابة مواسم وأسواق يقصدها أهل الفحش والزنا والفجور ، لمعاقرة كل أنواع الفواحش ، وأين كل هذا من دين الله - عز وجل - ؟! .

ثالثًا : ومن هذه الأضرار أن كثيرًا من الأجانب لما رأوا أفعال الصوفية واعتقاداتهم وتصرفاتهم فى هذه الموالد ، ومشاركة بعض المتنسبين إلى العلم لهم فى هذه الاحتفالات ممن لبسوا العمائم ، أساءوا الظنّ بدين الإسلام ، وقالوا : لا خير فى دين يأمر بهذا ويشرّعه لأهله .

وما درى هؤلاء أن الإسلام برىء من أفعال أولئك ، وما درى أولئك أنهم صدّوا عن سبيل الله بأفعالهم ، وأين كل هذا مما أمر الله به وشرعه لعباده ؟! .

رابعًا : أن هذه الفكرة - فكرة التصوف - تسببت فى تفريق شمل المسلمين إلى فرق وأحزاب ، وشيع ما أنزل الله بها من سلطان : **﴿إن يتّبعون إلا الظنّ وما تهوى الأنفس﴾**[1] .

وهل ظهرت هذه الأسماء بين الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم كالأئمة الأربعة وغيرهم ؟ كلا والله !! لقد استمسكوا جميعًا بحبل الله ، واعتصموا به ، فلم يقل أحد منهم : أنا نقشبندى ، أو رفاعى ، أو جيلانى أو غير ذلك ، ولا حتى عُمَرِىّ ، أو عُثْمَانى ، أو عَلَوِىّ ، وهم من هم رضي الله عنهم .

وكل هذه الأسماء تسبّبت فى تفريق شمل المسلمين وتحزبهم تحت رايات وأسماء

(١) سورة النجم : الآية (٢٣)

وهمية ، أو لا أهمية لها ، أو ما أنزل الله بها من سلطان ، وكل هذا كان من أسباب نزول البلاء وتسلط الأعداء .

خامسًا : يُعزى إلى الصوفية الفضل فى بث روح الكسل والخمول ، والتواكل بين المسلمين ، وعدم الجدّ فى أمور الدين والدنيا ، وعدم الأخذ بأسباب القوة فى مواجهة أعداء الإسلام ، حتى إنهم لم يُعرف عنهم وقوف فى وجه الأعداء كالتتار وغيرهم ، بل إن علماء أهل السنة - كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره - وقفوا فى وجه الكفر بالسّيف ، بينما اعتزل هؤلاء زعمًا منهم أن غزو التتار بلاء من الله ، ولا داعى لمحاولة مواجهة القدر الإلهى .

* * *

الفصل الخامس

تأملات ونظرات فى بعض المذاهب والفرق المعاصرة

المبحث الأول: نشأة الاختلاف والتفرق ، وأسباب ذلك .

المبحث الثانى: منهج الماتريدية فى العقيدة .

المبحث الثالث: مذاهب فكرية فى الميزان .

المبحث الأول

نشأة الاختلاف والتفرق وأسباب ذلك

كان الناس قبل مبعث النبي ﷺ في أعظم جاهلية وشر واختلاف وتفرق قد التبس عليهم الحق فتاهوا بين وثنية جائرة ونصرانية حائرة ويهودية مدمرة ومجوسية فاجره حتى لم يبق على الأرض من هو على الحق ، فكانوا كذلك حتى بعث الله محمدًا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فجمع به الشمل وألف به بين القلوب ، وكان ﷺ حريصًا أشد الحرص على أمته ، فما توفى إلا وقد نص على كل ما يعصم من المهالك نصاً قاطعًا للعذر ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾[1]. وقال النبي ﷺ : «**تركتُكُمْ عَلَى المحَجةِ البَيضَاء ، ليْلُها كَنَهارِهَا ، لا يزيغُ عنْها إلا هَالِكٌ**» .

قال الصحابي أبو الدرداء ﷺ : «خرج رسول الله ﷺ علينا فقال : **وايمُ الله لأتركَنَّكُمْ عَلَى مثل البيضَاء ليلُهَا كنَهَارِهَا سَوَاءٌ** ، فقال أبو الدرداء : صدق الله ورسوله، فقد تركنا على مثل البيضاء»[2] .

فلما مات الرسول ﷺ سار الصحابة ﷺ على ما عهد إليهم نبيهم ، فلم يتفرقوا بل كانوا جماعة واحدة ، فبحمد الله لم يحصل بينهم نزاع في العقائد يستوجب تخليل أو تفسيق بعضهم ببعض بل كانوا على عقيدة واحدة .

قال طاش كبرى زاده الحنفي : « إن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - كانوا في زمن النبي ﷺ على عقيدة واحدة ؛ لأنهم أدركوا زمان الوحي وشرف الصحبة»[3] .

---

(١) المائدة : ٣ .

(٢)أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٩) والحاكم في المستدرك (١/ ٩٦) .

(٣) مفتاح السعادة (٢/ ١٦١) .

وربما يحصل بينهم الاختلاف فى بعض مسائل الأحكام الفقهية فلا يوجب الفرقة والتفسيق أو التكفير ، بل هو اجتهاد منهم فى فهم النص فالمصيب منهم له أجران والمخطئ له أجر واحد .

متى نشأ الاختلاف والتفرق فى الأمة الإسلامية ؟

عرفنا أن الصحابة لم يحصل - ولله الحمد - بينهم نزاع واختلاف فى العقائد ، وهذا هو حال من هم من غير الصحابة من المسلمين ، فكانوا متفقين فى خلافة أبى بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان بن عفان ، لا تنازع بينهم .

إلى أن قام أهل الفتنة والضلال والبغى بقتل عثمان رضي الله عنه فتفرق المسلمون بعد ذلك ، وأول فرقة فارقت جماعة المسلمين وخرجت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه هى الخوارج فتبرأت من إمام المسلمين على رضي الله عنه وكفرته ومن معه من المسلمين ومعاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه ومن كان معه من المسلمين واستحلوا دماء المسلمين وأعراضهم ، وقد قال - عليه الصلاة والسلام - فى حقهم : «**تمرق مَارِقَةٌ عندَ فرقَةٍ مِنَ المسْلمينَ يقتُلُها أَوْلَى الطَّائفتَيْنِ بالحَقِّ**»[1] .

ثم ظهرت الشيعة الذين غلوا فى علىّ رضي الله عنه حتى زعموا أن النبى ﷺ نص على إمامته وكان رأس هذه البدعة عبد الله بن سبأ اليهودى الذى ادعى الإسلام ليتمكن من إفساده على أهله فزعم محبة البيت وغالى فى عليّ رضي الله عنه وادعى له الوصية بالخلافة ، ثم رفعه إلى مرتبة الألوهية .

وقد حارب أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب هذا المذهب الفاسد وقتل كل من يقول بمثل هذا القول، ثم توالى بعد ذلك ظهور البدع، فحدثت فى آخر عصر الصحابة بدعتا القدرية والمرجئة، وفى أواخر الدولة الأموية ظهرت الجهمية ثم المعتزلة.

أسباب نشأة الاختلاف والتفرق فى الأمة الإسلامية :

لقد أثرت مؤثرات خارجية وداخلية فى نشأة الاختلاف والتفرق فى الأمة

(١) أخرجه مسلم (٧/١٦٨) مع شرح النووى وأبو داود (٤/ ٣٠٠) .

الإسلامية ، وقبل أن أشرع فى ذكر هذه المؤثرات أحب أن أذكر أن الاختلاف والتفرق الذى تنشأ عنه الفرق هو الاختلاف فى أصول العقيدة لا فى الفروع والأحكام الفقهية[1] وإليك ذكر تلك المؤثرات :

أولاً : المؤثرات الداخلية : والمقصود بها المؤثرات النابعة من داخل العالم الإسلامى ومن ظروفه الخاصة وهى :

١ - الجهل بالدين :

إن أصل حدوث الاختلاف والتفرق فى الأمة الإسلامية من زمن الصحابة إلى يومنا هذا إنما هو الجهل بحقيقة الدين ومما يؤكد هذا ما روى عن إبراهيم التيمى أنه قال: «خلا عمر رضي الله عنه ذات يوم فجعل يحدث نفسه : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد ؟ فأرسل إلى ابن عباس رضي الله عنه فقال : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة وكتابها واحد ؟! قال : فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه ، وعلمنا فيم أنزل ، وأنه سيكون أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيم نزل ، فيكون لكل قوم فيه رأى فإذا كان كذلك اختلفوا»[2] .

قال الشاطبى المالكى : «ما قاله ابن عباس رضي الله عنه هو الحق ، فإنه إذا عرف الرجل فيم نزلت الآية أو السورة عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها ، فلم يتعد ذلك فيها ، وإذا جهل فيم أنزلت احتمل النظر فيها أوجهًا ، فذهب كل إنسان مذهبًا لا يذهب إليه الآخر ، وليس عندهم من الرسوخ فى العلم ما يهديهم إلى الصواب أو يقف بهم دون اقتحام حمى المشكلات ، فلم يكن بد من الأخذ

(١) انظر الاعتصام (٢/ ٢٠٠ ، ٢٠١) للشاطبى المالكى

(٢) الاعتصام (٢/١٨٣) .

بالرأى أو التأويل بالتخرص الذى لا يغنى من الحق شيئًا ، إذ لا دليل عليه من الشريعة فضلوا وأضلوا»[1] .

ولقد عرف السلف - رحمهم الله - ما للجهل من أثر بالغ فى اختلاف الأمة وتفرقها فحذروا منه وجاهدوا فى قطع أسبابه .

روى ابن عبد البر عن أبى الدرداء أنه قال :

«ما لى أرى علماءكم يموتون وجهالكم لا يتعلمون ؟! لقد خشيت أن يذهب الأول ولا يتعلم الآخر . لو أن العالم طلب العلم لازداد علمًا ، ولو أن الجاهل طلب العلم لوجد العلم قائمًا ، ما لى أراكم شباعًا من الطعام جياعًا من العلم»[2] .

وقال الحسن البصرى : «العامل على غير علم كالسائر على غير طريق ، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح فاطلبوا العلم طلبًا لا يضر بترك العبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا يضر بترك العلم ، فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا»[3] .

قال الشاطبى : «يعنى الخوارج .. لأنهم قرءوا القرآن ولم يتفقهوا» .

ومن أهم الأسباب التى تؤدى إلى الجهل الذى ينجم عنه التفرق والاختلاف :

أن يعتقد الإنسان فى نفسه أو يُعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد فى الدين ولم يبلغ تلك الدرجة ، فيعمل على ذلك ، قال النبى ﷺ فى مثل هؤلاء : «لا يقبض الله العلمَ انتزاعًا ينتزِعُهُ من النَّاسِ ولكن يقبضُ العلْمَ بقبضِ العُلَمَاءِ حتَّى إذا لمْ يبقَ عالم اتخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالا فسُئِلُوا فأفتوا بغَيْرِ عِلْمٍ فضَلُّوا وأضَلُّوا»[4] .

(١) الاعتصام (٢/ ١٨٣) .
(٢) جامع بيان العلم وفضله ، ص ٥٧٩ .
(٣) الاعتصام (٢/ ١٧٥) .
(٤) أخرجه البخارى (١/ ١٩٤) ومسلم برقم ٢٦٧٣

٢ - الجهل باللغة العربية واصطلاحاتها :

إن عدم فهم اللغة العربية فهمًا صحيحًا كما تقتضيه قواعدها كان من المؤثرات الداخلية القوية فى حدوث الاختلاف والافتراق فى الأمة ، وذلك أن الله - عز وجل - أنزل القرآن عربيًا لا عجمة فيه ، وكان المنزَّلُ عليه القرآن عربيًا أفصح من نطق بالضاد وهو محمد بن عبد الله ﷺ ، وكان الذين بعث فيهم عربًا أيضًا ، فجرى الخطاب به على معتاد فى لسانهم .

فلما دخل كثير من العجم فى الإسلام وأرادوا أن يفهموا القرآن بلسانهم ومنطقهم وقعوا فى التخبط والاضطراب ، ولو استقرينا أهل البدع من المتكلمين وغيرهم وجدناهم من أبناء العجم ممن ليس لهم أصالة فى اللسان العربى ولغة العرب، فغيلان الدمشقى - وهو أول من تكلم بنفى القدر - كان مولى لآل عثمان بن عفان، والجعد بن درهم الذى أنكر صفات الله الواردة فى الكتاب والسنة كان مولى بنى الحكم، وجهم بن صفوان كان من موالى بنى راسب ، وكذا واصل بن عطاء وعمر بن عبيد وغيرهم.

قال الحسن البصرى عن مثل هؤلاء : «إنما أهلكتهم العجمة ، يتأولونه على غير تأويله»[1] .

وقال الإمام الشافعى : «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس»[2] .

٣ - اتباع الهوى :

نهى الله - سبحانه وتعالى - عن اتباع الهوى ، وهو ليس سبيل المؤمنين بل هو سبيل المشركين وطريقهم ، لهذا قال الله - تعالى - فيهم ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[3] .

(١) صون المنطق ص ٢٢ .
(٢) صون المنطق ص ١٥ .
(٣) الجاثية : ٢٣ .

وقد كان السلف يسمون أهل البدع والآراء المخالفة للكتاب والسنة بأهل الأهواء؛ لأنهم تركوا الكتاب والسنة ولم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها والتعويل عليها ، حتى يصدروا عنها ، بل قدموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظور فيها ، فما وافق عقولهم أخذوا به ، وما لم يوافق عقولهم تأولوه بتأويلات فاسدة وأساءوا الظن بما صح عن النبى ﷺ وحسنوا ظنهم بآرائهم الفاسدة.

٤ - ظهور الجدل فى الدين :

نهى النبى ﷺ عن الجدل فى الدين وحذر منه ، فعن أبى أمامة الباهلى ﷺ قال : قال رسولُ الله ﷺ : «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إلا أُوتُوا الجَدَلَ» ثُمَّ تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لكَ إلا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[١] .

ولقد امتثل الصحابة والسلف أمر النبى ﷺ فلم يتماروا فى الدين ولم يجادلوا، وحذروا المسلمين من المراء والجدال وأمروهم بالأخذ بالسنن ، ولكن لما بعد العهد وافترقت الأمة انفتح باب الجدل ، فقام السلف بتحذير المسلمين من الجدال والخصومات فى الدين، قال الإمام أبو يوسف صاحب الإمام أبى حنيفة رحمهما الله:

«الخصومة فى الدين بدعة . . . لو كانت فضلاً لسبق إليها أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم ، فهم كانوا عليها أقوى ولها أبحر ، قال الله تعالى : ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾[٣] ولم يأمره بالجدال»[٤] .

ثانياً : المؤثرات الخارجية :

ويقصد بالمؤثرات الخارجية المؤثرات النابعة من خارج المجتمع الإسلامى،

(١) الزخرف : ٥٨ .
(٢) أخرجه الترمذى برقم ٣٢٥٠ وأحمد فى المسند ٢٥٢
(٣) آل عمران : ٢٠ .
(٤) الفتاوى ١٦/ ٤٧٥

كالنصارى واليهود ، فإن سوسن النصرانى أثر على معبد الجهنى حتى قال بنفى القدر وتبعه أصحاب فقيل عنهم : فرقة القدرية .

وكذا اليهود أثروا على الجعد بن درهم حتى قال بنفى الصفات الإلهية وتبعه جهم بن صفوان فقيل عنهم فرقة الجعدية أو الجهمية .

وتأثرت الشيعة بأفكار عبد الله بن سبأ اليهودى ، فهو أول من دعا إلى فكرة القداسة التى نسبت إلى علىّ ، وكذا القول بالرجعة والبدء والطعن فى الصحابة وغير ذلك ، ويعترف بهذا كبار علماء الشيعة المتقدمين كالقمى[١] والنوبختى[٢] والكشى[٣] .

هذا والله أسأل العصمة من الخطأ وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

(١) المقالات والفرق ص ٢٠ .
(٢) فرق الشيعة : ٤٤
(٣) رجال الكشى : ص ٩٨ ، ٩٩ .

المبحث الثانى

منهج الماتريدية فى العقيدة

مقدمة :

إن من رحمة الله تعالى بخلقه ، وحكمته في صنعه، أن جعل فى كل شىء من هذا الكون أدلة واضحة ، وبراهين ساطعة على وحدانيته وخلقه وقدرته ، كما قال تعالى : ﴿أَولَمْ ينظُرُوا فى مَلَكُوت السَّمَوات والأرْض وَمَا خَلَقَ الله من شَىْء وأنْ عَسَى أن يكُونَ قَد اقْتَرَبَ أجلُهُم فَبأيِّ حَديث بَعْدَهُ يُؤْمِنُون﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وفى أنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أنَّهُ الحقُّ﴾(٢) .

وكما قال تعالى : ﴿وفى الأرْضِ آياتٌ للمُوقنِين . وفى أنفُسكُمْ أفلا تُبْصرُون . وفى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ومَا تُوعَدُون﴾(٣) .

ولله در الشاعر إذ قال :

فواعجبًا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحد الجاحد
ولله فى كل تحريكة ... وتسكينة أبدًا شاهد
وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه الواحد

فكل شىء فى السماء والأرض ، وفى أنفسنا ، كل شىء ناطق بوجود الخالق الحق - سبحانه وتعالى - وقدرته ووحدانيته ، ولو أن الناس تُركوا دونما مؤثرات خارجية لنشئوا كلهم على الإسلام ، إذ هو الفطرة الصحيحة ، كما قال تعالى : ﴿فطرَتَ الله الَّتى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (٤) . والإنسان عندما يتأمل فى هذا الخلق من

(١) الأعراف: ١٨٥ .
(٢) فصلت : ٥٣
(٣) الذاريات : ٢٠-٢٢ .
(٤) الروم : ٣٠ .

حوله يتوصل إلى وجود الخالق ضرورة كما سئل أعرابى : كيف عرفت ربك ؟ قال : البعرة تدل على البعير وأثر السير يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أفلا تدل على اللطيف الخبير ؟ فالإنسان لولا ما يحيط به من مؤثرات ما ضل أحد عن هذه الفطرة الصحيحة ، كما قال النبى ﷺ : «ما من مَوْلُود إلا يُولَدُ عَلَى الفطرَة ، وأبَوَاهُ يُهَوِّدَانه أوْ يُنَصِّرَانه أوْ يمجِّسَانه ..»(١) وكما فى الحديث القدسى الصحيح : «وإنِّى خَلَقْتُ عِبَادى حُنَفَاءَ كُلَّهُم ، وإنهُمْ أتتهُمُ الشَّيَاطِينُ فاجْتَالَتْهُم عَن دينهمْ ..»(٢) .

فالإنسان ليس بحاجة إلى قواعد علم الكلام ، وإلى استدلالات الفلاسفة والنظار وغيرهم حتى يتوصل إلى الإقرار بوجود الله تعالى ، فإن هذا لشىء جبلت عليه النفوس ، وفطرت عليه العقول .

ولكن قد ضلت فى هذا الباب طوائف ، فلم يأتوا الأمر من بابه ، ولم يعقلوا عن الله تعالى فى كتابه ، وظنوا أن الإنسان لا يتوصل إلى معرفة ربه وخالقه إلا بسلوك طريق الفلاسفة والمتكلمين ومن يسمون بالنظار ، فابتدعوا فى الدين ما لم يأذن به الله ، وقلدوا الفلاسفة من الكفار ومدعى الإسلام وفتحوا على الدين أبواب شر ما أغلقت إلى يومنا هذا ، فضلوا ضلالاً مبينًا ، نفوا عن الله مراده من وصفه نفسه ، وتأولوا كل ذلك ، وأعملوا عقولهم حيث ما كان ينبغى أن تعمل ، لأن لها حداً لا تتجاوزه ، فإذا كانت العقول عاجزة عن إدراك كنه الله - تعالى - فهى عاجزة كذلك عن إدراك كيفية صفاته ، ولم يكتف هؤلاء بما اكتفى به السلف الأوائل من إثبات الصفات كما أثبتها الله تعالى ورسوله ﷺ ، دون أن يشبهوا أو يعطلوا أو يؤولوا ، فاعتقدوا لسقيم عقولهم أن الإثبات يقتضى التشبيه والتمثيل ، وأن التنزيه يقتضى

(١) أخرجه البخارى ، كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبى (٣/٢١٩) (١٣٥٩) ومسلم ، كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٤/٢٠٤٧) ح (١٣٥٩) كلاهما من طريق أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة .
(٢) أخرجه مسلم (٤/٢١٩٧) ح (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار ﷺ مرفوعًا كتاب الجنة باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار .

التعطيل والتأويل ، فعطلوا معانى الصفات ، فألحدوا فيها ، فكم ضلوا وأضلوا، وكم من فارغ القلب قد أغووه وفتنوه ! وكم من جاهل مفتون قد أضلوه ! .

وهكذا ضلوا فى أول الأمر حيث أوجبوا على الإنسان أن يعرف ربه بعلم الكلام ولم يجوزوا التوصل إلى معرفة الخالق والاستدلال عليه بمجرد النظر فى الآيات الكونية، ثم ضلوا فى باب الصفات وغيره من أبواب العقيدة ، قدموا العقل على النقل وعلى كتاب الله - تعالى - وسنة نبيه ﷺ ، فلهثوا وراء عقولهم ، إن وافقها النقل قبلوه ، وإن بدا أنه يخالفها ردوه وأولوه ، وما دروا أن صحيح النقل لا يتعارض أبدًا مع صريح العقل ، وإنما أتى هؤلاء من قبل عقولهم السقيمة ، وزعموا أن الأدلة العقلية قطعية ، والأدلة النقلية ظنية ، فكم ردوا من النصوص ! وكم أولوا وعطلوا ! وكم حرفوا وألحدوا ! استحوذت عليهم الشياطين فهم ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1].

وهكذا عاشوا فى حيرة وشك واضطراب حتى قال قائلهم :

نهاية إقدام العقول عقال ... وغاية سعى العالمين ضلال

وأرواحنا فى وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

أما سلف هذه الأمة الصالحون رحمهم الله ، فإن قلوبهم ركنت إلى نصوص الشرع المطهر، واطمأنت إليها ، فعقلوا عن الله مراده ، وسلكوا الطريق السوى المستقيم ، واستسلموا للوحى المعصوم ، وركنوا إلى ركن ركين ، وإلى حصن متين ، ففهموا النصوص ، وتمسكوا بما دلت عليه واعتصموا بهديها ، فلم يحرفوا ولم يؤولوا ، ولم يلهثوا وراء عقول البشر التى قد تخطئ وتصيب ، وكانوا أمناء فى الدعوى إلى الكتاب والسنة علمًا وعملاً .

(١) الكهف : ١٠٤

ومن الفرق الكلامية التى ضلت فى هذا الباب «الماتريدية» وقد هالنى ادعاء بعضهم أن أهل السنة والجماعة[1] هم الأشعرية والماتريدية ورموا السلف بالتجسيم والتشبيه[2] .

هذا وإن سلف هذه الأمة لما أثبتوا لله - تعالى - ما وصف به نفسه ، وما وصفه به رسوله ﷺ ، إنما كانوا قائلين بما قال الله به ، ساكتين عما سكت الله عنه ، وهل يخطئ من وقف عند حدود القرآن إذا صح قولهم بأن مثبت اليدين مجسم فإن الذى أثبت اليدين هو الله تعالى ، ولو جار قولهم بأن مثبت الاستواء مُشبِّه ، فليعلموا أن مُثْبِتَ الاستواء هو الله تعالى ، فهل يجرؤ مسلم على اتهام القرآن أو السنة المطهرة بالتشبيه والتجسيم ؟ إن زاعم التجسيم والتشبيه فى إثبات الصفات على ما ثبتت به هو جاهل ضال ، ألا ترى أن الله تعالى لما أثبت لنفسه فى كتابه صفات أراد من خلقه أن يقولوا بما قال به سبحانه ، وأن يسكتوا عما سكت عنه ، وإذا كان ما ذهب إليه هؤلاء حقًا فما الذى منع القرآن أن يصرح بهذه المعانى ، وإنما يعبر الإنسان بلفظ يحتمل معنيين : معنى حقيقيًا ومعنى مجازيًا ، ويريد المجازى إذا كان بقصد التلبيس على السامع ، أو للخوف من التصريح بالمعنى المراد ، أو للعجز عن التعبير بلفظه الأصلى، وهذه كلها منتفية ومستحيلة فى حق القرآن كما ترى ، والذى يدعى وجود ذلك فى آيات الصفات الواردة فى القرآن ، إنما هو مفترٍ على الله تعالى وعلى كتابه وكلامه ، وقد قال نعيم بن حماد شيخ الإمام البخارى - رحمهما الله تعالى - : «من شبه الله بخلقه كفر ، ومن نفى عن الله ما وصف به نفسه كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه تشبيه» .

(١) شرح الإحياء للزبيدى (٢/٢ - ٣ ، ٦) الروضة البهية ص ٣ مقدمة الكوثرى لتبين كذب المفترى ص ١٩ ، مقدمة إشارات المرام ص ٧ ، معارف السنن للبنورى (١٤٣/٤) ، حاشية الكستلى على شرح العقائد النسفية ص ١٧ ، حاشية الخيالى على شرح العقائد النسفية ص ٢٢١ ، رد المحتار (٤٩/١) .

(٢) انظر كتاب التوحيد للماتريدى ص ٢٣ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ٣١٨ ، ٣٣١ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٩١ ، تاويلات أهل السنة للماتريدى (٨٣/١) ، أصول الدين لأبى اليسر البزدوى ٢٨ ، ٧٨ ، ٢٥٣ ، شرح العقائد النسفية ص ٤١، ١٣٩ ، شرح الإحياء للزبيدى ١١/٢ ، ٥٨ ، ١٠٥ .

هذا وإن حقيقة التشبيه والتجسيم هى أن تثبت الصفة لله على الوجه والكيفية المعلومة من البشر ، وهذا لعمر الله ما قال به أحد من السلف الصالح - رضوان الله عليهم - بل السلف إنما يثبتون الصفة كما أثبتها الله تعالى وعلى المعنى اللائق به - عز وجل - دونما تكييف ولا تمثيل ، فالله تعالى لم يحدد لنا الكيفية فلا يجوز أن نتكلم فيها ، إذ هى من المغيّبات التى لا تعرف بالعقل ، فإنا نعتقد عدم المشابهة بين الله وخلقه ، كيف لا وقد قال تعالى : ﴿ليسَ كَمثْله شىءٌ وهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾[1] فأين التمثيل والتجسيم فى مثل هذا الكلام ؟ تعالىَ اَللّه عما يقولون عُلُواً كبيراً ﴿سبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [2] .

هذا مع العلم أنا نظرنا فلم نر الصحابة بشروا بعلم الكلام ولا دعوا إليه ، ولا تابعوهم مع من تبعهم ، بل ورد عن الكثير من الأئمة النهى عن تعاطى علم الكلام والتحذير منه ، ولم نر من يجمع بين اليقين الحق وبين علم الكلام ، وهل يمكن موعظة الناس بعلم الكلام ؟ وهل يؤثر فى قلوب العوام والسذج ؟ بالطبع لا .

بل إن علم الكلام قرين للشك والارتياب . والحيرة والاضطراب ، فهل سائلنا ربنا يوم القيامة عن عقائد النسفية ، أو (المواقف) للإيجى ، أو (التوحيد) للماتريدى ؟ حاشا لله ، بل إن بعضهم كان آخر كلامه كان عند موته على اعتقاد العجائز ، إن الله سائلنا عن اتباعنا لنبيه ﷺ وأصحابه من بعده وتابعيهم ، وما علمنا هم أبداً أصحاب كلام ولا مدحوه ولا قرظوا أهله ولا زكوهم أبدًا ، بل الثابت عنهم عكس ذلك .

من هنا وجدت لزامًا علىّ أن أجمع عقيدة الماتريدية فى كتاب صغير يسهل على القارئ العادى الإلمام بعقائدهم ليكون منها على حذر ، وذلك مع تنبيه أهلها ليرجعوا عن غيهم وضلالهم ، وأتبعت ذلك بإشارة لطيفة موجزة لمعتقد أهل السنة فى كل باب حتى يعرف المسلم مواقع قدميه .

---

(١) الشورى : ١١ .
(٢) النور: ١٦

وقد قسمت الموضوع إلى بحثين :

الأول : فى بيان منهج أبى منصور الماتريدى وأتباعه فى الاستدلال والتلقى .

الثانى : فى بيان عقائد الماتريدية على سبيل الإجمال .

والله أسأل أن ينفع به المسلمين وأن يجعله فى ميزان أعمالنا ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

المبحث الأول

بيان منهج أبى منصور وأتباعه فى الاستدلال والتلقى

(أ) مصدر التلقى عند الماتريدية :

ترى الماتريدية أن مصـدر التلقى الأول فى معظم أبواب التوحـيد هو العقل دون النقل[١] وذلك لأن الأدلة العقلية عندهم قطعية[٢] أما السمعية فإنما هى ظواهر ظنية[٣] .

وأما إذا حدث تعارض بين أدلة عقلية وسمعية فـإنهم يقدمون الأدلة العقلية لأنها قطعية ، وأما الأدلة السمعية فإن مصيرها التأويل أو التفويض لأنها بزعمهم ظنية[٤] .

فلقد ساق الزبيدى نصوص صفتى الاستـواء والنزول ، وسماها «الظواهر» مقننًا قانونًا كليـاً فى إبطال تلك الصفات وتأويـل نصوصها وتقديم العقل عـليها ، قال فى الجواب عنها : «وأجيب عنه بجواب إجمالى ، هو كالمقدمة للأجوبة التفصيلية : وهو أن الشرع إنما ثـبت بالعقل . . . فـلو أتى الشرع بما يكـذب العقل وهو شاهـده لبطل الشرع والعقل معًا ، إذا تقرر هذا فنقـول : كل لفظ يرد فى الشرع . . . وهو مخالف للعقل . . . إما أن يتواتر أو ينقل آحاداً ، والآحاد إن كان نصّاً لا يحتمل التأويل قطعنا بافتـراء ناقله أو سـهوه أو غلطـه ، وإن كان ظاهراً فـظاهره غيـر مراد . . . وإن كان متواتراً فلا يتصور نص لا يحتمل التأويل بل لابد أن يكون ظاهراً . . .»[٥] .

(١) قسمت الماتـريدية أصول الدين بحسـب مصدر التلقى إلى عقـليات وسمعيات ، فما سـموه عقليات فمصـدر التلقى عندهم هو العقل ، والعقل أصل والنقل تابع معارض له ، وهذا جار فى معظم أبواب التوحيد والصفات .
وما سموه سمعيات فمصدر التلقى عندهم هو النقـل والعقل تبعًا له كعذاب القبر والصراط والميزان وأحوال الآخرة . انظر على سبيل المثال أحد كتبهم وهو المسايرة مع شرحها المسامرة ، فمن أول الكتـاب إلى ص ٢٤٩ عقليات ثم بعد ذلك سمعيات . وانظر العقائد النسفية مع شرحها للتفتازانى من أول الكتاب إلى ص ٩٨ عقليات ثم بعد ذلك سمعيات.

(٢) انظر إشارات المرام ص ١٨٩ - ١٩٩ وشرح العقائد النسفية ص ٥ ، ٤٢ ، ونشر الطوالع ص ٢٢٨ ، وشرح الموقف (٨/ ٢٤) .

(٣) انظر حاشية عبد الحكيم على الخيالى ص ١٨٤ مع المصادر المذكورة فى الفقرة السابقة .

(٤) إشارات المرام ص ١٩٩ وشرح العقائد النسفية ص ٤٢ ونشر الطوالع ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ والمسايرة ص ٣٣ ، ٣٥.

(٥) شرح الإحياء للزبيدى الحـنفى الماتريدى ص (٢/ ١٠٥ ، ١٠٦) وانظر أصل هذا القانون الكـلى فى تبصرة الأدلة ص ٥٤ ، وراجع أيضًا شرح المقاصد للتفتازانى (٢/ ٥٠) ، الطبـعة التركية وانظر شرح المواقف للجرجانى ص (٢/ ٥٦ ، ٥٧)

والقاعدة عندهم أن كل نص إذا أخبر به الصادق وهو أمر ممكن ولم يكن مخالفًا فلا يؤول كالبعث والـنشر ونعيم الجنة وعذاب النار ، أما إذا كـان النص دالا على أمر محال مخالف للعقل فلابد من تأويله كـعلو الله تعالى واستوائه على عرشه ونزوله إلى سماء الدنيا فى ثلث الليل الآخر[١] ويقولون : إن النصوص إذا كانت خلاف العقل فإن كانت متواترة فهى وإن كانـت قطعية الثبوت لكنها ظنية الدلالة ، فالـعقل مقدم عليها فلذلك الأدلة النقلية تؤول أو تُفَوّضُ .

أما الأدلة العقلية فلا تأويل لها بل تأويلها محال[٢] .

وقد ساق التفتازانـى عدة آيات الصفات ، ثم ذكر قانونًا كلـياً فى الجواب عنها ، فقال : «والجواب : أنـها ظنيات سمعيـة فى معارضة قطعيـات عقلية ، فيقطـع بأنها ليست على ظـاهرها ، ويفوض العلم بمعانـيها إلى الله ، مع اعتقاد حقيـقتها ، جريًا على الطريق الأسلم ، . . . . ، أو تؤول تأويلات مناسبة موافقة لما عليه الأدلة العقلية على ما ذكر فى كتب التفسير ، وشروح الأحاديث ، سلوكًا للطريق الأحكم»[٣] .

فالحاصل أن منهج الماتريدية فى نصوص الوحى منهج فاسد باطل لأنه صريح فى أن العقل أصل والشرع فـرع ؛ لأن نصوص الشرع إذا كانت مخالفة لعـقولهم فهم إما أن يردّوها أو يؤولـوها أو يفوضوها ، لذلك أولـوا نصوص كثير من الصـفات وأبقوا نصوص المـعاد على ظواهرهـا ، فلو كانت نصـوص المعاد عندهم مـخالفة لعقـولهم لأولوها ، وهذا كما ترى انحراف عن الطريق المستقيم .

فالواجب عـلى كل مسلم أن يجعـل ما قال الله ورسوله هو الأصـل والعمدة ، فيسـلم بنصوصهـما وينقاد لهـما ولا يعترض علـيهما ولا يعارضـهما برأيه ومعـقوله وقياسه .

(١) انظر النبراس فى شرح العقائد النسفية ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٢) انظر شرح العقائد النسفية ص ٥ ، ٤٢ ، وشرح المواقف (٨/ ٢٤ ، ١١٠ ، ١١١) وإشارات المرام ص ١٨٩ - ١٩٩ وشرح الإحياء (٢/ ١٠٥ ، ١٠٦) ، ونشر الطوالع ص ٢٣٨ .

(٣) شرح المقاصد ٢/ ٥٠ ط القديمة الحجرية الهندية .

* **قال الطحاوى** : فى بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبى حنيفة وصاحبيه : «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام»(١) .

* **وقال أبو المظفر السمعانى** : «اعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل ، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول وجعلوا الاتباع والمأثور تبعًا للمعقول ، وأما أهل السنة، قالوا : الأصل فى الدين الاتباع ، والمعقول تبع ، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحى وعن الأنبياء - صلوات الله عليهم - ولبطل معنى الأمر والنهى ، ولقال من شاء ما شاء ، ولو كان الدين بنى على المعقول وجب ألا يجوز للمؤمنين أن يقبلوا أشياء حتى يعقلوا»(٢) .

* **وقال الشاطبى** : «إن الشريعة بينت أن حكم الله على العباد لا يكون إلا بما شرع فى دينه على ألسنة أنبيائه ورسله ، ولذلك قال تعالى : **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾** (٣) .

وقال : **﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾** (٤) .

وقال : **﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾** (٥) .

وأشبه ذلك من الآيات والأحاديث ، فخرجت عن هذا الأصل فرقة زعمت أن العقل له مجال فى التشريع وأنه محسّن ومقبح فابتدعوا فى دين الله ما ليس فيه»(٦) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية بتعليق الألبانى ص ٢٧ .
(٢) صون المنطق ص ١٨٢ عن السمعانى .
(٣) الإسراء : ١٥ .
(٤) النساء : ٥٩ .
(٥) الأنعام: ٥٧ .
(٦) الاعتصام (١/٤٥) .

* **وقال ابن أبى العز** : «وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس ، حيث لم يسلم لأمر ربه بل قال : **﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾**(١) .

وقال تعالى : **﴿وَمَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾** (٢) .

وقال تعالى : **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** (٣) .

وقال تعالى : **﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** (٤) .

أقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا نبيه ويرضوا بحكمه ويسلموا تسليمًا(٥) .

لكن ليس معنى ذلك أن السلف يرفضون العقل ويهملونه بل يعملونه فى عالم الشهادة لا فى عالم الغيب إلا على سبيل الإجمال دون التفصيل ، ولا يثبتون بالعقل حكمًا شرعيًا فعندهم للعقل مع الشرع ثلاث حالات :

الأولى : أن يدل على ما دل عليه الشرع فيكون شاهدًا أو مؤيدًا ومصدقًا فيحتجون حينئذ بدلالة العقل على من خالف الشرع، وفى القرآن من هذا النوع أى من الأدلة العقلية شىء كثير كأدلة التوحيد والنبوة والمعاد فتلك الأدلة هى عقلية شرعية.

* **قال ابن تيمية** : «إن كثيرًا مما دل عليه السمع يعلم بالعقل أيضًا والقرآن يبين ما يستدل به العقل ويرشد إليه وينبه عليه كما ذكر الله ذلك فى غير موضع .

فإنه - سبحانه وتعالى - بين من الآيات الدالة عليه وعلى وحدانيته وقدرته وعلمه وغير ذلك مما أرشد العباد إليه ودلهم عليه كما بين أيضًا ما دل على نبوة أنبيائه

(١) الأعراف : ١٢ . (٢) النساء : ٨٠ . (٣) آل عمران: ٣١ .
(٤) النساء : ٦٥ . (٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٠ ، ١٩١ .

وما دل على المعاد وإمكانه فهذه المطالب هى شرعية من جهتين :

* من جهة أن الشارع أخبر بها .

* ومن جهة أنه بين الأدلة العقلية التى يستدل بها عليهما والأمثال المضروبة فى القرآن هى أقيسة عقلية وقد بسط فى غير موضع ، وهى أيضًا عقلية من جهة أن تعلم بالعقل أيضًا»[1] .

الحالة الثانية : أن لا يدل على ما دل عليه الشرع لا نفيًا ولا إثباتًا ، فحكم العقل إذًا جواز ما جاء به الشرع .

والحالة الثالثة : أن يدل العقل على خلاف ما جاء به الشرع فيكون معارضًا له فهذا ما لا يكون مع صحة النقل ، ولهذا قال أهل السنة : إن العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح وقالوا : إن الرسل جاءوا بمحارات العقول لا بمحالات العقول، أى أن الرسل لا يخبرون بما يحيله العقل ولكن يخبرون بما يجيزه العقل ويحار فيه وهذا تحديد موقف أهل السنة من العقل مع الشرع .

(ب) حكم تأويل النقل :

لقد خالف الماتريدية جماهير السلف الصالح فقالوا بالتفويض تارة تفويضًا مطلقًا بل صرح أبو منصور الماتريدى أن آيات الصفات كالحروف المقطعة مثل الم ، المص وفى هذا يقول : «فى الحقيقة إنها تحتمل وجوهًا :

أحدها : أن نَصِفَهُ بالذى جاء به التنزيل على ما جاء ونعلم أنه لا يشبه على ما ذكر من الفعل فيه بغيره ، ... وإذا بطل هذا بطل التشابه وانتفى ، ولزم أمر السمع والتنزيل على ما أراد الله»[2] .

ويرى أنه يمتحن المرء بالوقوف حول نصوص الصفات كما يمتحن بالوقوف حول الحروف المقطعة[3] .

(١) مجموع الفتاوى (٣/ص أ بعد ص ٨٨) .
(٢) تأويلات أهل السنة (١/ ٨٤) ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة .
(٣) كتاب التوحيد للماتريدى ص ٧٤ ، ٧٥

ويقول : وأما الأصل عندنا فى ذلك أن الله تعالى قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] فيجب القول بالرحمن على العرش استوى على ما جاء به التنزيل وثبت ذلك فى العقل ... ونؤمن بما أراد الله به وكذلك فى كل أمر ثبت التنزيل فيه نحو الرؤية وغير ذلك ، يجب نفى الشبهة عنه والإيمان بما أراده من غير تحقيق على شىء دون شىء»[2] .

وتارة يقول بالتأويل : وفى هذا يقول أبو منصور الماتريدى : «والثانى أن يمكن فيه معان تخرج الكلام مخرج الاختصار والاكتفاء بمواضع إفهام فى تلك المواضع على إتمام البيان ، وذلك نحو قوله : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾[3] أى بالملك .

وذلك كقوله : ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾[4] .. أى بربك ﴿فَقَاتِلا﴾ إذ مَعلوم أنه يقاتل بربه ففهم منه ذلك .....»[5] .

ويقول : «قد يُفْهمُ من الشاهد من (على) ومن (العرش) ومن (الاستواء) معان مختلفة، لم يجز صرف ذلك إلى أوحش وجه وثمة لأحسن ذلك مساغ»[6] .

ويعنى بأوحش الوجوه ما تدل عليه النصوص من إثبات صفة الاستواء ، فالإثبات من أوحش الوجوه عند هذا الماتريدى ، لأن ذلك يستلزم التشبيه والله منزه عن ذلك.

لذا يرى صرف تلك النصوص بنوع من التأويل والمجاز إلى أحسن الوجوه – وهو فى الحقيقة تحريف ومن أقبح الوجوه – وقد طبق الماتريدى منهجه هذا فقد أوّل نصوصًا من الصفات إلى معان توافق قاعدته ، فأوّل صفة الاستواء إلى الاستيلاء

(١) الشورى: ١١ .
(٢) كتاب التوحيد للماتريدى ص ٧٤ .
(٣) الفجر : ٢٢ .
(٤) المائدة : ٢٤
(٥) تأويلات أهل السنة (١/ ٨٤)
(٦) كتاب التوحيد للماتريدى ص ٧٤ .

والتمام[1] والعلو إلى علو المرتبة وعلوه عن الأمكنة وتعاليه عن الحاجة وتعاليه عن أن يخفى عليه شيء[2] .

ويرد استدلال أئمة السلف بنصوص الاستواء وبرفع الأيدى إلى السماء وقت الدعاء ويحرفه إلى أن المراد فى رفع الأيدى إلى السماء أن السماء قبلة للدعاء تعبداً كتوجه المصلى إلى الكعبة وقت الصلاة[3] .

ومن هنا عُلم علماً يقينياً أن أبا منصور الماتريدى لم يلتق مع أئمة السلف فى رفضهم للتأويل مما يؤكد عدم توافقه معهم .

فالسلف الصالح لم يؤولوا هذه النصوص ، بل أثبتوها وأقروها كما جاءت ، وأثبتوا لها المعانى الحقيقية التى دلت عليها ، ولم يصرفوها عن هذه المعانى بتعطيل ولا بتأويل ، بل أثبتوا المعانى الحقيقية ، ولكنهم إنما فوضوا علم الكيفية لله تعالى ، إذ أثبتت النصوص صفات وأفعالاً غير أنها لم تتحدث عن الكيفية ،فالسلف يثبتون ما أثبته الله ، ويسكتون عما سكت الله عنه وهذا هو الصواب ، ولكن السلف عندهم التأويل على معانٍ :

١ - التفسير وبيان معنى الشيء كما يقول الطبرى : «القول فى تأويل هذه الآية» .

٢ - الحقيقة التى يصير إليها الشيء وعاقبة الشيء كما قال تعالى : ﴿هذا تأويلُ رؤيايَ من قبل﴾ [4] .

وقال : ﴿يومَ يأتى تأويلُه﴾[5] وقال : ﴿ذلكَ خيرٌ وأحسنُ تأويلاً﴾ [6] .

(١) كتاب التوحيد للماتريدى ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ .
(٢) كتاب التوحيد ص ٧٠ ، ٧١ .
(٣) كتاب التوحيد ص ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ .
(٤) يوسف : ١٠٠ .
(٥) الأعراف: ٥٣ .
(٦) النساء: ٥٩ ، الإسراء : ٣٥ .

أما تأويل من أوّلَ النصوص الشرعية على غير ما دلت عليه فهذا مردود عند السلف كما تقدم .

(جـ) علم الكلام بين القبول والرفض :

أولا - موقف السلف من علم الكلام :

يقوم علم الكلام على دعامتين أساسيتين هما اتخاذ العقل أساساً - ومن هنا يوجبون تقديمه على النقل - والجدل .

ومن الطبيعى أن يرفض الأئمة علم الكلام بعد ما عرفوه حيث أدركوا خطورته على الدين وضرره على العقيدة خاصة ، ومن هنا كان السلف ينهون عن الجدل وطلب الدين بالكلام ، ولا بأس أن أذكر نصاً واحداً عن كل منهم .

* قال أبو حنيفة لأحد أصحابة لما سأله عن العرض قال : «دع مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة»[1] .

* لذا قال محمد بن الحسن : «كان أبو حنيفة يحثنا على الفقه وينهانا عن الكلام»[2] .

* ويقول فى هذا ابن خزيمة : «.... أبو حنيفة ومحمد بن الحسن وأبو يوسف .. ينهون عن الخوض فيه - يعنى الكلام - ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة»[3]. وقال الإمام مالك بن أنس : «الكلام فى الدين أكرهه ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه ، نحو الكلام فى رأى جهم والقدر وكل ما أشبهه ذلك ..»[4] .

* وقال الشافعى : «لأن يبتلى الله المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير من أن يبتليه بالكلام»[5] .

(١) ذم الكلام (ق ١٩٤ - ب) .
(٢) ذم الكلام (ق ٢٣٣ - ب) عن ابن خزيمة .
(٣) ذم الكلام (ق ١٩٩٦ - ب) .
(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ٤١٥ ط دار الكتب الإسلامية .
(٥) مناقب الشافعى لابن أبى حاتم ص ١٨٢ .

* وقال البزدوى : «ونحن نتبع أبا حنيفة فإنه إمامنا . . . وإنه كان يُجَوِّزُ تعليمه وتعلمه والتصنيف فيه ، ولكن فى آخر عمره امتنع عن المناظرة فيه ونهى أصحابه عن المناظرة فيه»[1] .

وقد يتشبث بعض من يشتغل بعلم الكلام من الحنفية فى الفرار عن أقوال أبى حنيفة فى ذم الكلام ، بأن مراد أبى حنيفة وكل من ذم علم الكلام من السلف هو علم الكلام المذموم الذى كان عليه الجهمية والمعتزلة أما علم الكلام الذى ينتحلونه فلا يدخل تحت ذلك الذم لأنه علم كلام محمود[2] .

والجواب عن هذا الإشكال أن علم الكلام كله مذموم ليس فيه حسن وسيئ ، ومثل صاحب هذه الشبهة مثل من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة .

والبرهان على ذلك أن علم الكلام الذى ذمه السلف وذموا المشتغلين به ذمًا شديدًا هو علم الكلام الذى من نتيجته وثمرته نفى صفات الله . كالعلو والاستواء والنزول ، والقول بخلق القرآن ، والقول بالكلام النفسى ، والقول بتقديم العقل على النقل ، وهذا كله موجود عند المتكلمين المتأخرين من الماتريدية والأشاعرة أيضًا .

* قال الإمام أحمد : «لا أحب الكلام فى هذا إلا ما كان فى كتاب الله أو حديث عن رسول الله ﷺ ، أو الصحابة أو التابعين ، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود»[3] .

* وقال ابن القيم : «قال شيخنا : والكلام الذى اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه وذم أصحابه والنهى عنه وتجهيل أربابه وتبديعهم وتضليلهم هو هذه الطرق الباطلة التى بنوا عليها نفى الصفات والعلو والاستواء على العرش وجعلوا بها القرآن مخلوقًا ونفوا بها رؤية الله فى الدار الآخرة وتكلمه بالقرآن وتكليمه لعباده ونزوله كل ليلة إلى

(١) أصول الدين للبزدوى ص ٤ .
(٢) انظر شرح العقائد النسفية للتفتازانى ص ٧ ، وشرح الإحياء (٢/ ٥٢ ، ٥٣)
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٥٥) .

السماء الدنيا ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده ، فإنهم سلكوا فيه طرقًا غير مستقيمة واستدلوا بقضايا متضمنة بالكذب فلزمهم بها مسائل خالفوا بها نصوص الكتاب والسنة وصريح المعقول»[1] .

فلا شك أن ما هم عليه داخل فى علم الكلام المذموم الذى ذمه السلف .

لذا يقول شيخ الإسلام فى معاصريه من المتكلمين : «وهم فى الحقيقة لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا»[2] .

ويقول فيهم : «يسفسطون فى المعقولات ويقرمطون فى السمعيات»[3] .

ثانيا - موقف أبى منصور الماتريدى وأتباعه من علم الكلام :

أما موقف أبى منصور الماتريدى وأتباعه من علم الكلام فهو على خلاف منهج أهل السنة ، فقد توغلوا فى علم الكلام واعتقدوا أنه هو العلم الحق؛ بل هو أشرف العلوم وأعلاها لأنه منجٍ من غياهب الشكوك وظلمات الأوهام[4] .

وإليك شواهد تصدق ما قلناه :

١ - أن الإمام الماتريدى ألف كتابًا فى التوحيد وهو مطبوع متداول ، وكل من نظر فيه عرف أنه كتاب الفلسفة والمنطق والكلام . وهو مكتظ بتعطيل الصفات وتحريف نصوصها ، فهو ليس كتاب توحيد فى الحقيقة بل كتاب تعطيل للنصوص الشرعية. وهو شاهد عدل على ما قلناه .

٢ - أن الإمام أبا منصور الماتريدى ، لأجل توغله فى علم الكلام ألف فى تفسير القرآن كتابًا بعنوان : «تأويلات أهل السنة» والناظر فيه يعرف بسهولة أنه مكتظ بعلم الكلام وتعطيل كثير من الصفات وتحريف نصوصها ، فهو حريٌّ بأن يسمى «تأويلات أهل البدع» لأن تأويل الصفات ليس بمذهب السلف فى شىء .

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٦٦ ، ١٢٦٧) .
(٢) شرح حديث النزول ص ١٦٣ ومجموع الفتاوى (٥/ ٣٣ ، ٣٤) وجامع الرسائل (٢/ ٣٣) .
(٣) شرح حديث النزول ص ١٦٩ ومجموع الفتاوى (٣/ ٩) .ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ٢١٨) والتدمرية ص ١٩ .
(٤) انظر شرح العقائد النسفية للتفتازانى ص ٢ ، ٣ .

٣ - أن هناك جمعًا غفيراً من الماتريدية أفنوا أعمارهم وأنهكوا قواهم فى علم الكلام درسًا وتدريسًا أمثال أبى اليسر البزدوى وأبى المعين النسفى ونور الدين الصابونى ونجم الدين النسفى وحافظ الدين النسفى والتفتازانى والجرجانى وكمال الدين البياضى وعبد العزيز الفريهارى ، كل هؤلاء يعظمون علم الكلام ويرونه أساسًا للدين .

٤ - أنهم أثنوا وبجلوا علم الكلام فى مقدمات كتبهم وإليك نصاً واحداً على سبيل المثال :

* قال التفتازانى شارح العقيدة النسفية : «فإن مبنى علم الشرائع والأحكام وأساس قواعد الإسلام هو علم التوحيد والصفات الموسوم (بالكلام) المنجى من غياهب الشكوك وظلمات الأوهام»[1] .

ومن هنا علمنا يقينًا أن الماتريدية لم يلتقوا مع السلف فى رفضهم علم الكلام ، بل نجد أنهم توغلوا فى علم الكلام ولم يسلكوا طريقًا غيره ، وهكذا بمقارنة منهج الماتريدى وأتباعه بمنهج السلف وجدنا أن السلف يثبتون ما تدل عليه نصوص الكتاب والسنة ولا يتعدون عنهما أو يتجاوزونهما برأى أو تأويل ، ولم يعطلوا النصوص أو يهملوها ، بينما يظهر لنا بُعد الماتريدى وأتباعه عن منهج السلف حيث جعلوا العقل أصلاً وقدموه على الشرع وصرفوا النصوص الشرعية بتأويلاتهم العقلية المحتملة واتخذوا علم الكلام مطية ذلك .

ومن هنا كان الخلاف بين المنهجين واضحًا وإذا كان الأمر هكذا فى المنهج فماذا عن التطبيق ؟ .

هذا ما سأتناوله فى الفقرة التالية إن شاء الله .

* * *

(١) شرح العقائد النسفية ص ٢ ، ٣

المبحث الثانى

بيان عقائد الماتريدية إجمالاً

(أ) الاستدلال على وجود الله :

سلك أئمة السلف طريقة القرآن الكريم فى الاستدلال على وجود الخالق مستغنين بها عن أدلة المتكلمين من معاصريهم ومناهجهم ، فقد استدلوا بالفطرة السليمة المضطرة بطبعها إلى الإقرار بوجود الله تعالى والاعتراف بالخالق ، وإن طرأ فساد على هذه الفطرة فقد يزول بالتذكير والتعليم والإرشاد ، ومن هنا كانت مهمة الأنبياء والدعاة إلى الله الدعوة والتذكير والإرشاد .

وترتكز دلالة الفطرة عند الأئمة على نوعى الآيات فى الأنفس والآفاق .

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِم آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وفِى أَنفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾[1].

فالتفكير فى ملكوت السموات والأرض وفى الأنفس هو الطريق إلى الاستدلال على الخالق بالمخلوق .

وقال تعالى : ﴿وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا﴾[4].

فهذه النصوص الشرعية تثبت العقيدة فى النفوس عن طريق مخاطبة الفطرة ، وبهذا يمكن الاستغناء بها عن الطرق الكلامية الغامضة .

(١) فصلت : ٥٣ . (٢) الذاريات : ٢١ . (٣) الطارق : ٥-٧ (٤) عبس : ٢٤-٢٦ .

هذا ملخص لمنهج السلف للاستدلال على وجود الله .

أما أبو منصور الماتريدى فقد استدل على وجود الله بالآتى :

طريقة الحدوث :

ومن أشهر أدلة المتكلمين فى الاستدلال على الله دليل الحدوث ، وهو إثبات حدوث العالم وذلك أن العالم عندهم جواهر وأعراض ، والجواهر لا تنفك عن الأعراض ، والأعراض حادثة وما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث ، فالعالم إذن حادث.

* **قال أبو منصور الماتريدى** : «الأعيان حادثة بشهادة الخبر والحس والعقل .. فأما الخبر فما ثبت عن الله - تعالى - من وجه يعجز البشر عن دليل مثله لأحد إنه أخبر أنه خالق كل شىء وبديع السموات والأرض وأن له ملك ما فيهن .... وعلم الحس وهو أن كل عين من الأعيان يُحس مُحاط بالضرورة مبنى[1] بالحاجة والقدم هو شرط الغنى لأنه يستغنى بقدمه عن غيره والضرورة والحاجة يُحوجانه إلى غيره فلزم به حدوثه . وعلى ذلك طريق علم الاستدلال مع أنه لا يخلو الجسم من حركة أو سكون وليس لهما الاجتماع فيزول من جملة أوقاته نصف الحركة ونصف السكون وكل ذى نصف متناه على أنهما إذ لا يجتمعان فى القدم لزم حدوث أحد الوجهين ويبطلانه أن يكون محدثًا فى الأزل لزم فى الآخر وفى ذلك حدوث ما لا يخلو عنه .. ودليل آخر أن العالم لا يخلو من أن يكون قديمًا على ما عليه أحواله من اجتماع وتفرق بحركة وسكون وخبيث وطيب وحسن وقبيح وزيادة ونقصان وهن حوادث بالحس والعقل ، إذ لا يجوز اجتماع الضدين فثبت التعاقب وفيه الحدوث وجميع الحوادث تحت الكون بعد إن لم تكن فكذلك ما لا يخلو عنها ولا يسبقها أو كان إنشاء عن أصل لا بهذه الصفة أو انتقل إليه باعتراضها فيه فإن كان كذلك ثبت أن هذا العالم حادث»[2] .

(١) قال محقق الكتاب فى الحاشية : غير منقوطة فى الأصل ، ويظهر والله أعلم أن الصواب (منبىء) .
(٢) كتاب التوحيد ص ١١ - ١٣ بتصرف .

فإذا ثبت حدوث الأجسام فالأجسام لا تجتمع ولا تفترق بنفسها ولا هى قادرة على إصلاح ما فسد منها فى حال قوتها وكمالها وإذا كانت الطبائع المتضادة المتنافرة لا تجتمع بنفسها فلابد من قاهر يقهرها على غير طبعها وهو الله[1] .

فيتضح مما سبق أن الماتريدى يستدل على وجود الخالق بحدوث الأجسام المبنى على حدوث الأعراض وهى طريقة عقيمة تقوم على مقدمات غامضة بعيدة إذ لابد لهم لتحقيق هذه الطريقة من أمور سبعة :

١ - إثبات الأعراض .
٢ - إثبات لزومها للجسم .
٣ - إبطال حوادث لا أول لها .
٤ - إلزام حوادث لا نهاية لها .
٥ - إثبات الجوهر الفرد .
٦ - إلزام كون العرض لا يبقى زمانين .
٧ - إثبات تماثل الأجسام[2] :

ومعلوم أن إثبات هذه المقدمات كلها تعتمد على مباحث طويلة وإبطال الشبهات حولها ، ودون ذلك خرط القتاد فكيف يكون مثل هذه المقدمات الخفية الصعبة على الأفهام دليلاً على ما هو أوضح من كل شىء[3] .

فإثبات وجود الله لا يحتاج إلى أمثال هذه المقدمات الخفية البعيدة عن الأفهام بل الله - سبحانه وتعالى - دليل على كل شىء وعلى هذا فَطَر بنى آدم إذ وجوده أوضح لدى الفطر السليمة من الشمس فى رابعة النهار ، ولنعم ما قال القائل :

(١) انظر كتاب التوحيد ص ١٧ - ١٩ بتصرف .
(٢) انظر مختصر الصواعق : ١/ط مكتبة الرياض الحديثة ، وص ١٢٨ ط/دار الندوة الجديدة .
(٣) راجع مناهج الأدلة لابن رشد ص ١٣٥ - ١٣٧ ، ومفتاح دار السعادة (١٩٩/٢ - ٢٠٠) ، ط/ دار الكتب العلمية

ولـيـس يـصـح فـى الأذهـان شـىء

إذا احـتـاج الـنـهـار إلـى دلـيـل[1]

وأعظم ما فى طرقهم من الفساد أن الأدلة التى أقاموها على إثبات وجود الله هى فى الحقيقة أدلة على نفى الله بل على امتناعه[2] .

ومن أعظم ما يدل على فساد هذه الطريقة أنها هى التى نُفيت بها الأفعال الاختيارية ، بل نفت الجهمية عن الله سائر صفاته وهى ثابتة بالسمع والعقل ، فأسماؤه وصفاته حق وكل ما يدل على نفى الحق فهو باطل .

* **قال ابن القيم** : «فلزمهم من سلوك هذه الطريقة إنكار كون الرب فاعلا فى الحقيقة وإن سموه فاعلا بألسنتهم فإنه لا يقوم به عندهم فعل ، وفاعل بلا فعل كقائم بلا قيام ، وضارب بلا ضرب وعالم بلا علم . وضم الجهمية إلى ذلك أنه لو قام به صفة لكان جسمًا ، ولو كان جسمًا لكان حادثًا ، فيلزم من إثبات صفاته إنكار ذاته فعطلوا صفاته وأفعاله»[3] .

وكذلك يستدل أبو منصور الماتريدى بدليل آخر هو : ما فى هذا العالم من حكم عجيبة ونظام دقيق وتناسق بديع وكل هذا يدل على أن للعالم خالقًا مدبرًا حكيمًا[4] .

ومن هنا يتفق مع السلف فى الاستدلال بالمخلوق على الخالق ويختلف معهم فى الاستدلال بحدوث الأجسام المنبئ عن حدوث الأعراض .

(ب) التوحيد :

ويتناول أنواع التوحيد وأول واجب على المكلف .

(١) مدارج السالكين (١/ ٧١) ، الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٢١) .
(٢) راجع رسالة فى الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل (٢/ ٣٢) ، وضمن مجموع الفتاوى (٦/ ٢٣٩)، والصواعق المرسلة (٩٦٢ – ٩٨٨) ، ومختصر الصواعق (١/ ١٩٦ – ٢٠١) ، ط دار الرياض الحديثة ، وص ١٢٦ – ١٣٠ ، ط دار الندوة الجديدة .
(٣) مختصر الصواعق (١/ ١٩٩ ، ٢٠٠) .
(٤) انظر كتاب التوحيد ص ٢١ – ٢٣ ، ٢٩ .

أولاً – أنواع التوحيد :

التوحيد عند السلف معروف بأقسامه الثلاثة : وهى توحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ، وهو أول واجب على المكلف عندهم ، وهذا الكلام مشهور فى كتبهم قاطبة .

أما عند الماتريدية فالتوحيد أنواع ثلاثة :

١ – توحيد فى الذات ، فالله لا قسيم له أى لا يتبعض ولا يتجزأ[1] .

٢ – وتوحيد فى الصفات ، فالله لا شبيه له .

٣ – وتوحيد فى الأفعال والصنع ، فالله لا شريك له .

وفى ذلك يقول الملا على قارى : «واحد فى ذاته واحد فى صفاته وخالق لمصنوعاته»[2] .

* **ويقول البابرتى** : «وعبّر بعض أصحابنا عن التوحيد فقال : هو نفى الشريك والقسيم والشبيه ، فالله تعالى واحد فى أفعاله لا يشاركه أحد فى إيجاد المصنوعات وواحد فى ذاته لا قسيم له ولا تركيب فيه وواحد فى صفاته لا يشبه الخلق فيها»[3] .

* **ويقول الغنيمى الحنفى** : «الواحد صفة سلبية تقال على ثلاثة أنواع :

الأول : الوحدة فى الذات والمراد بها انتفاء الكثرة عن ذاته تعالى بمعنى عدم قبولها الانقسام .

والثانى : الوحدة فى الصفات والمراد بها انتفاء النظير له – تعالى – فى كل صفة من صفاته .

والثالث : الوحدة فى الأفعال والمراد بها انفراده – تعالى – باختراع جميع الكائنات»[4] .

(١) انظر العقائد النسفية مع شرحها للتفتازانى ص ٣٩
(٢) ضوء المعانى ص ١٣ .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية للبابرتى ص ٢٩ .
(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية للغنيمى ص ٤٨ .

ولا يخفى أن من تدبر فى توحيد الماتريدية يتبين له ما يلى :

أولا - أنه لا يوجد عندهم توحيد الألوهية ولا اهتموا به مع أن توحيد الألوهية هو المقصد الأعلى والهدف الأسمى من خلق الكون وما فيه وإنزال الكتب وإرسال الرسل .

ثانيًا - اهتمامهم الكبير بتوحيد الربوبية ، فقد جعلوه هو المقصد الأعلى والغاية العظمى مع أنه أمر فطرى لم يختلف فيه أهل الملل والنحل .

ثالثًا - قصدهم بتوحيد الذات أن الله لا يتجزأ ولا يتبعض بل هو سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد[1] .

وهذا حق ، لكنهم أدخلوا فيه نفى كثير من الصفات كالوجه واليدين وأدخلوا فيه نفى علو الله على خلقه واستوائه على عرشه ، فهم يظنون أنه لو ثبت لله هذه الصفات لكان الله مركبًا مبعضًا فكلامهم هذا من قبيل كلمة حق أريد بها باطل .

ثانيًا - أول واجب على المكلف :

أول واجب على المكلف عند السلف شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

أما الماتريدية فقالوا : إن أول واجب على المكلف النظر والاستدلال المؤدى إلى المعرفة بالله وأن معرفة الله[2] واجبة بالعقل ولو لم يكن الشرع[3] ، وهم مقلدون فى هذا المعتزلة .

* **يقول القاضى عبد الجبار المعتزلى** : «فاعلم أن الدلالة أربعة : حجة العقل ، والكتاب والسنة ، والإجماع ، ومعرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل»[4] . وقال: «إن سأل سائل فقال : ما أول ما أوجب الله عليك ؟ فقل : النظر المؤدى إلى معرفة

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٠) .
(٢) إشارات المرام ص ٨٤ وضوء المعانى ص ٨٩ وشرح العقيدة الطحاوية للبابرتى ص ٣٠ .
(٣) إشارات المرام ص ٥٣ ، نظم الفرائد ص ٣٥ ، شرح الإحياء (٢/ ١٩٠ - ١٩٣) .
(٤) شرح الأصول الخمسة ص ٨٨ .

الله تعالى ، لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة فيجب أن نعرفه بالتفكير والنظر»[1] .

فقولهم : إن أول واجب هو النظر مخالف للصواب فالقرآن ليس فيه أن النظر أول الواجبات ولا فيه إيجاب النظر على كل أحد وإنما فيه أمر العباد[2] . بالنظر فى خلق السموات والأرض .

قال تعالى : ﴿**أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِى أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**﴾[3] .

ثم إن النبى ﷺ ، لم يدعُ أحدًا من الخلق إلى النظر ابتداء ولا إلى مجرد إثبات الصانع بل أول ما دلهم إليه الشهادتان[4] . وبذلك أمر أصحابه ، من ذلك قوله لمعاذ لما بعثه إلى اليمن : «**إنَّك تأتى قومًا أهلَ كتاب فليكن أوَّلَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إلَهَ إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله** ...»[5] فأول ما يدعى إليه الكافر الشهادتان ، هذا ما اتفق عليه أئمة الدين وعلماء المسلمين .

* **قال ابن المنذر** : «أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وأن كل ما جاء به محمد حق وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام - وهو بالغ صحيح يعقل - فإنه مسلم ، فإن رجع بعد ذلك فأظهر الكفر كان مرتدًا»[6] .

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٣٩ .
(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٨) .
(٣) الروم : ٨ .
(٤) انظر درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٦) .
(٥) رواه البخاري
(٦) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٧) .

وشهادة أن لا إله إلا الله هى أول واجب فى الشرائع ، فكل نبىٍّ يقول لقومه : ﴿اعبُدُوا الله مَا لكُم مِّنْ إله غَيْرُه﴾ [1].

وقال عن جميعهم : ﴿ولقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولا أن اعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [2] .

(جـ) الصفات :

لقد ضيق الماتريدى وأتباعه دائرة الإثبات وتظاهر بإثبات ثمانى صفات فقط هى: «الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام والتكوين»[3] .

ولكن الحقيقة أنهم لم يثبتوا تلك الصفات الثمانى كلها بل أثبتوا بعضها ونفوا بعضها .

أما صفتا السمع والبصر فعامتهم يثبتونهما وبعضهم يرجعهما إلى غيرهما[4] .

وإما إثباتهم[5] لصفة الإرادة فليس كإثبات أبى حنيفة والسلف .

* **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** : «وإثبات إرادة كما ذكروه لا يعرف بالشرع ولا العقل بل هو مخالف للشرع والعقل ، فإنه ليس فى الكتاب والسنة ما يقتضى أن جميع الكائنات حصلت بإرادة واحدة بالعين تسبق جميع المرادات بما لا نهاية له وكذلك سائر ما ذكروه»[6] .

أما صفة الكلام فقد تظاهروا بإثباتها ولكنهم فى الحقيقة من أشد الناس تعطيلاً لها وتحريفًا لنصوصها ؛ لأنهم لم يثبتوا لله الكلام الذى دل عليه الدليل من الكتاب

(1) هود : ٦١ . (2) النحل : ٣٦ .
(3) إشارات المرام ص ١٠٧ ، ١١٤ .
(4) كابن الهمام فى المسايرة ص ٦٩ ، إذ أرجعهما إلى صفة العلم .
(5) قال شارح العقيدة النسفية : «آمر وناه ومخبر يعنى أنه صفة واحد تتكثر بالنسبة إلى الأمر والنهى والخبر باختلاف التعلقات كالعلم والقدرة وسائر الصفات فإن كل منها واحدة قديمة والتكثر والحدوث إنما هو فى التعلقات والإضافات ذلك أليق بكمال التوحيد» شرح العقائد النسفية ص ٥٥ ، ٥٦ .
(6) دره تعارض العقل والنقل (٨/ ٢٨٣) .

والسنة بل أثبتوا لله - سبحانه وتعالى - ما يسمونه بالكلام النفسى الذى لا يسمع وليس بحرف ولا صوت[1] .

بل ليس إلا صفة للأخرس فلا يعرف هذا - أى الكلام النفسى - وأول من أحدثه ابن كلاب ثم تبعته الماتريدية والأشعرية[2] أما صفة التكوين فهى عندهم مرجع لجميع صفات الأفعلية المتعدية كالإحياء والإماتة والتخليق ، وهى إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود ، فهم وإن تظاهروا بإثبات هذه الصفة لكنهم فى الحقيقة لا يعتبرونها صفة حقيقية لله تعالى ؛ لأنهم يزعمون أن الصفات الفعلية ليست قائمة بالله فرارًا عن حلول الحوادث به[3] .

فالحاصل أن الماتريدية لا يثبتون من الصفات الثبوتية إلا صفة الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والتكوين على اضطراب فى بعضها واختلاف فى بعضها ، أما ما عداها فهم يعطلونها مثل صفة الوجه واليدين والاستواء والنزول والغضب والرضا والمحبة ، والكلام ، والعلو .

فعطلوا صفة الوجه وصرفوا نصوصها إلى الذات[4] والوجود[5] وعطلوا صفة اليدين وصرفوا نصوصها إلى كمال القدرة[6] أو الملك والمنة[7] .

(1) انظر كتاب التوحيد للماتريدى ص ٥٨ ، ٥٩ ، تبصرة الأدلة (١١٨/ب) والبداية من الكفاية ص ٦٠ - ٦١ ، العقائد النسفية ص ٥٣ - ٥٨ ، وأصول الدين للبزدوى ص ٦١ ، وإشارات المرام ص ١٣٨ - ١٣٩ ، وبحر الكلام ص ٢٩ - ٣٠ .
(2) انظر المواقف ص ٢٩٣ ، والإنصاف ص ٩٦ - ٩٧ ، والإرشاد ص ١٢٨ - ١٣٧ .
(3) انظر التمهيد ص ٢٨ ، البداية للصابونى ص ٦٧ - ٧٣ ، شرح العقائد النسفية ص ٥٣ ، ٦٣ ، ٦٩ ، المسايرة ص ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩ وإشارات المرام ص ٥٣ ، ٢١٢ ، وشرح الفقه الأكبر للقارى ص ٢٢ ، ٢٥ ، النور اللامع ق ٤٨ ب .
(4) انظر مدارك التنزيل للنسفى (٢/ ٦٧٠) ، وتفسير أبى السعود (٧/ ٢٨) .
(5) إشارات المرام ص ١٨٩ .
(6) إشارات المرام ص ١٨٩ .
(7) بحر الكلام ص ٢٠ .

وعطلوا صفة الاستواء وصرفوا نصوصها إلى الاستيلاء[1] وعطلوا صفة النزول وصرفوا نصوصها إلى اللطف والرحمة[2] .

وعطلوا صفة الغضب وصرفوا نصوصها إلى الانتقام[3] أو إرادة الانتقام[4] .

وعطلوا صفة الرضا وصرفوا نصوصها إلى الثواب[5] ، وعطلوا صفة المحبة وصرفوا نصوصها إلى إرادة الثواب[6] أو الرضا[7] .

عطلوا صفة الكلام التى هى الحق وأثبتوا لله صفة الكلام النفسى التى هى الباطل[8] وعطلوا صفة العلو ونفوها تمامًا وأولوا نصوصها إلى علو الرتبة والمكانة[9] .

وأما منهج السلف فكما هو معروف «إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل» وذلك بمقتضى قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وهذا هو الصراط المستقيم فى باب صفات الله ، إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل مع تفويض الكيفية وإثبات المعنى اللائق بالله كما قال الإمام مالك : «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[10] .

---

(١) انظر كتاب التوحيد للماتريدى ص ٧٢، وأصول الدين للبزدوى ص ٢٩، اتحاف السادة المتقين (٢/١٠٧- ١٠٨).
(٢) شرح المواقف (٨/ ٢٥) .
(٣) انظر عمدة القارى (٢٥/ ١١٥) .
(٤) انظر مدارك التنزيل (١/ ٦) .
(٥) انظر شرح الفقه الأبسط لأبى الليث السمرقندى ص ٣٣ .
(٦) انظر عمدة القارى (٢٥/ ٨٤ ، ١٥٥) .
(٧) انظر مدارك التنزيل (١١/ ٢٠٩) .
(٨) انظر كتاب التوحيد للماتريدى ص ٥٨ ، والبداية للصابونى ص ٦٠ ، ٦١ ، إشارات المرام ص ١٣٨ - ١٣٩ ، المسايرة مع المسامرة ص ٨٢ - ٨٣ ، نشر الطوالع ص ٢٥٥ ، ضوء المعالى ص ٢٩ ، أصول الدين لأبى اليسر البزدوى ص ٦١ ، تبصرة الأدلة (١١٨/ب) ، التمهيد ٢٣ - ٢٨ كلاهما لأبى المعين النسفى ، العمدة (٧/أ - ب) ، لحافظ الدين النسفى، والعقائد النسفية لعمر النسفى مع شرحها للتفتازانى ٥٣ - ٥٨ ، بحر الكلام ص ٢٩ .
(٩) شرح المواقف (٨/ ٢٤ - ٢٥) ، وشرح الفقه الأكبر للقارى ص ١٧١ .
(١٠) الحلية (٦/ ٣٢٥ ، ٣٢٦) وأخرجه أيضًا الصابونى فى عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٧ - ١٨) وابن عبد البر فى التمهيد (٧/ ١٥١) والبيهقى فى الأسماء والصفات ص ٤٠٨ ، وقال الحافظ فى الفتح (١٣/ ٤٠٦) : «إسناده جيد» .

(د) الإيمان :

مباحث الإيمان من الأمور التى اعتركت الآراء حولها قديمًا وحديثًا ، والماتريدية لهم موقف من الإيمان وافقوا فى بعض نواحيه أئمة السلف ووافقوا فى البعض الآخر الإمام أبا حنيفة مع مخالفتهم للأئمة الآخرين بينما خالفوا الجميع فى أمور أخرى .

وإليك بيان ذلك :

- الموافقات :

اتفقت الماتريدية مع أبى حنيفة فى الأمور الآتية :

أولاً - إخراج العمل عن مسمى الإيمان[1] .

ثانيًا - عدم زيادة الإيمان ونقصانه[2] .

ثالثًا - تحريم الاستثناء[3] .

واتفقوا مع السلف عمومًا فى عدم تكفير صاحب الكبيرة[4] .

- المخالفات :

إن مفهوم الإيمان عند الإمام أبى حنيفة مركب من أمرين : التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، فالإقرار باللسان شطر من الإيمان وداخل فيه بينما هو عند جماهير السلف من أهل الحق تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح وهذا هو الحق

---

(١) انظر كتاب التوحيد للماتريدى ص (٣٣٢ ، ٣٧٣ - ٣٧٧) والبداية للصابونى ص ١٥٢ والعقائد النسفية مع شرحها للتفتازانى ص ١١٩ وأصول الدين للبزدوى ص ١٥٣ ، وشرح المقاصد (٥/ ١٧٦) ، العمدة للنسفى ص (١٧/ ١).
(٢) انظر أصول الدين للبزدوى ص ١٥٣ ، بحر الكلام للنسفى ٤١ - ٥٢ ، البداية من الكفاية ص ١١٥ ، والعقائد النسفية مع شرحها للتفتازانى ص ١٢٣ - ١٢٨ ، العمدة للنسفى ص (١٧/أ) .
(٣) انظر كتاب التوحيد للماتريدى ص ٣٨٨ - ٣٩٢ ، والمسايرة ص ٣٨١ - ٣٨٥ ، البحر الرائق (٢/ ٤٦) ، البداية ص ١٥٥ ، شرح الفقه الأكبر ص ٢٠٨ - ٢١٢ ، بحر الكلام ص ٤٠ .
(٤) انظر كتاب التوحيد ص (٣٣٣ - ٣٣٤) ، والعقائد النسفية مع شرحها للتفتازانى ص (١٠٦ - ١٠٨) ، وبحر الكلام ص (٤٣ - ٤٤) .

الذى دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وتضافرت على الدلالة عليه . أما الماتريدى وجمهور أتباعه[1] فقد جعلوا الإقرار باللسان خارجًا عن حقيقة الإيمان ، فالإيمان عندهم هو التصديق[2] غير أنهم جعلوا الإقرار شرطًا لإجراء الأحكام الدنيوية فقط[3] .

وهذا النوع من الإرجاء الغالى .

(هـ) القـــدر :

لم تختلف الماتريدية فى مسائل القدر عن أئمة السلف ، وهذا من حسناتهم التى يشكرون عليها وهم يثبتون أن الخير والشر من الله تعالى وأن كل ما يقع فى الكون بمشيئة الله تعالى وإرادته ، وأن أفعال العباد من خير وشر خلق الله تعالى ، وأن للعباد أفعالاً اختيارية يثابون ويعاقبون عليها ، وأن العبد مختار فى أفعاله التكليفية وله قدرة عليها وليس هو مجبوراً بفعلها فهو يفعل الخير والشر بقدرته التى منحه الله إياها ولا شك أنه فرق بين حركة المرتعش والباطش ، فالأول بدون اختياره والثانى على اختياره وصرحوا بأن أفعال العباد خلق الله وبكسبهم واختيارهم . وقدرتهم وإرادتهم ، ومن أحسن من حرر هذا الموضوع عمر النسفى أحد أئمة الماتريدية وفصله التفتازانى شارحًا لكلامه حيث قال : «والله تعالى خالق لأفعال العباد من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان ، لا كما زعمت المعتزلة أن العبد خالق لأفعاله» .

(١) وإنما قلت : «جمهور أتباع الماتريدى» لأن بعض الماتريدية ذهبوا إلى أن الإيمان هو التصديق والإقرار . صرح بذلك التفتازانى فى شرح المقاصد (٥/١٧٦) الطبعة الجديدة ، وشرح العقائد النسفية ص ١٢٠ ، الطبعة الهندية ، والمرعشى فى نشر الطوالع ص ٣٧٤ ، وانظر أيضًا أصول الدين للبزدوى ص ١٤٦ ، والعقائد النسفية ص ١١٩ - ١٢٠ ، والمسايرة مع المسامرة ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٢) انظر بحر الكلام ص ٣٨ - ٣٩ ، المسايرة ص ٣٣٠ - ٣٣١ ، والتمهيد لأبى المعين النسفى ص ٢٦/ب ، والبداية للصابونى ص ١١٩ - ١٢٣ ، وشرح المقاصد (٥/١٧٦) ، الطبعة الجديدة ، كلاهما للتفتازانى ، ونشر الطوالع ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(٣) شرح ضوء المعالى ص ١٩ - ٢٠ ، والتمهيد لأبى المعين النسفى ص (٢٦/ب) ، والعمدة للحافظ النسفى ص(١٧/أ)، وشرح العقيدة النسفية ص ١٢١ ، وشرح المقاصد ص (٥/١٧٨ - ١٧٩) الطبعة الجديدة ، كلاهما للتفتازانى ، والمسايرة مع المسامرة ص ٣٣٤ ، ونشر الطوالع ص ٣٧٤ - ٣٧٥ ، والجوهرة المنيفة ص ٣ ، ومختصر شرح الطحاوية للشيخ يونس الخالص الأفغانى ص ٩ .

وقال : «وهى أفعال العباد كلها بإرادته ومشيئته تعالى وتقدس . . . . وحكمه وقضيته أى قضاءه . . . وتقديره وهو تحديد كل مخلوق بحده الذى يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضرر وما يحويه من زمان أو مكان وما يترتب عليه من ثواب أو عقاب» .

وقال : «وللعباد أفعال اختيارية يثابون بها إن كانت طاعة ويعاقبون عليها إن كانت معصية ، لا كما زعمت الجبرية أنه لا فعل للعبد أصلاً وأن حركاته بمنزلة حركات الجمادات لا قدرة عليها ولا قصد ولا اختيار ، وهذا باطل لأنا نفرق بالضرورة بين حركة البطش وحركة الارتعاش ونعلم أن الأول باختياره دون الثانى إلى آخر ما قاله[1]» .

(و) النبـــوات :

يظهر للباحث فى كتب الماتريدية أن مذهبهم فى النبوة : أنها ليست راجعة للمشيئة المحضة حتى يكون إرسال الرسل وعدمه سواء بل راجع أيضًا إلى حكمة الله تعالى فإرسال الرسل لا يخلو من حكمة الله ومصالح للعباد وسد لحوائجهم[2] خلافًا للأشاعرة .

وطرق إثبات[3] نبوة محمد ﷺ عندهم بالأمور الآتية :

الأول - ما تواتر من أحوال النبى ﷺ ، الشخصية والخُلُقية والخلقية وسيرته وأمانته وصدقه وشجاعته وجوده وكرمه ونحوها قبل البعثة وبعدها وتركه متاع الدنيا مع اقتداره عليه .

(١) العقائد النسفية مع شرحها للتفتازانى ص ٧٥ - ٨٣ ، وانظر كتاب التوحيد للماتريدى ص ٢١٥ ، ٣١٤ ، والمسايرة ص ١١٩ ، النبراس ص ٢٧٦ .

(٢) العقائد النسفية مع شرحها للتفتازانى ص (١٣٢ - ١٣٣) .

(٣) انظر العقائد النسفية مع شرحها ص ١٣٤ - ١٣٧ ، والتوحيد للماتريدى ص ٣٠٢ - ٣٠٣ والبداية للصابونى ص ٨٩ - ٩٣ .

الثانى : أنه نقل عنه معجزات كثيرة مثل شق القمر ومكالمة الحيوانات ونبوع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام والشراب القليل ونحوه ، وجنس الواقع من ذلك قد بلغ حد التواتر وتفصيل ذلك مذكور فى كتب السير .

الثالث : أنه أتى بالقرآن والقرآن معجز مع أنه كان أمياً لم يكتب ولم يقرأ وكان من قوم لا كتاب لهم وتحدى به البلغاء مع كمال بـلاغتهم فعجزوا عن معارضته بأقصر سورة كما قال تعالى : **﴿فأتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مثله وادعوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ الله إن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** [1] .

أظهر الله دينه على الديـن كله فهذا يدل دلالة قاطعة على كونه نـبياً ، هذا فيما يتصل بطرق النبوة .

وفيما يتعلق بعصمة الأنبياء نجد أن بعـض الماتريدية من مشايخ سمرقند قد منعوا إطلاق اسم الزلة على ما صدر من الأنبياء من خطأ أو هفوة بل قالوا :

إنما يقال : فعلـوا الفاضل وتركوا الأفضل فعوتـبوا عليه[2] بل صرح أبو منصور الماتريدى أن النبى ﷺ لـم يعرف منه هفوة[3] . وهذا ظاهر المخالفة لما تضمنه قول الأئمة .

لذلك نرى لأمـثال هؤلاء المغالين مـن الماتريدية فى عـصمة الأنبياء لمـنع صدور الذنوب منهم مـطلقًا موقفًا خطيراً من نـصوص الكتاب والسنة التى تجـوز على الأنبياء صدور جنس الذنوب والخطأ منهم ، فما كان من قبيل أخبار الآحاد ردوها رداً صريحًا وما كان من المتواتر حرفوها تحريفًا قبيحًا[4] .

ولذلك يقول شيخ الإسلام عن أمثال هؤلاء المحـرفين لنصوص الكتاب والسنة ما نصه :

---

(١) البقرة : ٢٣ .

(٢) مدارك التنزيل (١/٤٣) .

(٣) كتاب التوحيد للماتريدى ص ٢٠٢ .

(٤) انظر شرح العقائد النسفية ١٤٠ وحاشية الكستلى على شرح العقائد ص ١٧١- ١٧٢، والنبراس ص ٤٥٥- ٤٥٧

«والمنكرون لذلك - أى لجواز صدور الصغائـر عن الأنبياء - يقولون فى تحريف القرآن ما هـو من جنس قول أهل الـبهتان ويحرفـون الكلم عن مواضـعه ، ويقول : والرادون لذلك تأولوا ذلك بمثل تأويلات الجهمـية والقدرية والدهرية لنصوص الأسماء والصفات ونصوص القدر ونصوص الميعاد ، وهى من جنس تأويلات القرامطة الباطنية التى يعلم بالاضطرار أنها باطلة وأنها من باب تحريف الكلم عن مواضعه»[1] .

وقال : «وهؤلاء يقصـد أحدهم تعظيم الأنبيـاء فيقع فى تكذيبـهم ويريد الإيمان بهم فيقع فى الكفر بهم»[2] .

(ز) اليـــوم الآخـــر :

اتفق المسلـمون بل وأهل الملل السماويـة على الإيمان باليوم الآخر والـتصديق بما أخبرت به الرسل من البعث والجزاء والجنة والنار ، كما اتفق سلف الأمة وأئمتها على التصديـق بما أخبر به النبى ﷺ بمـا يكون بعد الموت من فـتنة القبر وعذابه ونـعيمه والبعـث والحشر والنـشر والصحف والمـيزان والحساب والـصراط والحوض والشـفاعة وأحوال الجنة والنار وما أعد الله لأهلها جملة وتفصيلاً .

قال الأشعرى : «باب ذكر ما أجمع عليه السلـف من الأصول التى نبهوا بالأدلة عليها . . . وأجمعـوا على أن عذاب القبر حق وأن الناس يسألـون فى قبورهم بعد أن يحيوا فيها ويسألون فيثبت الله من أحب نبيه وأنهم لا يذوقون فيها ألم الموت بعد ذلك كما قال تـعالى: **﴿لا يَذُوقُونَ فِـيهَا الموتَ إلا المـوتَةَ الأولَى﴾**[3] وعلى أن ينـفخ فى الصور قبل يوم القيامة فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيـه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، وعلـى أن الله تعالى يبعثهم كمـا بدأهم حفاة عرايا غرلا ، وأن الأجساد التـى أطاعت وعصت هى التى تبعث يوم الـقيامة وكذلك

---

(١) منهاج السنة (١/٢٧٧) الطبعة القديمة ومجموع الفتاوى (١٠/٣١٣ - ٣١٤) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٩٥ ، ٣١٣ ، ٣١٤) .

(٣) الدخان : ٥٦ .

الجلود التي كانت في الدنيا والألسنة والأيدي والأرجل هي التي تشهد عليهم يوم القيامة ، وأن الله تعالى ينصب الموازين لوزن أعمال العباد فمن ثقلت موازينه أفلح ومن خفت موازينه خاب وخسر ، وأن كافة السيئات تهوى إلى جهنم وأن كافة الحسنات تهوى عند زيادتها إلى الجنة ، وأن الخلق يؤتون يوم القيامة بصحائف فيها أعمالهم ، فمن أوتى كتابه بيمينه حوسب حسابًا يسيرًا ومن أوتى كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيرًا»[1].

ووافقت الماتريدية السلف بالإيمان بالآخرة بما فيها الحشر والنشر وأحوال البرزخ والجنة والنار والميزان والصراط والشفاعة ، وقالوا : إنها من الأمور الممكنة أخبر بها الصادق ونطق بها الكتاب والسنة ، فتحمل هذه النصوص على ظاهرها[2] .

(هـ) الصحابة والإمامة :

لا يختلف موقف عامة الماتريدية من الصحابة عن موقف أهل السنة والجماعة بمن فيهم الإمام أبو حنيفة رحمه الله . فيقولون : إن أفضل البشر بعد نبينا محمد ﷺ ، «أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم عليّ المرتضى على ترتيب خلافتهم ، وما وقع بين الصحابة من حروب فكان خطأ عن اجتهاد فيجب الكف عن الطعن فيهم . والطعن فيهم إما كفر أو بدعة أو فسق ، والخلافة الراشدة ثلاثون سنة، وأن المسلمين لابد لهم من إمام لتنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وسد الثغور وتجييش الجيوش وأخذ الصدقات وقهر الغلبة والمتسلطة وقطاع الطرق وإقامة الجمعة والأعياد وقطع المنازعات ، وأن يكون الإمام ظاهرًا لا مختفيًا ولا منتظرًا ، وأن يكون من قريش ولا يشترط أن يكون معصومًا ، وأنه تجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر ولا يجوز الخروج على الإمام الجائر»[3] .

(١) رسالة أهل الثغر ص ٦٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، تحقيق الجنيد ط دار اللواء .
(٢) انظر شرح العقائد النسفية ص ٩٩ - ١٠١ ، والبداية ١٥٨ ، والنبراس ص ٣١٧ .
(٣) انظر العقائد النسفية مع شرحها ص ١٤٨ - ١٦٣ ، والبداية للصابوني ص ١٠٠ - ١٠٥ ، وأصول الدين للبزدوي ص ١٧٨ - ١٩٨ .

الخاتمة

بعد ما تقدم من عرض اشتمل على بيان عقائد الماتريدية ومصادرهم في التلقي والاستدلال يتبين لنا ما يلي :

١ - أن الماتريدية خالفت السلف في مصادر الاستدلال والتلقي فقدموا العقل على النقل ، وهذا لا يصح لأنه يؤدي حتمًا إلى التأويل الكلامي البدعي وهو مجرد احتمال وتخمين وأما النص فهو حقيقة ويقين .

٢ - أن التأويل منه ما هو صحيح وهو اللغوي ، ومنه ما هو فاسد وهو الاصطلاحي ، فالصحيح ما وافق الكتاب والسنة والفاسد ما أخرج اللفظ عن ظاهره بما لا يوافق الكتاب والسنة وإنما يوافق اصطلاح المتكلمين .

٣ - سلك أبو منصور الماتريدي في استدلاله على وجود الله طريقة المتكلمين وأعرض عن طريقة القرآن والسنة .

٤ - أن أبا منصور الماتريدي اجتمع فيه أكثر من بدعة ، فهو مرجئ في باب الإيمان ومعطل في باب الصفات .

٥ - أن الضابط للإثبات والتنزيه عند السلف قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] .

٦ - وافقت الماتريدية السلف في باب الإيمان بالآخرة بما فيها من الحشر والنشر وأحوال البرزخ والجنة والنار والميزان والصراط والشفاعة ، وكذا القدر والصحابة والإمامة وهذا من حسناتهم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . . . آمين .

(١) الشورى : ١١ .

المبحث الثالث

مذاهب فكرية معاصرة فى الميزان

فإن أهم واجب على المسلم معرفة عقيدته التى بها يوحد الله تعالى ويعبده ، ومعرفة ما يناقضها ويخالفها من العقائد والمذاهب الضالة الهدامة ، التى يراد من ورائها صرف الناس عن دينهم وعن عبادة ربهم - تبارك وتعالى - وإفساد أخلاقهم ، وسلوكياتهم .

والمقيمون فى الخارج هم من أكثر الناس تعرضًا لهذه الهجمات الشرسة خاصة عند تواجدهم خارج مجتمعاتهم وبلادهم ، فيتكالب عليهم أولياء الشيطان من كل حدب وصوب ، يبغون فتنتهم وانحرافهم ، والبعض قد ينجرف وينحرف ، فيكون مثلاً سيئًا للمسلم فى سلوكه وأخلاقه ، بل وقد يرجع عن دينه بالكلية ، والمعصوم من عصم الله عز وجل .

ومن هنا كان عنوان هذه المقالة (مذاهب فكرية معاصرة) وهى فى مجملها معدة للتحذير من بعض المذاهب الفكرية الخطيرة ، التى قد يتعرض المسلم لها فى بلاد الغرب والشرق ، وقد جعلت الكلام فيها ذا شقين :

الأول : حول بعض المذاهب التى نشأت ووجدت فى بلاد الغرب ، ثم انتقلت إلينا وشاعت فى البلاد الإسلامية ، وسأشير - بعون الله تعالى - إلى : العلمانية - القومية - التغريب - الروتارى - الماسونية - مع الإشارة كذلك إلى الوجودية ، وإن كان تواجدها فى البلاد العربية غير ملحوظ ، بل لا يكاد يوجد .

الثانى : حول بعض المذاهب الفكرية التى نشأت فى بعض البلاد الإسلامية وانتشرت وانتقلت حتى إلى دول الغرب ، وتحاول النشاط بين الجاليات والمبعوثين فى الخارج ، وسأكتفى هنا - إن شاء الله - بالكلام عن (البابية والبهائية - القاديانية) .

وسأحاول - إن شاء الله - ألا أطول فى الكلام عن هذه المذاهب ، وإنما سأختصر بما يكفى اللبيب ، وذلك حتى تحذروها وتعرفوها ، فإن الإنسان لن يتوقى الشر حتى يعرفه ، وقد قال القائل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ، ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه .

وأسأل الله أن يجعل عملى هذا خالصًا لوجهه الكريم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

* * *

العلمانيـــة

التعريف :

معنـى العلمانيـة بالضبط (الـلادينية) ، وهى عـبارة عن دعوة إلى نبـذ الدين ، وإقامة الحـياة فى كل نواحيـها على غيـر الدين ، وفصل الـدين عن السياسـة والحكم خصوصًا .

الأهداف الحقيقية :

التخلص من الأديـان وخصوصًا الإسلام ، وفرض التحلل من تعـاليم الدين فى كل مجال .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

نشأت هذه الـدعوة فى أوروبا وعمت أقـطار العالم بمساعـدة الاستعمار والتـبشير والشيوعية وغيرها ، وساعد على ذلك هيمنة رجال الكنيسة فى أوروبا على مظاهر الحياة ووقوفهم فى وجه العلم والتقدم ، وبسبب اضطهاد الكنيسة لعدد من رجال العلم والفكر وكذلك بسبب تسلط الرهبان على حياة الناس وبيع صكوك الغفران ونحو ذلك .

وبعد الثورة الفرنـسية قامت أول حكومة علمانية وذلـك فى فرنسا ، وقد ركب الموجة عدد من العـلمانيين أصحاب الأفكار العـلمانية ومنهم جان روسو مـونتسكيو ، سبنيوزا ، فولتير ، وكذلك ميرابو وغيرهم .

ثم بعد ذلـك ظهر نيتشة ودوركـايم وفرويد ثم كارل ماركس وجـان بول سارتر وغيرهـم ، وكلٌ من هؤلاء كان مـن أنصار تنحـية الدين عـن الحياة ، والتحـلل من تعاليمه .

بعض مظاهر العلمانية التى وقعت فى العالم الإسلامى :

١ - **فى مصر** : قام الخديوى إسماعـيل بإحلال القانون الفرنسى مـحل الشريعة الإسلامية وكان مفتونًا بالغرب .

٢ - **فى تركيا** : ألغيت الخلافة ولبست البلاد ثوب العلمانية فى كل شىء .

٣ - **فى بلاد المغـرب العربى** : تم إلغاء الشريـعة الإسلامية واستبدالهـا بالقانون الفرنسى .

٤ - **فى العراق والشام** : حدث نفس الشىء .

٥ - **فى الهند** : ألغيت الشريعة تدريجياً بعد الاحتلال الإنجليزى . . وهكذا حتى أصبح العلمانيون مـسيطرين على مقاليد الأمور فى عموم البـلاد الإسلامية وأكثرها ما عدا السعودية تقريبًا ، فتم إبعاد الإسلام عن مظاهر الحياة ، وخصوصًا الحكم .

أهم الأفكار والمعتقدات عند العلمانيين الغربيين :

١ - لا صلة لله بحياة الناس .

٢ - القيم الروحية قيم سلبية .

٣ - الحياة لا تقوم إلا على أساس العلم والتجريب فقط .

٤ - فصل الدين عن السياسة بشكل تام .

٥ - اعتماد مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) الـذى دعا إليه ميكيافيلى ، وهذا فى كل مظاهر الحياة .

٦ - نشر الإباحية والفوضى وهدم الأسرة باعتبارها النواة الأولى للمجتمع .

٧ - تطبيق مبدأ النفعية فى كل شىء فى الحياة .

٨ - إنكار الآخرة واعتبار الدنيا هى حياة الملذات .

أفكار ومعتقدات العلمانيين فى العالم الإسلامى :

١ - الطعن فى حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة .

٢ - اعتبار الإسلام قد فقد أغراضه وأنه مجرد طقوس روحية وشعائر لا غير .

٣ - اعتبار الفقه الإسلامى مأخوذًا من القانون الرومانى .

٤ - الدعوة إلى تربية الأجيال تربية لادينية .

٥ - الدعوى (لتحرير) المرأة وفق النموذج الغربى .

٦ - الدعـوة لإحياء التـراث والحضارات الـقديمة جـداً كالفرعـونية والآشـورية وغيرها .

٧ - اعتبار الإسلام تخلفًا ورجعية لا يتناسب مع العصر وروح العلم والتقدم .

٨ - تضخيم الحركات الهدامة ، واعتبارها حركات إصلاحية .

٩ - اقتباس مناهج الحياة الغربية والأنماط المختلفة للسلوك الغربى فى كل شىء.

الجذور الفكرية للعلمانية :

بوجه عام فإن العلمانية نشأت كعداء للكنيسة المعادية للعلم ، لكنها تطورت لتصبح عداء للدين بوجه عام ، حتى الإسلام الذى لم يقف يومًا فى وجه العلم بل كان سباقًا إلى تشجيعه ، وبعد ذلك غذاها اليهود بكل قوتهم وذلك لإزالة الحاجز الدينى الذى يعوق سيطرتهم على باقى الأمم، كما شجع ذلك بعض الأحزاب العلمانية فى العالم الإسلامى كحزب البعث وغيره، وكذلك حاول عدد من الحكام العرب كبورقيبة وعبد الناصر وكذلك بعض الحكام فى البلاد الإسلامية مثل أتاتورك وسوكارنو وغيرهم شجعوا العلمانية وغذوها بكل قوتهم، كما أن خروج البعثات التعليمية إلى الغرب ورجوعها كان أهم أسباب انتشار العلمانية فى البلاد الإسلامية، وكذلك عبر وسائل الإعلام وعبر المفكرين والأدباء الذين سعوا إلى نشر العلمانية، ومنهم : أحمد لطفى السيد ، طه حسين ، قاسم أمين ، ميشيل عفلق ، أنطون سعادة .. وغيرهم .

مواطن الانتشار :

كل العالم تقريبًا ، فهى أخطر المذاهب الفكرية على الإطلاق والتى يخشى منها على المبتعثين للخارج ، والتى يجب عليهم الحذر منها أشد الحذر ، فقد سيطرت على الدعاية والإعلام والحكم وكل شىء .

وفى الحقيقة فإن العلمانية ما هى إلا مرحلة من المراحل التى قامت الماسونية من أجل تحقيقها ونشرها ، والعلمانيون كلهم ماسونيون سواء علموا بذلك أم لم يعلموا .

* * *

القومية العربية

١ - التعريف :

هى حركة سياسية فكرية تدعو إلى تمجيد العرب وإقامة دولة موحدة لهم ، الرابط فيها هو العرق واللسان العربى ، والتاريخ العربى ، ولا أثر للدين فيها على الإطلاق ، وهى فى الحقيقة عبارة عن صدى للفكر القومى الذى سبق وأن ظهر فى أوروبا ، وقد غذتها بريطانيا المسيحية بكل قوتها .

٢ - الأهداف الحقيقية :

إضعاف رابطة الدين الإسلامى ، وإحلال الرابطة العرقية محلها بحيث يتم فصل المسلمين العرب عن غير العرب ، مما يضمن تفريق المسلمين وتشتيت جهودهم .

٣ - التأسيس وأهم الشخصيات :

تأسست فى دمشق وبيروت خصوصًا جمعيات سرية ثم علنية فى أواخر القرن (١٩) وأوائل القرن (٢٠) ثم اتضحت معالم الحركة فى مؤتمر باريس ١٩١٢م . ومن أهم هذه الجمعيات :

- الجمعية السورية وأسسها نصارى منهم بطرس البستانى ونصيف اليازجى سنة ١٨٤٧م فى دمشق .

- الجمعية السورية فى بيروت وأسسها نصارى كذلك ، منهم سليم البستانى ومنيف فورى .

ثم توالت الجمعيات ومنها الجمعية العربية السورية ، وجمعية حقوق الملة العربية، وجمعية رابطة الوطن العربى ، وجمعية الوطن العربى ، والجمعية القحطانية، وغيرها ، وقد انحصرت بين النصارى وعدد قليل من المسلمين حتى قام جمال عبد الناصر بالدعوة إليها وتشجيعها حتى أصبحت تيارًا شعبيًا عامًا ثم بدأت فى الانحسار .

ومن أهم دعاتها :

١ - ساطع الحصرى : وهو رائدها وأهم مفكريهـا وله مؤلفات كثيرة تعد أساسًا لها.

٢ - ميشيل عفلق :مؤسس حزب البعث العربى .

٣ - جمال عبد الناصر : الذى كان سببًا فى تحويلها إلى تيار شعبى عريض .

٤ - *الجذور الفكرية :*

هى عبارة عن امتداد للمد القومى الذى ظـهر فى أوروبا كلها ثم فى تركيا ، ثم انعكس على العرب ليبرز فيهم هذا التيار ، ولعل للماسونية دورًا فى إنشاء هذه الفكرة وتشجيعها لتـضمن تفتيت الشعوب الإسلامية على أسـس عرقية ، ومما يؤكد ذلك أن الإنجليز شجعوا هذه الفكرة كما أنهم قد شجـعوا فكرة إقامة الجامعة العربية كبديل عن الجامعة الإسلامية ، كـما يلاحظ أن جميع رواد القومية العربيـة الأوائل كانوا من غير المسلمين .

٥ - *أهم المعتقدات :*

١ - إعلاء رابطة الدم والقربى على حساب الدين .

٢ - إبعاد الدين عن هذه الـرابطة بحيث يصير المسيحى والـيهودى العربى أقرب وأولى وأحب من المسلم غير العربى .

٣ - وجوب تحرر الإنـسان العربـى من الغيـبيات وقيـود الدين التـى يعتبـرونها خرافات.

٤ - إعلاء شعـار (الدين لله والوطـن للجمـيع) والذى يبـرز النزعة الـعلَمانـية الماسونية لـلقومية العربية ، والهـدف الحقيقى من ذلك إقصاء الـدين الإسلامى عن أن يكون له وجود فعلى .

٥ - اعتبار الدين والتقاليد المتوارثة عقبات يجب التخلص منها .

٦ - يرون أن الحدود بين البلاد العربية حدود مصطنعة يجب أن تزال حتى يكون للعرب دولة واحدة .

٦ - *مناطق الانتشار :*

وجدت هذه الفـكرة بين كثير من الشـباب العربى والمفكريـن العرب ، ووجدت أحزاب قومية مثل حركة الوحدة الشعبية بتونس ، وحزب البعث فى العراق وسوريا ، وبقايا الناصريين فى مصر والشام ، لكن يلاحظ أن فكرة القومية الآن فى حالة انحسار أو جمود على الأقل ، خصوصًا بعد أن لاحظ المـفتونون بها أنهم كانوا واهمين ، وإنًّ هذه الفكرة لم تحقق شيئًا ولا حتى الوحدة بين الداعين إليها .

* * *

التغـــــريب

١ - *التعريف :*

هو تيار كـبير متشعب يـدعو إلى سيادة النمـط الغربى فى كل منـاحى الحياة ، وطمس كل ما يخالفه .

٢ - *الأهداف الحقيقية :*

ضمان تبعية الناس للغرب اللادينى فى طريقة العيش وفى جميع مناحى الحياة ، وهذا التيـار فى حقيقته تـيار ماسونى يهدف إلى إبـعاد الناس عن الدين عـمومًا وعن الإسلام على وجه الخصوص ، ليضمن خضوع المسلمين للهجمة اليهودية والنصرانية .

٣ - *عوامل الظهور وأهم الشخصيات :*

من أسباب ظهور هذا التيار فى البلاد الإسلامية :

١ - رغبة عدد من الحـكام فى تحديث جيوشهـم باتباع الأساليب الغـربية ، فتم استقدام ضبـاط من الغرب لتدريب الجيوش الإسـلامية ، كما أنشئت أعـداد كبيرة من المدارس الحربية على نمط المدارس الغربية .

٢ - إرسال البعثـات التعليمية إلى بلاد الـغرب وعودة الكثيرين متأثـرين بالحياة الغربية كما حدث لرفاعة الطهطاوى وغيره .

٣ - الإفراط فى ترجمة الكتب الغربية دون تمييز .

٤ - قيام عدد من النصارى بإصدار صحف ومجلات تروج لهذا الاتجاه .

٥ - قيام عدد من المفـكرين والسياسيين والأدباء بالدعوة إلـى هذا التيار ، ومن أهمهم : على عبد الرازق ، طه حسين ، سعد زغلول ، وغيرهم .

٤ - *أهم الأفكار والمعتقدات :*

١ - الدعوة إلى مـهاجمة القرآن والوحى والـتاريخ الإسلامى ، والتشـكيك فى القيم الإسلامية .

٢ - إبراز الحركات الهدامة كالبهائية وغيرها على أنها حركات إصلاحية .

٣ - تشجيع الحركات الهدامة المعاصرة كالداروينية والماركسية وغيرها .

٤ - إحياء وتمجيد جهود الشخصيات المنـحرفة فى التاريخ الإسلامى كابن عربى والحلاج وأبى نواس والسهرودى وغيرهم .

٥- عرض نظم الحياة الغربية وتمجيدها والدعوة إليها واعتبارها من مظاهر الحرية .

٦ - الاهتمام ببعث حضارات ما قبل الإسلام كالفرعونية وغيرها .

٥ - *مواطن الانتشار :*

ينتشر هـذا التيار فى جميع البـلاد الإسلامية ، ويتضح أكثر فـى العراق والشام ومصر والمغرب العربى ، وكذلك فإنه سائد فى تركيا وله انتشار فى أندونيسيا وباكستان وغيرها .

* * *

الروتارى

١ - التعريف :

هى منظمة ماسونية تسيطر عليها اليهودية العالمية ، تتجمع فى أندية يطلق عليها أندية الروتارى ، وتتظاهر بالعمل الإنسانى .

٢ - الأهداف الحقيقية :

تعمل على دمج اليهود فى باقى الشعوب والتمكين لهم ، كما تعمل على تفسخ المجتمعات الموجودة تمهيداً لسيطرة اليهود عليها ، كل هذا من خلال التظاهر بالعمل الإنسانى وتحقيق الصلات بين الطوائف والتقارب بين الأديان وإزالة الخلافات بين أهل الأديان ، وذلك من خلال الحفلات والندوات والتجمعات المشبوهة ، وتشترط هذه الأندية وجود يهودى واحد أو اثنين فى كل ناد .

٣ - التأسيس وأبرز الشخصيات :

(أ) عام ١٩٠٥م فى مدينة شيكاغو بأمريكا أسس المحامى بول هاريس أول ناد للروتارى .

(ب) عام ١٩٠٨م نظم شيرلى برى إلى الحركة ووسعها بسرعة هائلة قبل أن يستقيل سنة ١٩٤٢م .

(جـ) عام ١٩١١م انتقلت الحركة إلى أيرلندا ثم انتشرت فى بريطانيا بفضل نشاط مستر مورد والذى كان يتقاضى عمولة عن كل عضو جديد .

(د) فى عام ١٩٢١م تأسس أول روتارى عربى فى فلسطين ثم انتشرت فروعه فى الجزائر ومراكش ، وله فرع فى طرابلس بليبيا .

٤ - أهم الأفكار والمعتقدات :

١ - اعتبار الدين مسألة ليس لها قيمة ، لا فى اختيار الأعضاء ، ولا فى العلاقة بينهم ، كما أنه ليس هناك اعتبار لمسألة الوطن .

٢ - إسقاط اعتبار الدين يوفر الحماية لليهود ويسهل تغلغلهم فى المجتمعات والطوائف الأخرى ، وذلك فى ظل شعار الماسونية (الحرية والإخاء والمساواة) .

٣ - وجوب التنسيق بين الروتارى وما يماثلها : (الليونز - الكيوانى - القلم - المائدة المستديرة - بناى برث . .) وغيرها ، وذلك لمساعدة اليهود .

٤ - النادى هو الذى يختار أعضاءه ، وينبغى أن يكونوا قدر الإمكان من الشخصيات المرموقة ذات النفوذ والتأثير ، ولا يتم اختيار أعضاء من العمال إلا نادراً من ذوى المكانة العالية .

٥ - عمل الخير يجب أن يكون دون انتظار مقابل دينى أو دنيوى ، وهذا خلاف التصور الدينى الذى يربط عمل الخير بانتظار الثواب فى الآخرة .

٦ - المساواة بين جميع الأديان السماوية وغير السماوية حتى تلك التى ترى أن السعادة هى فى إشباع الغرائز البشرية والانقياد لها كالديانة الطاوية وغيرها ، وغير ذلك .

٥ - مناطق الانتشار :

توجد هذه المنظمة فى معظم دول العالم ، وخصوصاً أمريكا وبريطانيا وباقى دول أوروبا ، ولها فروع فى الجزائر وتونس والمغرب ومصر والأردن وليبيا ، كما أن مركز هذه الجمعيات فى الشرق الأوسط يوجد فى بيروت بلبنان .

* * *

الماسونية

١ - *التعريف :*

معناها (البناءون الأحرار) وهى منظمة سرية يهودية غامضة محكمة التنظيم ، جل أعضائها من الشخصيات المرموقة فى الشرق والغرب ، يربطهم عهد بحفظ الأسرار، ويقيمون المحافل للتجمع والتخطيط والتكليف .

٢ - *الأهداف الحقيقية :*

ضمان السيطرة اليهودية على العالم بعد تقويض الحكومات القائمة ، ونشر الإباحية والإلحاد والفساد .

٣ - *التأسيس وأبرز الشخصيات :*

تأسست أولاً عام (٤٣م) على يد هيرودس أكريبا ملك الرومان بمساعدة مستشاريه اليهود ، ومنهم جيرام أبيود وموآب لامى ، وكان هدفهم إذ ذاك القضاء على المسيحية والتنكيل بالمسيحيين ، وسموا محفلهم (هيكل أورشليم) .

- المرحلة الثانية لهم عام (١٧٧٠م) عن طريق آدم وايزهاويت المسيحى الذى ألحد فاستقطبته الماسونية ، وتم وضع المحفل النورانى نسبة إلى الشيطان الذى يعبدونه وانتهى ذلك المشروع سنة (١٧٧٦م) .

فى العصر الحديث استطاعوا خداع ألفى رجل من كبار الساسة والمفكرين فأنشئوا محفل الشرق الأوسط (وهو المحل الرئيس) وأخضعوهم لخدمة الماسونية تحت شعارات براقة انخدع بها كثير من المسلمين .

- ميرابو ، كان أحد مشاهير قادة الثورة الفرنسية .

- مازينى الإيطالى ، وقد أعاد ترتيب الأمور بعد موت وايزهاويت .

- ليوم بلوم الفرنسى ، وقد حرص على نشر الإباحية ،وأصدر كتابًا فاحشًا بعنوان (الزواج) .

- كودير لوس اليهودى ، صاحب كتاب (العلاقات الخطرة) .

وكذلك جان جاك روسو - فولتير- جورجى زيدان- كارل ماركس- وآخرون .

٤ - *الجذور الفكرية للماسونية :*

جذورهم يهودية صرفة ، سواء من الناحية الفكرية ، أو من ناحية الوسائل العلمية لنشرها ، وفى كل شىء .

٥ - *أهم عقائدهم :*

١ - الكفر بالله والرسل والكتب وكل المغيبات، واعتبار ذلك خرافات وخزعبلات.

٢ - العمل على تقويض الأديان كلها ، وإسقاط الحكومات الوطنية .

٣ - إباحة الجنس واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة .

٤ - تقسيم غير اليهود إلى أمم متنابذة متصارعة باستمرار .

٥ - إحياء الروح الطائفية والنزاعات الداخلية وتسليح جميع الأطراف المتنازعة .

٦ - هدم المبادئ الدينية والأخلاقية ونشر الإباحية والانحلال والإلحاد .

٧ - استعمال الرشوة بالمال ، واستعمال الجنس والشذوذ لاستمالة ذوى المناصب الحساسة وتهديدهم والسيطرة عليهم .

٨ - يشترطون على العضو التجرد من كل المبادئ الدينية والوطنية وغيرها .

٩ - التخلص ممن يتمرد عليهم بتدبير فضائح له، والتخلص منه عند الضرورة .

١٠ - محاولة السيطرة على رؤساء الدول والجيوش والقادة والشخصيات البارزة والمسئولة وأجهزة الإعلام والدعاية والصحافة لضمان تحقيق أهدافهم ، وكذلك السيطرة على المنظمات الدولية كالأمم المتحدة وغيرها .

١١ - دعوة الشباب والبنات للانغماس فى الرذيلة لمحاولة السيطرة عليهم وضمان انقيادهم ، وكذلك الدعوة إلى زنا المحارم وتحطيم الرباط الأسرى .

١٢ - الدعوة إلى تحديد نسل المسلمين والتعقيم الإجبارى لهم ، وغير ذلك .

٦ - *خطورتهم :*

هى أكثر المنظمات السرية خطورة فى التاريخ ، وسبب فى كثير من الويلات التى أصابت البلاد الإسلامية من ثورات وغيرها ، وهم وراء إلغاء الخلافة الإسلامية ، وعزل السلطان عبد الحميد ، وهم وراء الثورة الفرنسية والبريطانية والبلشفية وغيرها ، ولهم نشرات سرية وكتب يتداولونها .

٧ - *مناطق الانتشار :*

لهم وجود فى كل بلاد العالم تقريبًا ، وخصوصًا بين الشخصيات البارزة والحساسة ، كما أنها تسيطر على معظم وسائل الإعلام فى معظم بلاد العالم ، وتسيطر على معظم موارد الاقتصاد ووسائل الإعلام ، ولهم عصابات إجرامية للتخلص ممن يريدون وتنفيذ ما يريدون .

* * *

الوجودية

١ - *التعريف :*

هى تيار فلسفى يعلى من شأن الإنسان ويؤكد على تفرده ، وأنه صاحب فكر لا يحتاج إلى من يوجهه ويرشده ، وهو تيار متذبذب مضطرب .

٢ - *الأهداف :*

إبراز قيمة الوجود الفردى للإنسان بحيث يهتدى إلى وجوده بنفسه مستقلا عن الآخرين .

٣ - *التأسيس وأبرز الشخصيات :*

١ - بسكال ، وهو الذى رسم طريقها ووضع الخطوط العريضة للوجودية .

٢ - كير كجورد وعنه انتشر المذهب فى فرنسا وألمانيا .

٣ - جان بول سارتر ، وهو أشهر الوجوديين ، وترجمت مؤلفاته إلى العديد من اللغات ، وهو ملحد يناصر الصهيونية ، كان يجوب العالم بصحبة صديقته سيمون دى بوفوار .

٤ - القس كبرييل مارسيل ، وكارل جاسبرز وغيرهم .

٤ - *الجذور الفكرية :*

تأثرت الوجودية بالعلمانية والحركات الرافضة للدين ، وبأفكار سقراط الذى نادى بمبدأ (اعرف نفسك بنفسك) ، وبالرواقيين الذين فرضوا سيادة النفس ، وكذلك بمختلف الحركات الداعية إلى الإلحاد والإباحية والفساد .

٥ - *أهم العقائد والأفكار :*

١ - الكفر بالله ورسله ، وبكل الغيبيات والأديان .

٢ - اعتبار الوجود الإنسانى منطلقًا لكل فكرة .

٣ - الدعوة لنبذ كل ما يربط الإنسان بالدين أو بالعرف أو بالأخلاق .

٤ - إباحة الجنس والفساد والانحلال وتلبية داعى الشهوات دون أى قيود .

٥ - العمل على هدم القيم والعقائد ، ولهذا تدعمها اليهودية .

٦ - *مواطن الانتشار :*

ألمانيا وفرنسا وإيطاليا ، وقد انتشرت كذلك بين المراهقين فى أمريكا والنمسا والسويد وإنجلترا وغيرها .

* * *

البابية والبهائية

١ - *التعريف :*

حركة نشأت فى سنة ١٢٦٠ هـ/ ١٨٤٤م برعاية وتشجيع الاستعمار الروسى والإنجليزى واليهودية العالمية .

٢ - *الأهداف الحقيقية :*

إفساد العقيدة الإسلامية ، وتفكيك وحدة المسلمين ، وصرفهم عن قضاياهم الرئيسية .

٣ - *التأسيس وأبرز الشخصيات :*

١ - أسس الحركة ميرزا على محمد الشيرازى المتوفى سنة (١٨٤٩م) بشيراز فى إيران ، وقد أعلن أنه الباب سنة (١٨٤٤م) ، كما أظهر للناس كتابًا سماه البيان .

٢ - بعد وفاة الشيرازى قام بالأمر بعده ميرزا حسين على الملقب بالبهاء ، وسمى الحركة بـ (البهائية) وقد وضع كتابًا سماه (الأقدس) ، نُفى إلى عدة أماكن آخرها عكا حيث استقر هناك، توفى سنة ١٨٩٢م .

٣ - قرة العين ، المتوفاة سنة ١٢٦٩ هـ وهى امرأة منحرفة السلوك ، فرّت من زوجها وراحت تبحث عن المتعة وأعلنت عن نسخ الشريعة الإسلامية فى مؤتمر بدشة سنة ١٢٦٩ هـ ، وقد أعدمها الشاه فى نفس السنة .

٤ - يحيى على ، أخو البهاء ، نازع أخاه فى خلافة الباب ، وسمى نفسه الأزل، ووضع كتاب الألواح ، غدر به أخوه وقتله .

٤ - *الجذور الفكرية للبهائية :*

منها البوذية ، والبرهمية ، والمزدكية ، والحركات الباطنية ، ومنها التراث الفارسى قبل الإسلام ، ومنها : اليهودية والنصرانية والدهرية . وقد لقيت التشجيع والرعاية من اليهود الروس والإنجليز .

٥ - أهم عقائدهم :

١ - نسخ الشريعة الإسلامية تمامًا .

٢ - القول بالحلول والاتحاد (أى حلول ذات الرب فى بعض الكائنات واتحادها بها).

٣ - القول بتناسخ الأرواح وخلود الكائنات ، والقول بأن الثواب والعقاب للأرواح فقط ، تمامًا مثل الخيال ، وهذا قول الفلاسفة والنصارى .

- يقولون بإلغاء التكاليف الشرعية ، أى التحلل التام من مسألة الحلال والحرام، وهذه أمور قد تناسب ضعاف الدين الذين يميلون للتحلل من تكاليف الشريعة .

- يحرمون الحجاب ، ويقولون بإباحة كل النساء لأى أحد دون قيد أو شرط ، وكذلك يقولون بشيوعية المال .

- يقولون بصلب المسيح وقتله ، كقول النصارى .

- ينكرون البعث والحشر والحساب وما يتبع ذلك .

- يقولون : إن دين (الباب) ناسخ لشريعة محمد ﷺ .

- ينكرون أن النبى ﷺ خاتم الأنبياء ، ويدَّعُون استمرار الوحى.

- يقولون بألوهية الباب والبهاء ، وأحيانًا بنبوتهما ، وأحيانًا بمَهْدِيَّتِهِمَا .

- السَّنَةُ عندهم تسعة عشر شهراً والشهر تسعة عشر يومًا ، فهم يقدسون العدد (١٩) وغير ذلك من العقائد الكافرة الضالة الخبيثة .

٦ - مواضع انتشارهم :

يقطن معظمهم فى إيران ، وقليل منهم فى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين المحتلة .

القاديانية

١ - التعريف :

حركة نشأت سنة (١٩٠٠م) فى شبه القارة الهندية بتخطيط وتشجيع من الاستعمار الإنجليزى .

٢ - الأهداف الحقيقية :

إبعاد المسلمين عن دينهم ، وخاصة فريضة الجهاد ، حتى لا يواجهوا الاستعمار باسم الإسلام ، وأصدروا مجلة (الأديان) باللغة الإنجليزية .

٣ - التأسيس وأبرز الشخصيات :

١ - مؤسس الحركة هو ميرزا غلام أحمد القاديانى (نسبة إلى قاديان إحدى بلاد إقليم البنجاب) وهو من أسرة معروفة بالخيانة والعمالة للإنجليز ، سجل مذهبه (١٩٠٠م) وله عدة كتب فى المذهب القاديانى والطعن فى الإسلام .

٢ - نور الدين الخليفة الأول للقاديانية ، وقد وضع الإنجليز تاج الخلافة على رأسه.

٣ - محمد على ، منظر القاديانية وجاسوس الاستعمار ، قدم ترجمة محرفة للقرآن الكريم .

٤ - محمد صادق ، مفتى القاديانية ، وغيرهم .

٤ - الجذور الفكرية للقاديانية :

منها تأثرهم الشديد باليهودية والمسيحية ، والحركات الباطنية ، كما ساعدتهم إسرائيل بفتح المراكز والمدارس وطبع مجلتهم ومنشوراتهم .

٥ - أهم عقائدهم :

١ - يعتقدون بأن غلام أحمد هو المهدى أو المسيح أو نبى .

٢ - يشبهون الله - تعالى - بخلقه في النوم والأكل واليقظة والجماع والكتابة والخطأ وكل شيء تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

٣ - ينكرون انتهاء النبوة ، ويقولون : إن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء .

٤ - يكفرون من لم يتمذهب بالقاديانية ، أو تزوج من غير القاديانيين .

٥ - يجعلون من مدينة قاديان حرمًا ويتخذونها قبلة لهم .

٦ - يبيحون الخمر والأفيون والمخدرات .

٧ - يعتقدون أن الإله إنجليزيّ وأنه يخاطبهم الإنجليزية .

٨ - يجعلون كتابهم (الكتاب المبين) قرآنًا لهم وينكرون غيره تمامًا .

٩ - يحرمون الجهاد بشكل نهائي ، ويعتقدون بوجوب الخضوع للإنجليز لأنهم ولاة الأمر - بزعمهم - وغير ذلك من المخازي والضلالات .

٦ - مواضع الانتشار :

يكثرون في الهند وباكستان ، كما أن لهم تواجدًا بسيطًا في إسرائيل ، وبعض البلاد العربية ، وهم يحاولون الوصول إلى أي مراكز حساسة في أماكن تواجدهم .

هذه من أهم المذاهب الفكرية المعاصرة وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنب شبابنا الاغترار بهذه المذاهب وأن يقيهم أهواء أنفسهم وسيئات أعمالهم ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

* الفهرس *

الموضوع	الصفحة
١ المقدمة	٣
الفصل الأول	
تأملات ونظرات في أحوال مجتمعنا الإسلامي المعاصر	٥
* المبحث الأول: ظاهرة ترك الصلاة عند بعض الناس	٧
* المبحث الثاني: مكانة الحج ومنزلته	١١
* المبحث الثالث: ظاهرة ترك المبيت بمزدلفة عند بعض الناس ..	١٣
* المبحث الرابع: ظاهرة التشاؤم والتطير	١٧
* المبحث الخامس: ظاهرة انتشار الرقى والتمائم	٢٢
* المبحث السادس: تعقيب على الشيخ علي العمري حول الرقية ..	٢٧
* المبحث السابع : ظاهرة الخدم	٣٤
* المبحث الثامن : واجبنا نحو مجتمعنا الإسلامي	٨٢
الفصل الثاني	
تأملات ونظرات في واقع بعض الدعاة المعاصرين	٩١
* المبحث الأول : ظاهرة الغلو	٩٣
* المبحث الثاني: ظاهرة العنف	٩٨
* المبحث الثالث : الفتن في هذا العصر وموقف المسلم منها ..	١٠٧
* المبحث الرابع: فتنة التكفير	١١٥
* المبحث الخامس : ظاهرة سوء الظن بالعلماء والصالحين	١٢٣

الموضوع **الصفحة**

* المبحث السادس : الطعن في العلماء وتنقصهم.......... ١٢٩
* المبحث السابع: ظاهرة التعصب ١٣٤
* المبحث الثامن : البيعة الحزبية ١٤١
* المبحث التاسع: المظاهرات ليست من أساليب الدعوة إلى الله ١٤٩
* المبحث العاشر: حقوق الراعي والرعية ١٥٦

الفصل الثالث

نظرات وتأملات في الدعوة إلى عقيدة أهل السنة والجماعة ١٦٣

* المبحث الأول : المراد بأهل السنة والجماعة ١٦٥
* المبحث الثاني : خصائص أهل السنة والجماعة ١٧١
* المبحث الثالث: السنة وسط بين الإفراط والتفريط ١٧٨
* المبحث الرابع: وجوب اتباع عقيدة السلف (أهل السنة والجماعة) ومذهبهم ١٩٠
* المبحث الخامس: تبرئة السلف من عقائد الخلف ١٩٦
* المبحث السادس: الأدب مع الرسول ﷺ ٢٠٣
* المبحث السابع: اتباع الرسول علامة المحبة ٢١٠
* المبحث الثامن: نواقض عقيدة السلف والجماعة.......... ٢١٥

الفصل الرابع

تأملات ونظرات في أعمال أهل البدع ٢٣١

* المبحث الأول : البدعة تناقض عقيدة التوحيد ٢٣٣

الموضوع **الصفحة**

* المبحث الثاني: أثر البدعة في الانحراف العقدي والانحطاط الاجتماعي ٢٣٧
* المبحث الثالث: بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان........ ٢٤٣
* المبحث الرابع: بدع تقع في شهر رمضان ٢٤٧
* المبحث الخامس: بدع في صلاة التراويح ٢٥١
* المبحث السادس: بيان السنن والمبتدعات المتعلقة بعيد الفطر وشهر شوال ٢٥٥
* المبحث السابع: البدع في يوم الجمعة ٢٥٨
* المبحث الثامن: مفاهيم خاطئة حول الأولياء ٢٦١
* المبحث التاسع: هل للأولياء تصرف في الكون ؟ ٢٦٤
* المبحث العاشر: دعاة التصوف ٢٦٨

الفصل الخامس

تأملات ونظرات في بعض المذاهب والفرق المعاصرة ٢٧٣

* المبحث الأول: متى نشأ الاختلاف والتفرق في الأمة وأسباب ذلك ٢٧٥
* المبحث الثاني: منهج الماتريدية في العقيدة................ ٢٨٢
* المبحث الثالث: مذاهب فكرية في الميزان ٣١٦
* فهرس الموضوعات ٣٣٧